لغة

جواهر البلاغة

السيد أحمد الهاشمي

جواهر البلاغة

تأليف

السيد أحمد الهاشمي

١٢٩٥ - ١٣٦٢هـ/ ١٨٧٨ - ١٩٤٣م

قرأه وقدم له

د. يحيى مراد

فهـارس الكتـاب

أولاً: فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

ثانيًا: فهرس الحكم والأمثال

ثالثًا: فهرس الشواهد الشعرية

أ - أنصاف الأبيات

ب- فهرس الأبيات

لعمرو	الكرب	الطويل	--	٣٣٦
وفي النفس	وخطاب	الطويل	--	٣٣٧
لنار	المهيب	الوافر	--	٣٣٧
لو رأى	شيبا	الخفيف	أبوتمام	٣٣٨
كل يوم	غريبا	الخفيف	أبو تمام	٣٣٨
حرف التاء				
أسيئي	إنْ تقلت	الطويل	--	٧١
ومن ذا	مصلت	الطويل	--	٨٤
أيها القلب	بالشهوات	الخفيف	--	٩٠
أينا	وثباتا	الخفيف	--	٢٠٢
إنما	زيت	الخفيف	--	٢٣٣
فإذا	ميت	الخفيف	--	٢٣٣
إنما	عنكبوت	مجزوء الرمل	--	٢٢٢
إن الغريب	قوت	البسيط	الحريري	٢٧٦
ثياب	غرات	الطويل	امرؤ القيس	٢٧٦
رحم الله	قوت	الخفيف	--	٣١٥
حماة	جنة	السريع	--	٣١٦
لا تيأسوا	الجنة	السريع	--	٣١٦
إذا	ومن آت	البسيط	--	٣٢٠
فلا	المعادات	البسيط	--	٣٢٠
ما أسأل	كملت	البسيط	--	٣٣٨
حرف الجيم				
ومقلة	مسرجا	الرجز	رؤبة بن العجاج	١٩

وحلاوة	ظريفا	الكامل	أبو تمام	٢٨
وأصبح	مندف	الطويل	الفرزدق	٢٨
ومكارمي	الأضياف	الكامل	أبو نواس	٥٨
أيا شجر	ابن طريف	الطويل	--	٩٠
نحن	مختلف	الخفيف	--	١٢٨
ما كل	كافي	الكامل	--	١٣٢
ما لنا	ووصف	الخفيف	--	١٦٤
ما افترقنا	يكفي	الخفيف	--	١٦٤
نفسي	عفيف	الكامل	--	١٨٢
قلبي	تعرف	الكامل	--	٢٦٩
فوق	يذرف	مجزوء الرمل	--	٢٧١
برداء	يجفف	مجزوء الرمل	--	٢٧١
فلما	قفى	الطويل	--	٢٧٨
عيون	ومرشف	الطويل	--	٢٩٩
سيوف	وقرقف	الطويل	--	٢٩٩
لك أنف	الأنوف	مجزوء الرمل	--	٣٠٣
أنت في	يطوف	مجزوء الرمل	--	٣٠٣
طبع	للأحرف	الكامل	--	٣١٧
وكم سبقت	وارف	الطويل	عبد القاهر	٣١٩
وكم غرر	طائف	الطويل	عبد القاهر	٣١٩
من بحر	اعترف	مجزوء الكامل	أبو فراس	٣٢١
في ثغره	ترف	البسيط	--	٣٢٨
ما للنوى	فهو في	الرجز	--	٣٢٩

إن كانت	رسولا	الكامل	--	٣٣٣
فأنا	سبيلا	الكامل	--	٣٣٣
واستعمل	عجل	البسيط	--	٣٣٦
بقيت	شامل	الطويل	--	٣٣٨
حرف الميم				
فلا يبرم	هو يبرم	الطويل	--	٢٣
إنّ بعضا	أحكام	الخفيف	--	٢٥
فيه ما	البرسام	الخفيف	--	٢٥
أبعد بعدت	من الظلم	البسيط	--	٢٦
وقد أتناسى	مكدم	الطويل	المتلمس	٢٦
حلفت	شيظم	المتقارب	ابن جحدر	٢٧
وما	زيزيزم	المتقارب	ابن جحدر	٢٧
ليس	من شيمي	البسيط	--	٢٩
ولو أنّ	مطعما	الطويل	--	٣١
ومن لم	يظلم	الطويل	--	٣٦
فأصبحت	قلما	المنسرح	--	٣٦
هناء	تبسما	الطويل	--	٤١
أصبت	الغمام	الوافر	--	٤١
قومي همو	سهمي	الكامل	--	٥٧
أبا المسلك	بالدم	الطويل	--	٥٧
إنْ كان	ا رم	الكامل	--	٥٧
أدعوك	يرحم	الكامل	--	٥٧
وما كل	بمتمم	الطويل	المتنبي	٥٨

ليس الصديق	متجهم	الكامل	--	٦٠
وعلى إثرهم	لي سقام	الخفيف	--	٦٥
أو كلما	يتوسم	الكامل	--	٦٥
خليلي	كراكما	الطويل	--	٧١
متى يبلغ	يهدم	الطويل	--	٨٤
ومن مثل	لها أقدامي	الطويل	--	٨٤
أفؤادي	ألما	الخفيف	--	٨٩
يأيها	من ظلم	السريع	--	٩٠
حجبوه	السلاما	الخفيف	--	٩٠
يا قلب	ملاما	الكامل	--	٩٠
يا أعدل	والحكم	البسيط	--	٩٠
عليل	المدام	الوافر	--	١٠٤
وأنت	يلوم	الطويل	--	١٠٧
هذا الذي	والحرم	البسيط	الفرزدق	١١٠
سعرت	الأعوام	الكامل	--	١٣٠
إذا شئت	والشتم	الطويل	--	١٣٢
بناها	متلاطم	الطويل	المتنبي	١٤٩
إذا كنت	النعم	المتقارب	--	١٥١
أقول له	مسلما	الطويل	--	١٧٣
وتظن	يم	الكامل	--	١٧٥
عهدتك	متيما	الطويل	--	١٧٧
رأيت	الحليما	الوافر	عاصم المنفري	١٨٧
فلا والله	نديما	الوافر	عاصم المنفري	١٨٨

إذا قالت	حذام	الوافر	--	٢٦٣
فلسنا	الدما	الطويل	--	٢٨١
رحلت	ضيغم	الطويل	المتنبي	٢٨٢
وما	المصمم	الطويل	المتنبي	٢٨٢
فلو	معمم	الطويل	المتنبي	٢٨٢
رمي	وأسهمي	الطويل	المتنبي	٢٨٣
إذا	توهم	الطويل	المتنبي	٢٨٣
ألا يا	السلام	الوافر	--	٢٨٣
إذا لم	بالتكرم	الطويل	--	٢٩٠
ولا كنت	محرم	الطويل	--	٢٩٠
ولقد	من دمي	الكامل	عنترة	٢٩٢
فوددت	المتبسم	الكامل	عنترة	٢٩٢
أحلت	كلامي	الطويل	--	٢٩٤
فليس	بحرام	الطويل	--	٢٩٤
وما كلفة	اللطم	الطويل	أبو العلاء	٢٩٥
فلئن	كريم	الكامل	--	٢٩٧
آراؤه	كلهم	البسيط	--	٣٠٠
آراؤكم	نجوم	الكامل	--	٣٠٠
ورد	وأنعم	مجزوء الكامل	--	٣٠١
هذاك	الفم	مجزوء الكامل	--	٣٠١
ولا عيب	المتيم	الطويل	--	٣٠٤
إذا ما	دما	الطويل	أبو العتاهية	٣٠٧
إذا ما	وسلما	الطويل	أبو العتاهية	٣٠٧

رابعًا: فهرس الكتاب

تم عمل الفهارس التفصيلية للموضوعات
الواردة في كتاب جواهر البلاغة للعلامة السيد/ **أحمد الهاشمي**

والحمد للّه ذي الجلال والإكرام ، وعلى نبيه وآله أفضل الصلاة والسلام

مقدمة المحقق

يعد علم البلاغة من علوم اللسان العربي؛ الذي هو لسان الإسلام وقلمه، وهو من العلوم المخترعة التي استفيدت من استقصاء العلماء وتتبعهم لأحوال اللسان العربي، وما يكون عند العرب وفي عرفهم فصيحاً بليغاً، يوافق طباعهم السليمة، ويؤدي إلى أرق المعاني وأجمعها وأجملها.

والبلاغة ابتداءً في لغة العرب -كما في المعجم الوسيط- حسن البيان وقوة التأثير.

وهي عند علماء البلاغة: علم تدرس فيه وجوه حسن البيان، ومن هنا فإن علوم البلاغة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العرب من حيث تخليد البلغاء وضر م للناس أمثلة يحتذون ا، ورفع شأن المتكلم أو الخطيب أو الشاعر بحسب قربه أو التصاقه بقواعد البلاغة وقوانينها.

يقول صديق بن حسن القنوجي في كتابه (أبجد العلوم): علم البلاغة عبارة عن علم البيان والبديع والمعاني.

والغرض من تلك العلوم: أن البلاغة سواء كانت في الكلام أو المتكلم رجوعها إلى أمرين:

- **أحدهما**: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد..
- **والثاني**: تمييز الفصيح عن غيره.

ولاشك أن البلاغة ذات علاقة وثيقة بعلوم متن اللغة والنحو والصرف، فتلك علوم عربية أوضح ما تكون للمتأمل، ولكن علوم البلاغة إنما اختصت بجانب آخر وهو جانب الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعني المراد، ومن هنا نشأ علم المعاني، وكذلك الاحتراز عن التعقيد المعنوي - ومن هنا نشأ علم البيان - وإلى المحسنات اللفظية ومن هنا نشأ علم البديع.

- **علم المعاني:**

وهو تتبع خواص تراكيب الكلام ومعرفة تفاوت المقامات حتى لا يقع المرء في الخطأ في تطبيق الأولى على الثانية.

وذلك - كما في أبجد العلوم - لأن للتراكيب خواص مناسبةً لها يعرفها الأدباء، إما

بسليقتهم، أو بممارسة علم البلاغة، وتلك الخواص بعضها ذوقية وبعضها استحسانية، وبعضها توابع ولوازم للمعاني الأصلية، ولكن لزوماً معتبراً في عرف البلغاء، وإلا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة ...وكذا مقامات الكلام متفاوتة، كمقام الشكر والشكاية، والتهنئة والتعزية، والجد والهزل، وغير ذلك من المقامات... فكيفية تطبيق الخواص على المقامات تستفاد من علم المعاني.

ومداره على الاستحسانات العرفية.

علم البيان:

وقد عرفه صاحب كشاف اصطلاحات الفنون بقوله: علمٌ يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

ويقول ابن خلدون في مقدمته: ألا ترى أن قولهم (زيد جاءني) مغاير لقولهم (جاءني زيد) من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه با يء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل ا يء المسند، وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصولٍ أو مبهمٍ أو معرفة.

علم البديع:

وهو علم تعرف به وجوهٌ تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، أو هو التحسين والتزيين العرضي بعد تكميل دائرة الفصاحة والبلاغة.

ومن هذا العلم استخدام السجع، وهو اية كل جملة على حرف أو حرفين متطابقين، كقول الأعرابي عندما سئل عن دليل وجود الله فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، أفَسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير.

ومن هذا العلم أيضاً استخدام الطباق والجناس كقولك: تآلف المؤتلف، وتخالف المختلف، وتشابه المتشابه، وتعارض المتعارض...

قال التهانوي في (كشاف اصطلاحات الفنون): وأما منفعته فإظهار رونق الكلام، حتى يلج الآذان بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد، وإنما دونوا هذا العلم ، لأن الأصل وإن كان الحسن الذاتي، وكان المعاني والبيان مما لا يكفي في تحصيله، لكنهم اعتنوا بشأن

الحُسن العرضي أيضاً، لأن الحسناء إذا عريت عن المزينات، ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها، فيفوت التمتع ا.

ولاشك أن علوم البلاغة الثلاثة لا تنال بمجرد معرفة الاسم، أو مطالعة المبادئ، وإنما لابد للمرء من دراسة مستفيضة، واستماع عميق، ومعايشة ومعاشرة لكتب الأدب وخزائن العربية.

القرآن الكريم كتاب البلاغة الأم:

وليس ثمة أنفع للإنسان من دراسة القرآن الكريم دراسة لغوية بلاغية، لتحصيل علوم البلاغة، بل وعلوم العربية كلها، فضلاً عن الهداية والاسترشاد اللذين هما مقصودا القرآن الأول.

واستمع إلى قوله سبحانه: **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** [هود:٤٤]، ثم انظر إلى الآية كيف حوت: أمرين، وخبرين، وبشارة، ودعاء.

أو أَجِلْ فكرك في قوله سبحانه: **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [النحل:٩٠] كيف جمعت الأمر بكل خير الدنيا والآخرة، على المستوى الفردي والجماعي و ت عن كل الشرور الدينية والدنيوية، ثم ختمت ذلك بالتذكير ترغيبا وترهيبا.

نشأة علم البلاغة:

وأول كتاب دون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل، ثم تبعه جلة من العلماء.

ولا يعلم أول من ألف المعاني بالضبط، وإنما أُثِر فيها كلام عن البلغاء، وأشهرهم الجاحظ في (إعجاز القرآن) وغيره.

وأول من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر...

وبقيت هذه العلوم تتكامل ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة: عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (إعجاز القرآن) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة) وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم).

ويعد كتاب (**جواهر البلاغة**) للسيد أحمد الهاشمي من الكتب السهلة الممتعة في علم

البلاغة، وقد كتبه في الأصل ليكون مرجعا لطلاب المدارس، ثم ما لبث أن نال استحسان الناس فأقبلوا عليه، وعدوه مرجعهم في هذا العلم.

وتتميز لغة الكتاب بالبساطة والوضوح، الأمر الذي يجعل استيعاب مادته أمرا يسيرا على القارئ غير المتخصص، كما أن المؤلف اتبع أسلوبا تعليما جميلاً، حيث يبدأ بتعريف الباب أو المصطلح، ثم يتبعه بالأمثلة والشواهد التي توضحه للقارئ، وفي النهاية يقدم التمارين والنماذج التي يتعلم من خلالها المتلقي مسائل العلم ويستوعبها جيدا.

وقد جعل المؤلف أكثر شواهده من القرآن الكريم، والشعر السهل الفصيح، وما أُثِر عن العرب من الكلام البليغ والأمثال السائرة، والحِكَم المأثورة.

ولكل هذه الأسباب فقد لقي الكتاب استحسانَ الناس وقبولهم له، فطبعت منه الطبعات العديدة، في كل أقطار الوطن العربي، غير أن هذه الطبعات لم تخل من أخطاء مطبعية، وملاحظات فنية، لذا رأت **مؤسسة المختار** أن تقوم بإعادة طبع هذا الكتاب لجمهور القراء في العالم العربي، محاولةً استدراك هذه الهَنات البسيطة، وإخراجه في شكل بديع يليق بهذا الكتاب؛ الذي نرجو أن ينال القبول والثناء الحسن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

يحيى مراد

ترجمة المؤلف

اسمه:

هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي.

مولده ونشأته:

ذكرت كتب تراجمه أنه ولد بالقاهرة سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين للهجرة، و ا عاش.

حياته العلمية:

لم تذكر لنا كتب التراجم شيئًا يذكر عن حياته العلمية، إلا النذر اليسير، مثل أنه كان أزهريا، وعمله التعليمي، وإدارته لأكثر من مدرسة، إلى أن عين مديرا لمدارس الملك فؤاد الأول، وولي عهد مصر سابقًا، واتصاله ببعض شيوخ عصره، وتلمذته عليهم مثل: الشيخ محمد عبده، والشيخ سليم البشري، والشيخ حسونة النواوي، والشيخ حمزة فتح الله.

مصنفاته:

١- جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العرب.
٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، وهو كتابنا هذا.
٣- السعادة الأبدية في الشريعة الإسلامية.
٤- مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية من البخاري وكتب الحديث المعتبرة.
٥- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب.
٦- القواعد الأساسية للغة العربية.
٧- أسلوب الحكيم، مجموعة مقالات.
٨- جواهر الإعراب.
٩- المفرد العلم في باب النسب.
١٠- السحر الحلال في الحكم والأمثال.

وفاته:

توفي المؤلف رحمه الله سنة ألف وثلاثمائة واثنين وستين من الهجرة.

أقوال أئمة العلماء الأعلام
وآراء الأساتذة الكبار في كتاب جواهر البلاغة

- كتب أستاذي المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونة النواوي - شيخ الجامع الأزهر - : الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على النبي البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير.

أما بعد... فقد اطلعت على كتاب $جواهر البلاغة# الذي حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل $السيد أحمد الهاشمي# الحائز لكمال الفضائل، فوجدته كتابا نفيسا قد اشتمل على بيان بديع المعاني بأفصح عبارة وأبلغ إشارة، وسلك فيه حضرةُ مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد؛ فجاء فريدا في بابه، مرغوبا ونافعا لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة في الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلم والتعليم، ويهديه إلى الصراط المستقيم؛ إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

- وكتب المغفور له سماحة السيد علي الببلاوي - شيخ الجامع الأزهر -:

أحمد من رصع تاج اللغة العربية بـ $جواهر البلاغة#، فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأصلي وأسلم على أفصح ناطق بالضاد، وأجل داع إلى الله وهاد؛ سيدنا محمد القائل: $**إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة**#، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم في صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا، وقد تصفحت جملة من كتاب $جواهر البلاغة# الذي أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرةُ الفاضل، ا د الكامل، الأستاذ $السيد أحمد الهاشمي#؛ فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف التمام؛ بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالته المنشودة التي طالما أبعدته عنها صعوبةُ المؤلفات السابقة؛ في مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل - فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبي الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام؛ إنه سميع الدعاء...

- وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ محمد عبده - مفتي الديار المصرية -:

اطلعت على كتاب $جواهر البلاغة# في علوم المعاني والبيان والبديع والسرقا الشعرية، فوجدته كتابا عظيما، وأسلوبا حكيما، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. آمين.

- وكتب أخونا الأستاذ الشيخ أحمد الكناني - المدرس في المدرسة التوفيقية -:

الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه، المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم، صراط الدين حازوا فضل العلم والتعليم، ونصلي ونسلم على أبي إبراهيم المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سدنا محمد ذي المقام الأسمى الذي أنزل عليه في محكم كتابه: **وقُلْ رب زِدِني عِلْماً** [طه: ١١٤]، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين اجتمعت قلو م وقوالبهم على حبه واتباعه.

أما بعد... فإن خير الكتب ما عم نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعه، وكان متقن البيان، واضح الحجة، قوي البرهان، وإن كتاب $جواهر البلاغة# لمن خير الكتب وضعا، وأحسنها اختيارا وصنعا، لمؤلفه الفاضل الأستاذ $السيد أحمد الهاشمي#؛ فإن لحضرته من التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، ما تقر به أعين الناطقين بالضاد، ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لاسيما هذا السفر الجليل الذي جاد دليلا على إخلاصه في النيه لأبناء أمته، وبرهانا ساطعا على وفائه وحسن طويته؛ فقد جمع فيه ما تفرق - بعد أن حقق ودقق؛ فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان؛ لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان - فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف والمؤلف العباد، ويجعله بفضله كنـ ـزا وذخرا إلى العباد.. آمين.

إهداء

إليكم معشر البلغاء

كتابا رقيق الحواشي.. سهل النواحي.. هو السحر الحلال.. والماء الزلال.. يسر المحزون.. ويسهل الحزون.. ويعطل الدر المخزون.. بعيد من الكلف.. نقي من الكلف.. ألفاظه أنوار.. ومعانيه ثمار.. يقضي حق البيان.. ويملك رق الحسن والإحسان.. أخذ برقاب القوافي.. وملك رق المعالي؛ فهو في جبهة المحاسن غرة.. ولأعين العين قرة.. تفتحت بفتح الله أكمامه.. وانتشرت برياض الفضل أعلامه.. وتساجلت في دوحة البلاغة أطياره.. وتدفقت من عيون الحق أ اره.. فما هو إلا روضة فنون ذات أفنان.. فيه من كل فاكهة أدب زوجان.. أبرزته حدائق ذات جة.. تنعش أدواحه الأرواح و ز المهجة.. ثماره دانية، يرى الطالبون به ظلا ظليلا.. وذللت قطوفه تذليلا.. متكئ فيه على أرائك التحقيق الأرق من نسمات القبول.. ومحاسن التدقيق الأحق لدى ذوى العقول بغاية القبول.. تعرف في وجوههم نصرة النعيم.. يسقون من رحيق مختوم.. ختامه مسك ومزاجه من تسنيم.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أحمد الهاشمي

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

حمداً لمن خص سيد الرسل بكمال الفصاحة بين البدو والحضر، وأنطقه بجوامع الكلم فأعجز بلغاء ربيعة ومضر، وأنزل عليه الكتاب المُفْحِم بتحديه مصاقع بلغاء الأعراب، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، ومنحه «الأسلوب الحكيم»(١) في جوامع كلمه، وخص «السعادة الأبدية» لمقتفي آثاره وحِكَمِه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظموا لآلئ البديع في عقود الإيجاز والإطناب، فَقُهنا بعد اللّكن بـ «جواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذهب» وطرزنا سطور الطروس «بجواهر الأدب» فصارت المفرد العلم في باب النسب.

وبعد.. فإن العلوم أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة من بينها أجلها شأنا، وأبينها تبيانا؛ إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنـزيل، وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار «دلائل الإعجاز»، ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانوية، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغة»، جامعا للمهمات من القواعد والتطبيقات وأسأل المولى - جل شأنه - أن ينفع ـذا الكتاب، وهو الموفق للحق والصواب..

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

---

(١) الأسلوب الحكيم، والسعادة الأبدية، وجواهر البلاغة، وجواهر الإعراب، وجواهر الأدب، وميزان الذهب، والمفرد العلم -الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب.

تمهيد

لما وضِع علم الصرف للنظر في أبنية الألفاظ، ووضِع علم النحو للنظر في إعراب ما تركّب منها، ووضِع «البيان» [1] للنظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

(**العلم الأول**) ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، ويسمى: «علم المعاني».

(**العلم الثاني**) ما يحترز به عن التعقيد المعنوي - أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد، ويسمى: «علم البيان».

(**العلم الثالث**) ما يراد به تحسين الكلام، ويسمى: «علم البديع»، فعلم البديع تابع لهما؛ إذ ما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.

والكلام باعتبار «المعاني والبيان» يقال أنه: «فصيح» من حيث اللفظ، لأن النظر في الفصاحة إلى مجرد اللفظ دون المعنى.

«وبليغ» من حيثُ اللفظ والمعنى جميعا، لأن البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين[2].

---

(١) علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنو ا الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض -وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن ا از والاستعارة والتشبيه والكناية. والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصِل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع.

(٢) وبيان ذلك: أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إ اء المعنى في القلب، فكأ ا مقصورة على المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى، أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه -وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا، إذا كان واضح المعني سهل اللفظ جيد السبك، غير مستكره فَج، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف. واعلم: أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النا ين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ، لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح -والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بالفصاحة، لأنه ضدها لمكان قبحه.

وأما باعتبار البديع فلا يقال: إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمر خارجي يراد به تحسين الكلام لا غير.

إذا تقرر ذلك وجب على طالب البيان أن يعرف - قبل الشروع فيه- معرفة معنى الفصاحة والبلاغة، لأ ا محوره، وإليهما مرجع أبحاثه، فهما الغاية التي يقف عندها المتكلم والكاتب، والضالة التي ينشدانِها، وما عقد أئمة البيان الفصول، ولا بوبوا الأبواب، إلا بغية أن يوقفوا المسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط، إذا روعيت في خطابه أو كتابه، بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السامع، واتصفت مِن ثَم بصفة الفصاحة والبلاغة[1].

---

(١) يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف ا المفردات، وإنما يوصف ا الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها.
وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين: «الفصاحة والبلاغة ترجِعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له».
وقال الرازي في اية الإيجاز: «وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة».
وقال الجوهري في كتاب الصحاح: «الفصاحة هي البلاغة».

مقدمة[١]
في معرفة الفصاحة والبلاغة
الفصاحة

تعريفها: الفصاحة تطْلَق في اللغة على معانٍ كثيرة، منها: البيان والظهور، قال الله تعالى: **وأخِي هارُونُ هُو أفْصحُ مِني لِسانا** [القصص: ٣٤]، أي أبين مِني قولاً، ويقال: «أفصح الصبي في منطقه» إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وفصح أيضا، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصِح ويبين، وفصح اللحان، إذا عبر عما في نفسه، وأظهره على وجه الصواب دون الخطأ.

وفي اصطلاح أهل المعاني:

عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المُتبادِرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكُتّاب والشعراء لمكان حسنها.

وهي تقع وصفًا للكلمة، والكلام، والمتكلم، حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها أو مسبوكة مع أخوا ا.

---

(١) مقدمة: مشتقة من (قدم) اللازم، وهذه مقدمة كتاب، لأ ا ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له ا وانتفاع ا فيه -بخلاف مقدمة العلم؛ فهي معانٍ يتوقف الشروع عليها كبيان حد العلم المشروع فيه وموضوعه وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدرا، وأرسخها أصلاً، وأبسقها فرعا، وأحلاها جني، وأعذ ا وردا، لأ ا العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معاد ا، وتريك محاسن النكت في مكامنها (ولولاها لم تر لسانا يحوك الوشي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويريك بدائع مِن الزهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر)، فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظّار، واللآلئ التي تتطلبها غاصة البحار، لهذا كانت منـزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة سلامتها من أربعة عيوب:

١- تنافر الحروف. ٢- غرابة الاستعمال.

٣- مخالفة القياس. ٤- الكراهة في السمع[(١)].

الأول: **تنافر الحروف**: هو وصف في الكلمة يوجب ثِقَلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان؛ سبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج.

وهو نوعان:

١- **شديد** في **الثقل**: كالظش (للموضع الخشن)، ونحو: هعخع (لنبت ترعاه الإبل) من قول أعرابي:

تركــتُ نــاقتي ترعــى الهُعخُــع

٢- **خفيف**: كالنقنقة «لصوت الضفادع»، والنقَّاخ «للماء العذْب الصافي»، ونحو: مستشزرات «بمعنى مرتفعات»، من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه:

غَدائرهُ مُستشــزِرات إلى العُــلا تضِل العُقاص في مُثَنى ومُرسل[(٢)]

ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سِوى الذّوق السليم والحِسّ الصّادق النّاجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم[(٣)].

---

(١) وبذلك تسلَم مادتها وصيغتها ومعناها من الخَلل -واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائما قرب مخارج الحروف، إذ قر ا لا يوجبه دائما، كما أن تباعدها لا يوجب خفتها، فها هي كلمة «بفمي» حسنة وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعدة المخارج، وأيضا ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها.

(٢) «الغدائر» ضفائر، والضمير يرجع إلى (فرع) قبله في بيت سابق. (والاستشزار) الارتفاع. (والعقاص) جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر. (والمثنى) الشعر المفتول. (والمرسل) ضده. أي: ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوي.

(٣) الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان: أحدهما: ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي، والآخر: ما تداول استعماله السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب، لأنه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي. ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل =

الثاني: **غَرابة الاستعمال**: وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفُصحاء، لأن المعول عليه في ذلك استعمالهم.

والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة. وذلك في الألفاظ المشتركة كمسرج من قول رؤبة بن العجاج:

ومُقْلَـةً وحاجِبـاً مُزججـاً   وفاحِمـاً ومرسِـناً مُسـرجا[1]

فلا يعلم ما أراد بقوله: «مسرجا»، حتى اختلف أئمة اللغة في تخريجه، فقال ابن دريد: «يريد أن أنفه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي» .

وقال «ابن سيدة»: «يريد أنه في البريق واللمعان كالسراج»[2]، فلهذا يحتار السامع في

=

على أنه حسن؛ بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنا، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحا، والاستعمال ليس بدليل على الحسن؛ فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وإنما نستعمله لضرورة؛ فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال، واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب؛ لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه -ألا ترى أن لفظة «المزنة» مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد في حسنها، وكذلك لفظة «البعاق»؛ فإ ا قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم؛ فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبح، ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها؛ بل يعاب مستعملُها ويغلظ له النكير حيث استعملها؛ فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك، ويثقل عليك النطق به، وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله؛ فتارة يخف على سمعك، ولا تجد به كراهة، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة، وذلك في اللفظ عيبان: كونه غريب الاستعمال، وكونه ثقيلاً على السمع كريها على الذوق. وليس وراءه في القُبح درجة أُخرى، ولا يستعمله إلا أجهلُ الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً - انتهى عن المثل السائر بتصرف.

(١) مزججا: مدققًا مطولاً، (فاحما) شعرا أسودٍ كالفحمة، (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر، أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس، ومعناه: أنفًا ذا لمعان كالسراج، أو ذا صقالة وإحديداب كالسيف السريجي أي: المنسوب إلى سريج، وهو قين حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

(٢) أي ولفظة «مسرج» غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر؛ لأن «فعل» إنما يدل على مجرد النسبة، وهي لا

=

فهم المعنى المقصود؛ لتردد الكلمة بين معنيين بدون قرينة تعين المقصود منهما.

فلأجل هذا التردد، ولأجل أن مادة «فعل» تدل على مجرد نسبة شيء لشيء لا على النسبة التشبيهية، كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة، فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة كلفظة «عزر» في قوله تعالى: **فَالَّذِين آمَنُوا بِهِ وعَزَّرُوهُ ونصَرُوهُ** [الأعراف: ١٥٧] فإ ا مشتركة بين التعظيم والإهانة -ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يعاب استعماله لاحتياج إلى تتبع اللغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم (قواميس متن اللغة الطويلة).

(أ) فمنه ما يعثر- فيها على تفسير بعد كد وبحث نحو: «تكأكأتم» «بمعنى اجتمعتم» من قول عيسى بن عمرو النحوي[1]: «ما لكم تكأكأتم[2] علي كتكأكئكم على ذي جِنة[3]. افْرنقِعوا عني»[4].

ونحو: «مشمخِر» في قول بشر بن عوانة يصف الأسد:

فخــر مُــدرجا بــدمٍ كــأني هــدمتُ بــه بنــاءً مُشــمخِرا

(ب) ومنه مالم يعثر على تفسيره، نحو (جحلَنجع) من قول أبي الهَميسع:

مِن طَمحةٍ صبِيرها جحلَنجــع[5] لم يحضــها الجــدول بــالتنوع

=

تدل على التشبيه؛ فأخذه منها بعيد؛ لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة؛ لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة، ومثله قول الشاعر:

لو كنتُ أعلم أن آخِر عهــدِكُم يوم الرحيل فعلْــتُ مــا لم أفعــل

فلا يعلم ماذا أراد بقوله: فعلت ما لم أفعل -أكان يبكي إذا رحلوا؟ أم كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه؟ أم يتبعهم إذا ساروا؟ أم يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل؟.

(١) وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

(٢) اجتمعتم، والفعل كأكأ وزنه: فَعلَلَ.

(٣) جنون.

(٤) انصرفوا.

(٥) الطمحة: النظرة، والصبير: السحاب المتراكم، وقبله:

أنْ تمنعي صوبك صــوب المــدمع يجري على الخد كضــئب الثعْــع

=

الثالث: «**مخالفة القياس**»: كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب، بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع[1] مثل (الأجلَل) في قول أبي النجم:

الحمـــدُ لله العلـــى الأجلَـــل   الواحـــدِ الفَـــردِ القَـــدِيم الأول

فإن القياس «الأجل» بالإدغام، ولا مسوغ لفَكهِ.

وكقطع همزة الوصل في قول جميل:

ألا لا أرى اثنين أحســن شِــيمة   على حدثان الدهر مني ومن جُمل[2]

يستثْنى من ذلك: ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفًا للقياس.

ولم يخرج عن الفصاحة لفظتا «المشرق والمغرب» بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا «المدهن والمنخل»، والقياس فيهما (مِفْعل بكسر الميم وفتح العين)، وكذا نحو قولهم: «عوِر» والقياس عار، لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها.

الرابع: «**الكراهة في السمع**»: كون الكلمة وحشية تأنفها الطباع، وتمجها الأسماع، وتنبو عنها كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجِرشي للنفس) في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة:

مُبــاركُ الاســم أغَــر اللقَــب   كَريمُ الجِرشي شَــريفُ النســب

=

الضئب: الحب، والثعثع: اللؤلؤ -قال صاحب القاموس: «ذكروا جحلنجع، ولم يفسروه، وقالوا: كان أبو الهميسع من أعراب مدين، وكنا لا نكاد نفهم كلامه» ا.هـ .

(١) اعلم أن ما ثبت عن الواضع -موافقًا أو مخالفًا للقياس -فصيح؛ فمثل: (آل وماء) أصلهما «أهل وموه»؛ أبدلت الهاء فيهما همزة. وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع، ومثل: (أبى يأبى) بفتح الباء في المضارع والقياس كسرها فيه؛ لأن «فَعل» بفتح العين لا يأتي مضارعه علي «يفعل» بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق «كسأل ونفع»؛ فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس إلا أن الفتح ثبت عن الواضع، مثل (عور يعور) أي فالقياس فيهما «عار يعار» بقلب الواو ألفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها؛ فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(٢) الشيمة: الخلق، والحدثان: نوائب الدهر، وجمل: فرسه.

تطبيق (١)

ما الذي أخل بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه: «أإن سألتك ثَمن شكْرِها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلُها»[١].

وقال بعض أمراء العرب وقد اعتلت أمه فكتب رِقاعا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام: «صين امرؤ ورعا دعا لامرأة إنقحلة[٢] مقسئنة[٣] قد مِنيت بأكل الطرموق[٤] فأصابها من أجله الاستمصال[٥]- بأن يمن الله عليها بالإطرِعشاش[٦] والإبرِغْشاش». و«أسمع جعجعة[٧] ولا أرى طحنا»، و«الإسفِنطُ[٨] حرام»، «وهذا الخنشليلُ[٩] صقيل»، «والفَدوكَس مفترس»[١٠].

«يوم عصبصب، وهِلوف ملأ السجسج طَلا»[١١].

أمِنا أنْ تُصرع عن سماحٍ وللآمال في **يدِك اصطِراعُ**[١٢]

وقال الفرزدق:

---

(١) الشكر: الرضاع، والشبر: النكاح، وتطلها: تسعى في بطلان حقها، وتضهلها: تعطيها الشيء القليل.

(٢) يابسة.

(٣) مسنة عجوز.

(٤) ابتليت بأكل الطين.

(٥) الإسهال.

(٦) الإطرعشاش: البرء، وكذا معنى ما بعده.

(٧) جعجعة: غير فصيحة؛ لتنافر حروفها، وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.

(٨) الإسفنط: الخمر.

(٩) الخنشليل: السيف.

(١٠) الفدوكس: الأسد، فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة.

(١١) شديد البرد فيهما، والسجسج: الأرض التي ليست بسهلة ولا صلبة.

(١٢) أراد أ م أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماح ويمنعه منه -وأما قوله: (وللآمال في يدك اصطراع)؛ فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده -يريد كثرة نواله وكرمه، واستعماله للفظة الاصطراع ذا المعنى بعيد.

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم — خُضع الرقاب نواكِس الأبصار[١]

وقال أبو تمام:

قد قُلت لما اطلخم الأمرُ وانبعثت — عشواءُ تالِية غُبسا دهاريسا[٢]

وقال شمر:

وأحمق ممن يكْرَعُ الماء قال لي — دع الخمر واشرب من نُقاخ مُبردِ[٣]

يظل بموماة ويُمسي بغيرها — جحِيشا ويعرورى ظهُور المسالك[٤]

فلا يُبرمُ الأمرُ الذي هو حالل — ولا يُحللُ الأمرُ الذي هو يُبرمُ[٥]

مُقابِلٌ في ذُرا الأذْواء منصبه — عيصا فعيصا وقُدمُوسا فقُدموسا

وقال أبو تمام:

نعم متاع الدنيا حباك به — أورعُ لا جيدر ولا جبسُ

وقال امرؤ القيس: «رب جفْنة مثْعنجِرة، وطعْنةٍ مسحنِفرة، وخطبة مستحضرة،

---

(١) فقد جمع (ناكس) على (فواعل)؛ وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك)، والناكس: مطأطئ الرأس.

(٢) قال صاحب المثل السائر: إن لفظ (اطلخم) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في: أنها غريبة، وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق، وكذلك لفظة (دهاريس). واطلخم: أي اشتد وعظم، والعشواء: الليلة المظلمة، والغبسة: جمع أغبس وغبساء، وهي الشديدة الظلام مثلها -والدهاريس: جمع دهريس، وهي الدواهي.

(٣) الماء العذب الصافي.

(٤) الموماة: المفازة الواسعة، ويقال للمستبد برأيه: جحيش، ويقال: اعرورى الفرس؛ ركبها عريانا. وإن لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة -وياالله العجب أليس أنها بمعنى فريد ؟! وفريد لفظة حسنة رائقة، ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه؛ فتأبط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع: أحدهما: أنه استعمل القبيح، والآخر: أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه.

(٥) العيب في هذا البيت من حيث فك الإدغام في : «حالل ويحلل» بلا مسوغ ، وهو مخالف للقياس الصرفي.

وقصيدةٍ محبرة تبقى غدا بأنقرة[١] «أكلت العرين، وشربت الصمادح»[٢]، «إني أنشدت لاحبنطي[٣] نزل بزيد داهية خنفقيق[٤]، وحلّ به عنقفير، لم يجد منها مخلصا. رأيت ماء نقاخا[٥] ينباع[٦] من سفح جبل شامخ. إخالُ أنك مصوون[٧] - البعاق[٨] ملأ الجردحلَ».

فإنْ يكُ بعضُ الناس سيفًا لدولةٍ ... ففي الناس بُوقات لها وطُبولُ[٩]

نقي تقي لم يُكثر غنيمة ... بنكهة ذي القربى ولا بحقلد

إن بني للئام زهده ... ما ليَ في صُدُورهم من مودده[١٠]

رمتني مي بالهوى رمي ممضغ ... من الوحش لوطٌ لم تعقه الأوالس[١١]

بعينين نجلاوين لم يجر فيهما ... ضمان وجيد حلي الدر شامسُ[١٢]

«علمي إلى علمك كالقرارة في المُثْعنجر»[١٣].

---

(١) يريد جفنة (صحفة) كبيرة ملأى تشبع عشرة، والمثعنجرة: السائلة، والمسحنفرة: الماضية بسرعة، وطعنة: متسعة ببلد أنقرة، وهو كلام امرئ القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه، فهوته بنت الملك، وبلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بنجدته، فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك، فقال: رب إلخ...

(٢) تريد اللحم والماء الخالص.

(٣) احبنطي: انتفخ بطنه.

(٤) دهياء.

(٥) عذبا.

(٦) ينبع ويسيل.

(٧) «مصوون» ليست فصيحة؛ لمخالفتها للقياس الصرفي.

(٨) البعاق: مطر السحاب، والجردحل: الوادي، وليستا فصيحتين لغرابتهما.

(٩) بوقات: مزامير. والقياس في جمعه أبواق.

(١٠) القياس مودة بالإدغام.

(١١) لوط: لازق، والأوالس: النياق.

(١٢) ضرب من القلائد.

(١٣) المثعنجر: لفظة متنافرة - والمعنى: إن علمي مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعا في جانب البحر.

إن بعضا مـن القـريض هُـراءٌ ... لـيس شـيئًا وبعضُـه أحكـامُ
فيه ما يجلُب البراعـة والفهـ ... ـم وفيه ما يجلُـب البِرسـامُ[1]
ومن الناس مـن تجـوزُ علـيهم ... شُـعراء كأ ـــا الخازبـــازُ[2]

(١) القريض: الشعر، والهراء: الكلام الفاسد الذي لا نظام له، وأحكام: جمع حكم، والمراد الحكمة، والبرسام: (بفتح الباء وكسرها) التهاب الصدر.
(٢) الخازباز: صوت الذباب، وتجوز: تروح، وتقبل.

تطبيق (٢)

ما الذي أخل بفصاحة الكلمات فيما يلي:

يا نفسُ، صبرا كل حي لاق ... وكل اثنين إلى افتراق

أبعد بعِدت بياضا لا بياض لهُ ... لأنت أسودُ في عيني مِن الظلم(١)

لا نسب اليوم ولا خُلة ... إتسع الفتقُ على الراقع(٢)

فأيقنتُ أني عِند ذلك ثائر ... غداتئذ أو هالك في الهوالك(٣)

مهلاً أعاذِلَ، قد جربتِ مِن خُلقي ... أني أجودُ لأقوامٍ وإن ضنِنُوا

تشكو الوجى مِن أظلُلٍ وأظلل ... من طول إملالٍ وظهرٍ مُملِلٍ(٤)

---

(١) الظلم: الليالي الثلاث آخر الشهر، ولابياض له: لا حسن له. قاله المتنبي يخاطب الشيب له، وخالف القياس في الأسود؛ لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(٢) الخلة: الصداقة، والفتق: الشق، والراقع: مصلح الفتق، وقد خالف القياس في إتسع، حيث قطع همزة الوصل.

(٣) هوالك: فواعل. لا يطرد في وصف العاقل كما هنا.

(٤) الوجى: الجفا، والأظلل: باطن خف البعير، وخالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات

الأول: من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كو ا مبتذلة (أي عامية ساقطة) مثل: «القالق والشنطار» ونحوهما، والابتذال ضربان:

١- ما استعملته العامة ولم تغيره عن وضعه؛ فسخف وانحطت رتبته، وأصبح استعماله لدى الخاصة معِيبا كلفظة البِرسام في قول المتنبي:

إن بعضا مِن القريض هُراءُ ... ليس شيئًا وبعضُه أحكامُ

فيه ما يجلبُ البراعةُ والفهـ ... ـم وفيه ما يجلب البِرسام

وكلفظة الخازباز في قوله:

ومن الناس من تجوزُ عليهم ... شُعراءٌ كأ ا الخازباز

٢- ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضِع له وليس بمستقْبح ولا مكروه، كقول المتلمس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بِناج عليه الصيعرية مكْدمُ

وكقول أبي نواس:

اختصم الجود والجمالُ ... فيك فصارا إلى جِدال

=

(١) وقال ابن جحدر:

حلفتُ بمـا أرقلـت حولـه همرجلـة خلقُهـا شـيظم
ومـا شـبرقت مـن تنوفيـةٍ بها مِن وحى الجِـن زيزيـزمُ(١)

(٢) وقال ذو الرمة:

حتى إذا الهَيقُ أمسى شام أفرُخـهُ وهُن لا مُؤيس نأيا ولا كثـبُ(٢)

وقال أبو نواس:

يـا مـن جفـاني ومـلا نسـيت أهـلاً وسـهلاً

=

فقـال هـذا: يمينـه لي للعُـرف والبـذْل والنـوال
وقـال هـذاك وجهـه لي للظـرف والحسـن والكمـال
فافترقـا فيـك عـن تـراض كلاهمـا صـادقُ المقـال

فوصف في الأول البعير بالصيعرية وهى مختصة بالنوق، وفي الثاني الوجه بالظرف وهو في اللغة مختص بالنطق.

الثاني: لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشيء أو المعنى المراد في الذهن.

الثالث: لا تستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة -وقد تقدم ذلك مفصلاً.

(١) الإرقال: الإسراع، الهمرجلة: الناقة السريعة، الشيظم: الطويل الجسيم من الإبل والخيل، شبرقت: قطعت، التنوفية والتنوفة: المفازة، الوحى: الصوت الخفي، زيزيزم: حكاية أصوات الجن.

(٢) الهيق: الظليم (ذكر النعام)، شام البرق: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر، واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ، النأي: البعيد.

تدريب (١)

ما الذي أخل بفصاحة الكلمات فيما يلي:

(١) قال النابغة الذبياني:

أو دُميــة في مرمــرٍ مرفوعــة ... بُنيت بـآجُر يُشـادُ بقَرمـدِ[1]

(٢) وقال أبو تمام:

لك هضبةُ الحِلْمِ التي لو وازنـت ... أجأ إذًا ثَقُلَـت وكـان خفيفًـا

وحلاوةُ الشيم التي لو مازجـت ... خُلق الزمان القَدِمِ عاد ظَرِيفًـا[2]

(٣) وقال المتنبي:

يُوسـطه المفَـاوز كـل يـومٍ ... طِـلابُ الطَّـالِبين لا الانتِظـارُ

تدريب (٢)

ما الذي أخل بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

(١) لم **يلقها إلا بشِـكةِ باسِـلٍ** ... يخشى **الحوادِث حازمٍ مُستعدِدِ**[3]

(٢) **وأصبح مبيض الضريب كأنه ... على سروات البيت قُطن مُندفُ**[4]

(٣) **فأيقَنتُ أني عند ذلك ثـائر ... غَداتئذٍ أو هالِك** في **الهَوالِـكِ**[5]

---

(١) الدمية: الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم. تضرب مثلًا في الحسن. المرمر: الرخام. الآجر: ما يبنى به، القرمد: (بفتح القاف) ما يطلى به للزينة، وقيل: حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها، وقيل: الخزف المطبوخ.

(٢) الهضبة: الرابية، أجأ: جبل، القدم: الغليظ الجافي -وصف الشيم بالحلاوة وهي خاصة بالعينين، وخلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق.

(٣) الشكة: الخصلة. الباسل: الشجاع.

(٤) قائله الفرزدق، الضريب: الشبيه والمثيل، سروات البيت: أعاليه، مندف: مندوف من قولهم: ندف القطن ضربه بالمندف.

(٥) الثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره.

(٤) **وملمومــةٍ ســيفية ربعيــة** **يصيح الحصا فيها صياح اللقالق**[١]

(٥) **وألقى بصحراء الغبيط بعاعهُ** **نُزول اليماني ذو العياب المحمل**[٢]

(٦) **ليس التعللُ بالآمال من أربى** **ولا القُنوع بضنكِ العيش من شيمي**[٣]

---

(١) قائله المتنبي، ملمومة: كتيبة مجتمعة، سيفية: نسبة لسيف الدولة، ربعية: نسبة إلى ربيعة قبيلته، اللقالق: جمع لقلقة، وهي صوت اللقلاق (طائرا) أوهي كل صوت فيه اضطراب وحركة.

(٢) قائله امرؤ القيس، الغبيط: الأرض المطمئنة، وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفها. البعاع: ثقل السحاب من المطر، يقال: بع السحاب يبع بعا وبعاعا؛ إذا ألح بمكان، وألقى عليه بعاعه أي ثقله. العياب: جمع عيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب، يقال: جعل الرجل خير متاعه في عيبته. والمحمل: يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلاً -وبفتحها على جعله جملاً -والمعنى: أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نــزل الرجل في ذلك الموضع، وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله.

(٣) القنوع: المسألة. يقال: قنع قنوعا، إذا سأل. والمراد القناعة.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه، ويحول دون المراد منه[١] - وتتحقّق فصاحته بخلُوه مِن ستة عيوب:

١- **تنافُر الكلمات مجتمعة.** ٢- **ضعف التأليف.**
٣- **التعقيد اللفظي.** ٤- **التعقيد المعنوي.**
٥- **كثرة التكرار**[٢]. ٦- **تتابع الإضافات.**

الأول: «**تنافر الكلمات مجتمعة**»: أن تكون الكلمات ثقيلة -من تركيبها مع بعضها- على السمع، عسرة النطق بها مجتمعة على اللسان، (وإنْ كان كل جزءٍ من الكلام على انفراده فصيحا)- والتنافر نوعان:

أ - شديد الثقل، كالشطر الثاني في قوله:

وقبــرُ حــربٍ بمكــان قفْــر وليس قُربَ قَبرِ حــربٍ قــبرُ[٣]

ب- وخفيف الثقل، نحو قول أبي تمام:

كــريم مــتى أمدحــهُ والــورى معي وإذا ما لمته لمته وحــدِي[٤]

---

(١) المراد بفصاحة الكلام أن يكون: واضح المعنى، سهل اللفظ، حسن السبك؛ ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها، جارية على القياس الصرفي، عذبة سلسة، كما يكون تركيب الكلمات جاريا على القواعد النحوية، خاليا من تنافر الكلمات مع بعضها ومن التعقيد -فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفردة أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد، والذوق السليم).

(٢) الحق أن هذين العيبين (٥، ٦) قد احترز عنهما بالتنافر -على أن بعضهم أجازهما؛ لوقوعهما في القرآن في قوله تعالى: **ونفْسٍ وما سواها** [الشمس: ٧]، الآيات -وفي قوله تعالى: **ذِكْرُ رحمةِ ربك عبدهُ زكريا** [مريم: ٢].

(٣) حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت، وهو هاتف من الجن صاح عليه. (وقفر) خال من الماء والكلأ، وقبر: اسم (ليس) مؤخر، وقرب: خبرها مقدم -قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه؛ لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها يحدِثان ثقلاً ظاهرا، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة.

(٤) أي هو كريم؛ إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ويمدحونه معي؛ لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إلى، وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه؛ لعدم وجود المقتضي للوم فيه -وآثر «لمته» على «هجوته» =

الثاني: «ضعف التأليف»: أن يكون الكلام جاريا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء: كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعراف منهما على الأعراف، مع أنه يجب الفصل في نحو هذا، كقول المتنبي:

خلتِ البلادُ من الغزالــةِ ليلَهــا ... فأعاضهاك الله كــي لا تحزنــا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظًا ورتبة وحكما في غير أبوابه[١] نحو:

ولو أنّ مجدا أخلد الدهر واحــدا ... من الناس أبقى مجدُه الدهر مُطعِما[٢]

الثالث: «التعقيد اللفظي»: هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني.

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير، أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض)[٣] وهو مذموم، لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه - كقول المتنبي:

=

مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو، ولو فرط منه شيء؛ فإنما يلام عليه فقط. والثقل في قوله: «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما، وهما من حروف الحلق، كما ذكره الصاحب إسماعيل بن عباد.

(١) المجموعة في قول بعضهم:

ومرجــع الضــمير قــد تــأخرا ... لفظــا ورتبــة وهــذا حُصــرا

في باب نعــم، وتنــازع العمــل ... ومضمر الشأن، ورُب، والبــدل

ومبتــدا مفســر بالخبر ... وبــاب فاعــل بخلــف فــاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشئ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر -أما إذا خالف المجمع عليه -كجر الفاعل ورفع المفعول -ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له صحة واعتبار.

(٢) فإن الضمير في (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر في اللفظ كما يرى وفي الرتبة، لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح، ومطعم: أحد رؤساء المشتركين وكان يدافع عن النبي ج. ومعنى البيت: أنه لو كان مجد الإنسان سببا لخلوده في هذه الدنيا، لكان مطعم بن عدِي أولى الناس بالخلود، لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره.

(٣) وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه، وبين المبتدأ والخبر، وبين المستثنى والمستثنى منه، مما يسبب ارتباكًا واضطرابا شديدا.

جفَخت - وهُم لا يجفَخُونَ بها - بهم شِيم على الحسب الأغَر دلائل[١]

أصله: جفخت (افتخرت) بهم شِيم دلائل على الحسبِ الأغر، وهم لا يجفخون بها.

الرابع: «التعقيد المعنوي»: وهو كون التركيب خفِي الدلالة على المعنى المراد[٢] لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود، بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود «بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم عرفًا»[٣] كما في قول عباس ابن الأحنف:

سأطلبُ بُعد الدارِ عنكُم لِتقْرُبوا وتسكُبُ عيناي الدموع لِتجمُدا[٤]

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الحزن والكَمدِ فأحسن وأصاب في ذلك، ولكّنه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عما يوجبه التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحِبّته، وهو خفي وبعيد[٥]، إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدعاء

(١) فلفظة «جفخت» مرةُ الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها، ولو استعمل المتنبي عِوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، وحظِي في استعماله بالأحسن.

(٢) بحيثُ يعمِد المتكلم إلى التعبير عن معنى، فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده، فيضطرب التعبير، ويلتبس الأمر على السامع نحو: «نشر الملك ألسنته في المدينة»، تريد جواسيسه، والصواب: نشر عيونه.

(٣) فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم لا كثرة الوسائط الحسية، فإنما قد تكثر من غير صعوبة كما في قولهم: فلان كثير الرماد: كناية عن المضياف، فإن الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

(٤) تسكب بالرفع: عطف على «أطلب»، وبالنصب: عطف على «بعد» من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. والمراد طلب استمرار السكب لا أصله، لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

(٥) ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد، لأنه يحتاج إلى وسائط بأنه ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقًا، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فإن ذلك هو السبب غالبا في الدمع»، ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور -ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط، فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد -وخالف حينئذ أسلوب البلغاء، فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أنْ يرضى بالبعد والفراق، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق، ويتحمّلَ من أجلها حزنا يفيض من عينيه الدموع، ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول - على حد قول الشاعر:

=

لشخص بالسرور أن يقال له: جمدت عينك، أو: لا زالت عينك جامدة. بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعــيني، جُــودا ولا تجمُــدا   **ألا تبكيــان لصــخر النــدى**

وقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة:

ألا إن عينا لم تُجد يــوم واسِــطٍ   **عليك بجاري دمعِها لَجمــودُ**(١)

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض، ويغيرها المتكلم، ويريد ا أغراضا أخرى -تعتبر خروجا عن سنن العرب في استعمالا م، ويعد ذلك تعقيدا في المعنى، حيث لا يكون المراد ا واضحا.

الخامس: «كثرة التكرار»(٢): كون اللفظ الواحد -اسما كان أو فعلاً أو حرفًا، وسواء أكان الاسم ظاهرا أو ضميرا -تعدّد مرة بعد أخرى بغير فائدة -كقوله:

إني وأســطارٍ سُــطرنَ ســطْرا   **لَقائلٌ يــا نصــرُ نصــر نصــرا**

وكقول المتنبي:

أَقِلْ أَنِلْ أقْطِع احملْ عل سل أعِد   **زِد هش بش تفضلْ أدن سُر صل**

وكقول أبي تمام في المديح:

كأنه في اجتماع الروح فيــه لَــهُ   **في كل جارحةٍ من جســمِهِ رُوحُ**

السادس: «تتابعُ الإضافات»: كون الاسم مضافًا إضافةً متداخلة غالبا، كقول ابن بابك:

حمامةَ جرعا حومةِ الجَندل اسجعِي   **فأنتِ بمرأى مِن سُعاد ومسمعِ**(٣)

=

ولطالما اخترت الفِــراق مغالطًــا   **واحتلتُ في استثمار غَرس ودادي**

ورغبتُ عن ذِكْر الوصــال لأ ــا   **تبني الأمور على خلاف مُــرادِي**

(١) أي البخيلة بالدموع.

(٢) المراد بالكثرة هاهنا ما فوق الواحدة، فذكر الشيء، ثانيا تكرار، وذكره ثالثًا كثرة، وإنما شرطت الكثرة، لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

(٣) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا، وهو تأنيث الأجرع، وهو المكان ذو الحجارة السود أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئًا، «جرعا» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء، «وحومة» مضاف إلى =

تطبيق

بين العيوب التي أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

لك الخيرُ غيري رام مِن غيرك ... وغيري بغير اللاذقية لاحقُ

وازور من كانَ له زائرا ... وعاف عافي العُرف عِرفانه(١)

أنى يكونُ أبا البرايا آدمُ ... وأبوك والثقلان أنت محمدُ(٢)

ومن جاهل بي وهو يجهلُ جهلَه ... ويجهل عِلمي أنه بِي جاهلُ

وقَلْقلت بالهم الذي قَلْقَلَ الحَشا ... قَلاقِلَ هَم كلهن قلاقِلُ

وما مِثلُه في الناس إلا مُملكًا ... أبو أمِهِ حي أبوه يُقاربُه(٣)

إلى مَلِكٍ ما أمُهُ مِن مُحارِبٍ ... أبوه ولا كانت كُلَيب تصاهرُه(٤)

ليس إلاك يا علي هُمام ... سيفُه دُونَ عِرضِهِ مَسلولُ(٥)

=

«الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال -وقوله: «فأنت بمرأى من سعاد ومسمع» أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك، يقول: اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

(١) العيب في تنافر الكلمات، والمعنى: انحرف عنه من كان يزوره، وكره طالب الإحسان معرفته.

(٢) يريد: كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد، وأنت الثقلان (أي الإنس والجن)، يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال -وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما «أبوك محمد»، وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس في قوله: «والثقلان وأنت»، على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

(٣) يريد: وما مثله في الناس حي «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكًا، أبو أمه أبوه فقدم المستثنى على المستثنى منه، وفصل بين «مثل وحي» وهما بدل ومبدل منه، وبين «أبو أمه وأبوه» وهما مبتدأ وخبر، وبين «حي ويقاربه» وهما نعت ومنعوت، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي. والمعنى: وليس مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام، فضمير «أمه» عائد على المملّك، وضمير «أبوه» عائد على إبراهيم الخال.

(٤) يريد: إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب -أي ما أمه منهم.

(٥) فيه ضعف تأليف؛ حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا، وحقه وضع المنفصل (إياك).

كَسا حِلمُه ذا الحلمِ أثواب سُؤدُدٍ ... ورقى نداهُ ذا الندى في ذُرا ا د[١]

من يهتدِي في الفِعل ما لا يهتدي ... في القول حتى يفعل الشعراءُ[٢]

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِـبر ... وحُسن فعلٍ كما جُوزي سِنمارُ[٣]

وما من فتى كنا من الناس واحدا ... به نبتغي منهم عـدِيلاً نُبادِلُـه[٤]

لما رأى طالبوه مُصعبا ذُعِـرُوا ... وكاد لو ساعد المقـدورُ ينتصـرُ

«نشر الملِك ألسنته في المدينة» مرِيدا جواسيسه، أي والصواب «نشر الملك عيونه»[٥].

لو كنت كنت كتمت السر كنت ... كنا وكنت، ولكن ذاك لم يكـن

ألا ليت شِعري هل يلُومن قومُـهُ ... زُهيرا على ما جرمن كُلّ جانِـب

دانٍ بعيد محـب مـبغض بهـج ... أغر حُلو مُمِـر لـين شـرِس[٦]

لأنت أسود في عيني من الظلم[٧]

وتُسعِدني في غمرةٍ بعـد غمـرةٍ ... سبوح لها منها عليها شـواهدُ[٨]

وليست خراسانُ التي كان خالدُ ... با أسدٍ إذْ كان سيفًا أميرهـا[٩]

---

(١) أي من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة -فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد- فهو المتأخر لفظًا ومعنى وحكما - وكذا الضمير في نداه لذا الندى.

(٢) أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

(٣) العيب فيه من جهة أن ضمير "بنوه" عائد على أبا الغيلان، وهو متأخر لفظًا ورتبة؛ لأنه مفعول، ورتبته التأخر عن الفاعل. وسنمار: رجل رومي بنى قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخرّ ميتا؛ لئلا يبني لغيره مثله.

(٤) أي وما من فتى من الناس نبتغي واحدا منهم عديلا نبادله به.

(٥) لأن الذي يتوصل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون لا الألسنة.

(٦) فيه توالي الصفات، وذلك مما يحدث في الكلام ثقلا، وهذا مما يؤخذ على المتنبي.

(٧) والقياس: أشد سوادا؛ لأنه لا يبنى أفعل التفضيل من الأفعال الدالة على الألوان.

(٨) معنى البيت: وتسعدني بالفوز بالغنائم والنجاة في شدة بعد شدة فرس سبوح، أي: حسنة العدو، لا تتعب راكبها؛ فكأ ا تسبح على الماء.

(٩) خالد وأسد: علمان، والتعقيد فيه نشأ من تقديم "أسد" الذي هو جزء مما أضيف إليه "إذ".

والشمسُ طالعةٌ ليست بكاسـفةٍ تبكي عليك نُجوم الليل والقمرُ[(١)]

أرض لها شرف سـواها مثْلـها لو كان مِثلك في سِواها يوجـدُ

وا دُ لا يُرضى بأنْ ترضى بـأن يرضى المعاشر منك إلا بالرضـا

في رفع عرش الشرع مثلك يشرعُ

ومن لم يذُد عن حوضه بِسـلاحه يُهدم ومن لم يظْلِم الناس يُظلمِ[(٢)]

فأصبحت بعـد خـط بجتـها كأن قفـرا رسـومها قلمـا[(٣)]

ومـا أرضـى لمقلِتـه بحلــمٍ إذا انتبهت توهمـه ابتِشـاكا[(٤)]

---

(١) أي: والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهي تبكي عليك والقمر يبكي عليك أيضا؛ ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التي هي "كاسفة" ومفعولها الذي هو نجوم بجملة "تبكي عليك".

(٢) فيه تعقيد معنوي؛ حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق، وهو بعيد.

(٣) أي: فأصبحت بعد جتها قفرا كأن قلما خط رسومها.

(٤) المقلة: العين، والحلم: الرؤيا التي يراها النائم، وابتشاك: الكذب، قال الصاحب: لم يسمع الابتشاك في شعر قديم ولا محدث.

فصاحة المتكلم

فصاحة المتكلم: عبارة عن الملكة[1] التي يقْتدِر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرضٍ كان.

فيكون قادرا بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام، متمكنا من التّصرف في ضروبه، بصيرا بالخوض في جهاته ومناحيه.

أسئلة على الفصاحة يُطلب أجوبتُها

ما هي الفصاحة لغةً واصطلاحا؟ ما الذي يوصف بالفصاحة؟ بم تخرج الكلمة عن كونها فصيحة؟ ما هي فصاحة المفرد؟ ما هو تنافر الحروف، وإلى كم ينقسم؟ ما هي الغرابة؟ وما موجبها؟ ما هي مخالفة القياس؟ ما هي الكراهة في السمع؟ ما هي فصاحة الكلام، وبم تتحقق؟ ما هو تنافر الكلمات؟ وما موجبه؟ وإلى كم يتنوع؟ ما هو ضعف التأليف؟ ما هو التعقيد؟ وإلى كم ينقسم؟ ما هو كثرة التكرار؟ ما هو تتابع الإضافات؟ ما هي فصاحة المتكلم؟

---

(١) أي: كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادرا بها على أن يعّبر عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح؛ فإذًا المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد، وأن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحا، وأنه لا يكون فصيحا إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسماة بالملكة يقتدر بها على أن يعّبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح، أي خال عن الخلل في مادته وذلك بعدم تنافر كلامه، وعن الخلل في تأليفه وذلك بعدم ضعف تأليفه، وعن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي فإن كان شاعرا اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك، وإن كان ناثرا؛ حاك الرسائل المحلاة، والخطب الممتعة الموشاة في الوعظ والإرشاد، والحفل والأعياد.

البلاغة

البلاغة في **اللغة:** الوصولُ والانتِهاء، يقال: بلغ فلان مراده -إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة- إذا انتهى إليها[١] ومبلَغ الشيءِ: منتهاه.

وتقع في **الاصطلاح:** وصفًا للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة؛ لعدم السماع.

(١) البلاغة: هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته فسمّيت البلاغة بلاغة؛ لأ ا تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسمّيت البلغة بلغة؛ لأنك تتبلغ ا فتنتهي بك إلى ما فوقها -وهي البلاغ أيضا.ويقال: الدنيا بلاغ؛ لأ ا تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضا التبليغ ومنه **هذَا بلاغٌ لِلناس** أي: تبليغ [إبراهيم: ٥٢] ويقال: بلُغ الرجل بلاغة إذا صار بليغا، كما يقال: نبل الرجل نبالة، إذا صار نبيلا، قال أعرابي: البلاغة: التقرب من البعيد، والتباعد من الكلفة، والدّلالة بقليل على كثير. وقال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة: تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام. وقال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة: تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام. وقال ابن المعتز: البلاغة: البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام. وقال العتابي: البلاغة: مد الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال. وقال عبد الله بن المقفع: البلاغة: لمعان تجري في وجوه كثيرة -فمنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ -والإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يسمى بلاغة مجازا وهي في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج إما عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى وإذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر؛ فالسكوت أولى.

بلاغة الكلام

البلاغة في **الكلام:** مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب(١)، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

وحال الخطاب: «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة.

والمقْتضى: «ويسمى الاعتبار المناسب» هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

مثَلا: «المدح» حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، و«ذكاء المخاطب» حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء «حال ومقام»، وكل من الإطناب والإيجاز «مقتضى».

وإيراد الكلام على صورة الإطناب(٢) أو الإيجاز «مطابقةٌ للمقْتضى». وليست البلاغة(٣)

---

(١) مقتضى الحال: هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، (أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص)، ولن يطالق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقا م في البلاغة وقو م في البيان والمنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه والغرض الذي يبنى له، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسدّ مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبار والمقتضيات، وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح، ويرتقي صعدا إلى حيث تنقطع الأطماع، وتخور القوى، ويعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وتلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة. وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أرقى العصور فصاحة، وأجملها بلاغة. ولكنه سد السبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق، فوجفت قلو م وخرست شقاشقهم مع طول التحدي وشدة النكير، (وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا).

(٢) فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير -ولكل مقام مقال، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال: وهو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه، وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى: المقتضى -أو الاعتبار المناسب، فمثلاً الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخما جزلاً، والبشارة بالوعد واستجلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه، والوعظ مقام يوجب البسط والإطناب، وكون المخاطب عاميا سوقيا أو أميرا شريفًا يوجب الإتيان بما يناسب بيانه وعقله.

(٣) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن -وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطًا في البلاغة، لأن الكلام =

إذًا منحصرة في إيجاد معانٍ جليلة ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرا ثالثًا هو «إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ، مما يكسبها قوة وجمالاً».

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم: هي ملَكة في النفس[1] يقتدر صاحبها ا على تأليف كلام بليغ: مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أيّ معنى قَصده.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبرا وعرف سنن تخاطُبهم في منافرا م، ومفاخرا م، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم، ليلبس لكل حالة لبوسها، «ولكل مقام مقال».

=

إذا كانت عبارته رثة ومعرضة خلِقًا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.

فعناصر البلاغة: إذًا «لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنـزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم»، فرب كلمة حسنت في موطن ثم كانت مستكرهة في غيره، ورب كلام كان في نفسه حسنا خلابا حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقط في غير مسقطه، خرج عن حد البلاغة، وكان غرضا لسهام الناقدين.

(١) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبّر عن المعاني التي يريد إفاد ا لغيره بعبارات بليغة (أي مطابقة لحال الخطاب)، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر ا على التصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغا من مخاطَبه كل ما يريد، لم يكن بليغا -وإذًا لابد للبليغ أوّلاً: من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك، عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفًا يكسبها جمالاً وقوة. فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامهما. وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم، لأ ا مأخوذة في تعريف البلاغة -وأن البلاغة -يتوقف حصولها على أمرين: الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره -لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعي فيه مقتضيات الحال وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية. وأعلى تلك الدرجات: ما يقرب من حد الإعجاز، وأسفلها: ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم، وإن كان صحيح الإعراب، وبين هذين الطرفين مراتب عديدة.

تمرين

بين الحال(١) ومقتضاه فيما يلي:

هناءٌ محـا ذاك العـزاءَ المقـدما فما عبس المحزونُ حـتى تبسـما

٢- تقول للراضي عن إثارة الحروب: «إن الحرب متِلفةٌ للعباد، ذهابةٌ بالطّارف والتّلاد».

٣- يقول الناس إذا رأوا لصا أو حريقًا: «لِص، حريق».

٤- قال تعالى: **وأنا لا ندري أشر أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهُم رشدا** .

٥- يقول راثي البرامِكة:

أصِبتُ بسـادةٍ كـانوا عيونـا بهم نُسـقى إذا انقطـع الغمـامُ

إجابة التمرين

١- الحال هنا: هو تعجيل المسرة - والمقتضي: هو تقديم الكلمة الدالة على السرور، «وهي كلمة هناء».

٢- الحال هنا: هو إنكار الضرر من الحرب -والمقتضى: هو توكيد الكلام.

٣- الحال هنا: هو ضيق المقام -والمقتضى: هو الاختصار بحذف المسند إليه، والتقدير «هذا لص. هذا حريق».

٤- الحال في (أشرّ أريد) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى. والمقتضى: هو حذف الفاعل، إذ الأصل «أشر أراده الله بمن في الأرض». والحال في **أم أراد بهم ربهُم رشدا** [الجن: ١٠] هو نسبة الخير إلى الله تعالى. والمقتضى: إبقاء الفاعل من غير حذف.

٥- الحال هنا: هو الخوف من الرشيد ناكب البرامكة، والمقتضى: حذف الفاعل من «أُصبت».

(١) الذوق في اللغة: الحاسة يدرك بها طعم المأكل. وفي الاصطلاح: قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية. وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه -وأيضا تحصل بتنـزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق، فإن ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق.

واعلم: أن الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه، لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغِربان ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف -ألا ترى أن كلمتي «المزنة والديمة» (للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة «البعاق» التي في معناها فإنها قبيحة تصك الأذن؟ وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك، وقد سبق شرح ذلك.

ملاحظات

التنافر: يعرف بالذوق السّليم، والحِس الصّادق.
مخالفة القياس: تعرف بعلم الصرف.
ضعف التأليف، والتعقيد اللفظي: يعرفان بعلم النحو.
الغرابة: تعرف بكثرة الاطلاع على كلام العرب، والإحاطة بالمفردات المأنوسة.
التعقيد المعنوي: يعرف بعلم البيان.
الأحوال ومقتضيا ا: تعرف بعلم المعاني.
خلو الكلام من أوجه التحسين التي تكسوه رِقّة ولَطافةُ بعد رِعايةِ مطابقته: تعرف بعلم البديع.

فإذًا وجب على طالب البلاغة: معرفةُ اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، مع كونه سليم الذوق، كثير الاطّلاع على كلام العرب، وصاحب خبرة وافرة بكُتبِ الأدب، ودِرايةٍ تامّة بعادا م وأحوالهم، واستظهار للجّيد الفاخر من نثرهم ونظمهم، وعلم كامل بالنابغين من شعراء وخطباء وكُتّاب مِمّن لَهم الأثر البين في اللغة والفضل الأكبر على اللسان العربي المبين.

واعلم أنه يحسن أيضا بطالب البلاغة: أن يعرِف شيئًا عن الأسلوب الذي هو: المعنى المصوغُ في ألفاظ مؤلّفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوس سامعيه.

وأنواع الأساليب ثلاثة:

١- **الأسلوب العلمي**: وهو أهدأُ الأساليب، وأكثرها احتياجا إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعرِي، لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر، ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، «وأظْهر ميزات» هذا الأسلوب: الوضوح. ولابدّ أن يبدو فيه أثر القوة والجمال، «وقوته» في سطوع بيانه ورصانة حججه، «وجماله» في سهولة عبارته، وسلامة الذّوق في اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يعني فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصّريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تؤلف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء، حتى تكون ثوبا شفّافًا للمعنى

المقصود، وحتى لا تصبح مثَارا للظنون ومجالاً للتوجيه والتأويل.

ويحسن التنحي عن ا از ومحسنات البديع في هذا الأسلوب إلا ما يجئ من ذلك عفوا، من غير أن يمس أصلاً من أصوله أو ميزة من ميزاته، أما التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

٢- **الأسلوب الأدبي**: والجمال أبرز صفاته، وأظهر مميزاته. ومنشأُ جماله: ما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، وتلَمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويّ.

هذا.. ومن السهل عليك: أن تعرِف أن الشّعر والنثر الفَني هما موطِنا هذا الأسلوب، ففيهما يزدهِر، وفيهما يبلغ قمة الفَن والجمال.

٣- **الأسلوب الخطابي**: هنا تبرز قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه، لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم. ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منـزلة الخطيب في نفوس سامعيه، وقوة عارضيه، وسطوع حجته، ونبرات صوته، وحسن إلقائه، ومحكم إشاراته.

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب: التكرار، واستعمال المترادفات، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم كونه واضحا قويا.

ويظن الناشئون في صناعة الأدب أنه كلما كثر ا از، وكثرت التشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب -زاد حسنه، وهذا خطأ بين، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلف، ولا يفْسِده شر مِن تعمد الصناعة.

علم المعاني

تعريفه: علم المعاني(١) أصول وقَواعِد يعرف ا كيفية مطابقة الكلام لِمقتضى الحال(٢) بحيث يكون وفق الغرض الذي سِيق له.

وموضوعه : اللفظُ العربي، من حيثُ إفادته المعاني الثواني(٣) التي هي الأغراض المقصودة للمتكلّم من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخُصوصيات التي ا يطابق مقتضى الحال.

---

(١) قال بعض العلماء: المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم -خفية بعيدة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجةَ أخيه، ولا مراد شريكه، ولا المعاون له على أمره، إلا بالتعابير التي تقر ا من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهرا والبعيد قريبا، فهي تخلص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقًا، وا هول معروفًا، والوحشي مألوفًا. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى، والعاقل يكسو المعاني في قلبه، ثم يبديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة، فينال ا د والفخار، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار، والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها، فيكون بالذم موصوفًا، وبالنقص معروفًا، ويسقط من أعين السامعين، ولا يدرج في سلك العارفين. واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن: **وثيابك فَطَهر** [المدثر]، فإن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس، ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس. وهذا لابد له من دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ. واعلم أنه يجب صناعةً على معاني المعاني أن يرجح المعاني، بحيث يرجّح بين حقيقة ومجاز، أو بين حقيقتين أو مجازين.

(٢) الحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال -مثلاً إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء، فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرّفًا، والتعريف هو مقتضى الحال، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية، كقولك في الذكر: ذُكر لكون ذكره الأصل، وفي الحذف: حذف للاستغناء عنه. وهلم جرا.

(٣) أي والمعاني الأول ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب. وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير. وقال بعض أهل المعاني: الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدل بلفظه على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه، فهناك ألفاظ ومعان أُول، ومعان ثوان، فالمعاني الأول: هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمى في علم النحو: أصل المعنى والمعاني الثواني: الأغراض التي يساق لها الكلام، ولذا قيل: مقتضى الحال هو المعنى الثاني، كرد الإنكار ودفع الشك -مثلاً إذا قلنا: إن زيدا قائم، فالمعنى الأوّل هو القيام المؤكد، والمعنى الثاني رد الإنكار ودفع الشك بالتوكيد وهلم جرا.
والذي يدل على المعاني خمسة أشياء: اللفظ، والإشارة، والكتابة، والعقْد، والحال.

وفائدته: الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصه الله به من جودة السّبك، وحسن الوصف، وبراعةِ التّراكيب، ولُطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه، وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارت عقولُهم أمام فصاحته وبلاغته.

والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه، كي تحتذي حذوه، وتنسج على مِنواله، وتفرق بين جيّد الكلام ورديئِه.

وواضعه: الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١).

واستمداده: من الكتاب الشريف، والحديث النبوي، وكلام العرب.

واعلم أن المعاني جمع معنى، وهو في اللغة: المقصود، وفي اصطلاح البيانيين: هو

---

(١) اعلم أنه لما احتدم الجدل في صدر الدولة العباسية إبان زهو اللغة وعزها، في بيان وجوه إعجاز القرآن،وتعددت نـزعات العلماء في ذلك، ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب، ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم، وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم، وآمنوا بأن للحضارة التي غذوا بلبا ا آثارا غدوا معها في حل من كل قديم، ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام ورديئه. دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون، وتكون دستورا للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم). ولا نعلم أحدا سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن)، كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني، وإنما أُثر فيه نبذٌ عن بعض البلغاء: كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن»، وابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء»، والمبرد في كتابه «الكامل».

ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع «الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦هـ». وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النمو حتى نزل في الميدان الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ فشمّر عن ساعد الجِد، ودون كتابيه (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز) وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء -إثر عبد القاهر- جار الله الزمخشري، فكشف في تفسيره «الكشّاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيرا من قواعد هذه الفنون -ثم ض بعده أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، فجمع في القسم الثالث من كتابه «المفتاح» ما لا يزيد عليه، وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفا م حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار، حتى غدت أشبه بالمعمّيات والألغاز.

التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ.

وهو يتركب من شيئين: «مسند» (ويسمى محكوما به)، و«مسندٍ إليه».

(ويسمّى محكوما عليه). وأما النسبة التي بينهما فتدعى «إسنادا».

وما زاد على ذلك «غير المضاف إليه والصلة» فهو قيد(١).

«والإسناد» انضمام كلمةٍ(٢) «المُسند» إلى أخرى(٣) «المُسند إليه» على وجه يفيد الحكم

---

(١) أي وما زاد على ذلك من مفعول وحال وتمييز ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها، (إلا صلة الموصول والمضاف إليه). واعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني، «بل منها جمل رئيسية، وجمل غير رئيسية». والأولى: هي المستقلة التي لم تكن قيدا في غيرها، والثانية: ما كانت قيدا إعرابيا في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي: أدوات الشرط، والنفي، والتوابع، والمفاعيل، والحال، والتمييز، وكان وأخوا ا، وإن وأخوا ا، وظن وأخوا ا كما سيأتي.

(٢) أي وما يجري مجراها.

(٣) أي أو ما يجري مجراها - كما سيأتي.

تنبيه

الإسناد مطلقًا قسمان: حقيقة عقلية، ومجاز عقلي - فالحقيقة العقلية: هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله، نحو: «تجري الأمور بما لا تشتهي البشر»، «وأنبت الله النبات». وا از العقلي (ويسمى إسنادا مجازيا، ومجازا حكميا، ومجازا في الإسناد): هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له، نحو: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن». وله علاقات شتى؛ فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو: «سيلٌ مفعم» (بفتح العين أي مملوء) فإسناد مفعم وهو مبني به؛ لوقوعه عليه نحو **عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** [الحاقة: ٢١]، فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به مجاز عقلي ملابسته المفعولية، ويلائم الزمان والمكن لوقوعه فيهما نحو: «صام ارُه» و«سال الميزاب». و« ار صائم» و« ر جار»، ويلائم المصدر نحو: «جد جده»، ويلائم السبب نحو: «بنى الأمير المدينة»، وكما يقع ا از العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية: «كمكر الليل»، و«وجرى الأ ار»، و«شقاق بينهما»، و«غراب البين» (على زعم العرب) وفي النسبة الإيقاعية نحو: **وَأَطِيعُوا أَمْرِي** [طه: ٩٠]، و **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ** [الشعراء: ١٥١]، و«أجريت النهر»، وكما يكون في الإثبات يكون في النفي نحو: **فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** [البقرة: ١٦]، «وما نام ليلى» على معنى خسرت تجار م، وسهر ليلى؛ قصدا إلى إثبات النفي لا نفي الإثبات - ويكون أيضا في الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو: **أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ** [هود: ٨٧]، **يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا** [غافر: ٣٦]، «وليصم ارك»، «وليجد جدك» «وليت النهر جار» وما أشبه ذلك.

=

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفية ومجازيتهما أربعة؛ لأ ما إما حقيقتان لغويتان نحو «أنبت الربيع البقل»، أو مجازان لغويان نحو «أحيا الأرض شباب الزمان»؛ إذ المراد بإحياء الأرض ييج القوى النامية فيها وإحداث نضار ا بأنواع الرياحين، والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتض الحس والحركة، وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية، وهو في الحقيقة عبارةٌ عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (أي قوية مشتعلة) - أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازي لغوي نحو «أنبت البقل شباب الزمان»- أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو: «أحيا الأرض الربيع»، ووقوع ا از العقلي في القرآن كثير نحو ما تقدم، ونحو: **وإِذَا تُلِيت علَيهِم آياتُه زادتهُم إِيمانا** [الأنفال: ٢]، و **ينـزِعُ عنهُما لِباسهُما** [الأعراف: ٢٧]، و **وأَخرجتِ الأَرضُ أَثْقَالَها** [الزلزلة: ٢]، **فَكَيف تتقُونَ إِنْ كَفَرتُم يوما يجعلُ الْوِلْدانَ شِيبا** [المزمل: ١٧].

ولابد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي؛ لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة، والقرينة إما لفظية وإما معنوية: فاللفظية كقولك: «هزم الأمير الجند وهو في قصره»، والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلاً بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عد ذلك القيام محالا كقولك: «محبتك جاءت بي إليك»، لاستحالة قيام ا ىيء، بالمحبة عقلاً، وكاستحالة ما ذكر عادة نحو «هزم الأمير الجند» لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة، وإن أمكن عقلاً، وكأن يصدر من الموحد نحو:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـر كر الغداة ومـر العشِي

فإن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشى مجاز، ثم هذا غير داخل في الاستحالة؛ إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين، ولا يجب أن يكون في ا از العقلي للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة؛ بل تارة يكون له فاعل يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم وتارة لا، نحو قوله:

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدتـه نظرا

فإن إسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها (أي الزيادة) فاعل يكون الإسناد إليه معروفًا حقيقة، ومثله: «سرتني رؤيتك» و«أقدمني بلدك حق لي عليك»؛ فهذه الأمثلة ونحوها من ا از العقلي الذي لا فاعل له يعرف الإسناد إليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر - وقيل: لابد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة، ومعرفته إما ظاهرة نحو **فَما ربِحت تِجارتُهُم** ، أي فما ربحوا في تجار م، وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى. هذا، وقد أنكر السكاكي ا از العقلي ذاهبا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية، فنحو: «أنبت الربيع البقل» يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، ويجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة وسيأتي مذهبه إن شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية.

بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا نحو: «الله واحد لا شريك له».

والمسند هو: خبر المبتدإ: نحو: «قادر» من قولك: «الله قادر».

والفعل التام : نحو: «حضر» من قولك: «حضر الأمير».

واسم الفعل: نحو: «هيهات، ووي، وآمين».

والمبتدأ الوصف المُستغِني عن الخبر بمرفوعه، نحو: «عارف» من قولك: «أعارف أخوك قدر الإنصاف؟».

وأخبار النواسخ «كان ونظائرها، وإنّ ونظائرها».

والمفعول الثاني لظن وأخوا ا.

والمفعول الثالث لأرى وأخوا ا.

والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: «سعيا في الخير».

والمسند إليه -هو: الفاعلُ «للفعل التام أو شبهه» نحو «فؤاد وأبوه» من قولك: «حضر فؤاد العالمُ أبوه». وأسماء النواسخ، نحو: «المطر» من قولك: «كان المطر غزيرا» أو إنّ، نحو: «إنّ المطر غزير». والمبتدأ الذي له خبر، نحو: «العلم» من قولك: «العلم نافع».

والمفعول الأول لظنّ وأخوا ا. والمفعول الثاني لأرى وأخوا ا.

ونائب الفاعل كقوله تعالى: **ووُضِع الْكِتابُ** [الكهف: ٤٩].

ثم إن المسند والمسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام.

١- إما أن يكونا كلمتين حقيقة -كما مثّل.

٢- وإما أن يكونا كلمتين حكما نحو: «**لا إله إلا اللهُ ينجُو قائلُها مِن النار**».

٣- وإما أن يكون المسند إليه كلمة حكما، والمسند كلمةً حقيقةً، نحو: «تسمع بالمُعيدِي خير مِن أنْ تراه». وإما بالعكس، نحو: «الأمير قرب قُدومه»(١).

وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب وخاتمه.

=

تنبيه

ذكر بعض المؤلفين مبحث ا از العقلي والحقيقة العقلية في أحوال الإسناد من علم المعاني، وبعضهم ذكرهما في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز، ولكل وجهة.

(١) ففي الأول يؤوّل: سماعك بالمعيدي خير. وفي الثاني: الأمير قريب قدومه، وفي نحو: لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار، عدم شريك للمولى نجاة من النار.

الباب الأول: في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في حقيقة الخبر

الخبر هو ما يحتمِلُ الصدق والكذب لذاِته[١].

وإن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقق مدلولُه في الخارج بدون النطق به، نحو: «العلم نافع»؛ فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ)؛ لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبةً، وقضت به الشرائع، وهدت إليه العقولُ، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: «العلم نافع» إن كانت نسبتها الكلامية (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مطابقةً للنسبة الخارجية -أي موافقة لما في الخارج والواقع «فصدق» وإلا «فكذِب» نحو: «الجهل نافع»؛ فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية[٢].

---

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر، وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله؛ وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى، وأخبار رسله، والبديهيات المألوفة، نحو: «السماء فوقنا»، والنظريات المتعين صدقها كإثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى، ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة.

(٢) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتا ونفيا صدق، وعدم المطابقة كذب، فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية، والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية؛ فحينئذ هناك نسبتان: نسبة تفهم من الخبر، ويدل عليها الكلام، وتسمى: النسبة الكلامية، ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر، وتسمى النسبة الخارجية.

الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأصل في الخبر **أن يُلقى لأحد غرضين:**

١- إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له، ويسمى ذلك الحكم: «فائدة الخبر» نحو: «الدين المعاملة» .

٢- وإما إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المخاطب، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان، وعلمته من طريق آخر: «أنت نجحت في الامتحان»، ويسمى ذلك الحكم لازم «لازم الفائدة» .

وقد يُلقى الخبر **على خلاف الأصل لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام،** أهمها:

١- الاسترحام والاستعطاف، نحو: «إني فقير إلى عفو ربي» .

٢- تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: «ليس سواءً عالـــم وجهولُ»

٣- إظهار الضعف والخشوع، نحو **رب إني وهن الْعظْمُ مِني** (١).

٤- إظهار التحسر والتحزن نحو: **رب إني وضعْتُها أُنثَى** (٢).

٥- إظهار الفَرح بمقبل، والشماتة بمدبر، نحو **جاءَ الْحق وزهق الْباطِلُ** (٣).

٦- التّوبيخ، كقولك للعاثر: «الشمس طالعة».

٧- التذكير بما بين المراتب من التفاوت، نحو: «لا يستوي كسلانُ ونشيط».

---

(١) سورة مريم: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء: ٨١.

المبحث الثاني: في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار؛ يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض؛ يشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها؛ فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدا عنها؛ لئلا يكون عبثًا، ولا ناقصا عنها؛ لئلا يخِل بالغرض، وهو: (الإفصاح والبيان)[١].

والملقى إليه الكلام (وهو المخاطب) له ثلاث حالات:

١- إما أن يكون خالي الذهن من الحكم -وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام؛ لعدم الحاجة إلى التوكيد، نحو: «أخوك قائم»، «وما أبوك حاضرا»، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا.

٢- وإما أن يكون مترددا في الحكم طالبا لمعرفته؛ فيستحسن تأكيد[٢] الكلام الملقَى إليه؛ تقوية للحكم؛ ليتمكن مِن نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره نحو: «إن الأمير منتصر»، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبيا.

٣- وإما أن يكون منكرا للحكم الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقدا خلافه؛ فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو بمؤكدين أو أكثر؛ على حسب إنكاره قوة وضعفًا؛ نحو: «إن أخاك قادم» و «إنه لقادم» أو «والله إنه لقادم»؛ أو «لعمري إن الحق يعلُو ولا يعلَى عليه»، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريا.

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضا.

---

(١) كتب معاوية إلى أحد عماله فقال: «لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة؛ لا نلين جميعا فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك؛ ولكن تكون أنت للشدة والغِلْظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة».

وكتب أبو العباس السفاح فقال: «لأعملنّ اللين حتى لا ينفع إلا الشدة، ولأكرمن الخاصة ما أمنتهم على العامة، ولأغمدنّ سيفي حتى يسله الحق، ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعا».

(٢) المراد بالتأكيد في هذا الباب: تأكيد الحكم.

واعلم: أن الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية، فإذا أريد مجرد الإخبار أتى بالفعلية، وأما إنْ أريد التأكيد فبالاسمية وحدها، أو ا مع إن، أو ما وباللام، أو بالثلاثة والقسم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها: إنّ، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقَسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (كتفعّل واستفعل)، والتكرير، وقد، وأمّا الشرطية، وإنّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي نحو: «الأمير حضر».

الثاني: يسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجا على مقتضى ظاهر الحال[1].

وقد تقتضي الأحوال العُدول عن مقتضى الظاهر، ويُوردُ الكلامُ على خلافه لاعتبارات يلحظُها المتكلم:

١- منها تنـزيل العالِم -بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معا- منـزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجِب علمه؛ فيلقَى إليه الخبر كما يلقَى إلى الجاهل، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لا يصلّي: «الصلاة واجبة»؛ توبيخا له على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك لمن يؤذي أباه: «هذا أبوك».

٢- ومنها تنـزيل خالي الذهن منـزلة السائل المتردد؛ إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله تعالى: **وما أبرئُ نفْسِي إن النفْس لأمارةٌ بالسوءِ** [2]. فمدخول إن مؤكد لمضمون ما تقدمه لإشعاره بالتردّد فيما تضمنه مدخولها. وكقوله تعالى: **ولا تُخاطِبني في الذِين ظلَمُوا إنهُم مُغرقُونَ** [3]، لما أمر المولى «نوحا» أولا بصنع الفلك، و نهاه ثانيا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم؛ صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد[4]، هل

---

(١) اعلم أن الحال: هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفًا بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتا في الواقع، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم؛ كتنـزيل المخاطب غير السائل منـزلة السائل، وظاهر الحال: هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية مخصوصة، بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتا في الواقع، فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) سورة هود: ٣٧.

(٤) أي فصار المقام مظنة للتردد والطلب؛ وإن لم يتردد المخاطب، ولم يطلب بالفعل؛ وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر، وتطلبه من حيث إ ـا =

حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: ﴿إ م مغرقون﴾ .

٣- ومنها تنـزيل الخالي منـزلة المنكر: إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حجل بن نضلة القيسي (مِن أولاد عمّ شقيق):

جاء شقيق عارضا رُمحـه إن بنـي عمك فيهم رماح

(فشفيق) رجل لا ينكر رماح بني عمه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعا رمحه على فخذه بالعرض في جهة العدو بدون استعداد للقتال؛ بمنـزلة إنكاره أن لهم رماحا، ولن يجد منهم مقاوما له؛ فأُكد له الكلام استهزاءً به (وخوطب خِطاب التفات بعد غيبة كما به، ورميا له بالنـزق وخرق الرأي).

٤- ومنها تنـزيل المتردد منـزلة الخالي، كقولك للمتردد في قدوم مسافر مع شهرته: «قدِم الأمير» .

٥- ومنها تنـزيل المتردد[1] منـزلة المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج «إنّ الفرج لقريب».

٦- ومنها تنـزيل المنكر منـزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها

=

تعلم أن الجنس لا يوجد إلا في فرد من أفراده فيكون ناظرا إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل؛ فقوله: «ولا تخاطبني» يشير إلى جنس الخبر وإنه عذاب، وقوله: ﴿إ م مغرقون﴾ يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمنا في قوله «ولا تخاطبني» وكقول الشاعر:

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عِتابُ

فالأصل أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد؛ لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقًا لمعرفته؛ فنـزل منـزلة السائل المتردد، واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكدا جريا على خلاف مقتضى الظاهر.

(١) وفائدة التنـزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفًا؛ لأنه نـزل المتردد منـزلة المنكر؛ فيعطى حكمه حينئذ، وهكذا تفهم في عكسه وهو تنـزيل المنكر منـزلة المتردد في استحسان التوكيد له. واعلم: أنه إذا التبس إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعين المقصود أو ترجحه؛ فإن لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين، وذلك كجعل السائل كالخالي، وجعل المتردد كالمنكر، فإن وجدت قرينة عمل ا؛ وإلا صح الحكم بأحدهما.

لارتدع وزال إنكاره، كقوله تعالى: **وإلهكم إله واحد** [١]. وكقولك لمن ينكر منفعة الطب: «الطبع نافع».

٧- ومنها تنـزيل المنكر منـزلة المتردد، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكارا ضعيفًا: «إن الجاه بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وأما الجاه بالأدب فإنه غير زائل عنك».

الثالث: ظهر لك مما تقدم أن إخراج الكلام ينحصر في اثني عشر قسما: ثلاثة منها في إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، وتسعة[٢] منها في إخراجه على خلافه، ثلاثة من تلك التسعة في العالم بفائدة الخبر، وستة في غيره، وإذا ضربت هذه الاثنى عشر في الإثبات والنفي صارت أربعا وعشرين صورة.

الرابع: قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: «إن أفضلَ ما نطق به اللسان كذا»[٣].

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) اعلم: أن هذه التسعة التي أخرجت على خلاف مقتضى الظاهر كثيرة بالنسبة لنفسها لا بالنسبة إلى الصور التي أخرجت على مقتضاه -وإلا فهي كثيرة أيضا.

(٣) من مزايا اللغة العربية دقة التصرف في التعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض؛ فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة ا (الإطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه، «والإيجاز والاختصار» حيث تطلَّب الزيادة، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بلغة العامة؛ فقد أشكل أمرها على بعض ذوي الفطنة من نابتة القرن الثالث إبان عز اللغة ونضرة شبا ا، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثقات من أن «المتفلسف الكِندي ركب إلى أبي العباس المبرد، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم. فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه؛ فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، فما أحار المتفلسف جوابا».

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة؛ لا أزيد وإلا كان عبثًا، ولا أنقص وإلا أخل بالغرض، وهو الإفصاح والبيان.

تدريب

بين أغراض الخبر فيما يأتي:

قومي هُمُوا قتلوا أميم أخي … فإذا رميتُ يُصيبني سهمي[١]

قد كنت عُدتي التي أسطو بها … ويدي إذا اشتد الزمانُ وساعِدِي[٢]

أبا المسك، أرجو منك نصرا على … وآمُلُ عزا يخضب البيض بالدم[٣]

كفى بجسمي نُحولا أنني رجلٌ … لولا مخاطبتي إياك لم ترني[٤]

وأنت الذي ربيت ذا الملك … وليس له أم سواك ولا أبُ[٥]

ذهب الذي يُعاش في أكنافهم … وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجربِ[٦]

إنْ كان لا يرجوك إلا مُحسن … فبمن يلوذ ويستجير المُجرمُ؟

أدعوك رب، كما أمرت تضرعا … فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ؟

إجابة التدريب

(١) إظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته.

(٢) إظهار الضعف؛ لكونه أصبح بلا معين.

(٣) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.

(٤) إظهار الضعف بأن نحوله صيره إلى ما وصف.

(٥) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله؛ فالغرض لازم الفائدة.

(٦) التحسر؛ لفقد ذوي المروءة، والمصير إلى لئام لا خير فيهم.

نموذج في بيان أغراض الأخبار

١- كان معاوية رضي الله عنه حسن السياسة والتدبير؛ يحلُم في مواضع الحلم، ويشتد في مواضع الشدة(١).

٢- لقد أدبت بنيك باللين والرفق، لا بالقسوة والعقاب(٢).

٣- توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة(٣).

٤- قال أبو فرس الحمداني(٤):

ومكارمي عددُ النجوم ومنـزلي مأوى الكرام ومنـزل الأضياف

قال أبو الطيب(٥):

وما كُل هاوٍ للجميـل بِفاعِـلٍ ولا كُـل فَعـال لـه بمتمم

وقال أيضا: يرثي أخت سيف الدولة(٦):

غَدرت يا موتُ، كم أفنيت مـن بمن أصبت وكم أسكت مِن لَجبِ

قال أبو العتاهية يرثي ولده عليا(٧):

بكيتُك يا علـي بـدمع عـيني فما أغنى البكـاء عليـك شـيا

وكانت في حياتـك لي عِظـات وأنت اليوم أوعظُ مِنـك حيـا

إن الثمــانين وبلغتــها قد أحوجتا سمعي إلى ترجُمـان(٨)

حل النموذج

(١) الغرض: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٢) الغرض: إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

(٣) الغرض: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٤) الغرض: إظهار الفخر؛ فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

(٥) الغرض: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام؛ فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

(٦) الغرض: إظهار الأسى والحزن.

(٧) الغرض: إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

(٨) الغرض: إظهار الضعف والعجز.

(٩) قال أبو العلاء المعري[١]:

ولي منطق لم **يرض** لي **كُنه** **منـزلي** **على أنني** بين **السـماكين نـازل**

(١٠) قال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون[٢]:

أتيـتُ جُرمـا شـنيعا **وأنـت للعفْـو أهـلُ**

فـإن عفَـوت فمـن **وإنْ قَتلْـت فعـدلُ**

---

(١) الغرض: الافتخار بالعقل واللسان.

(٢) الغرض: الاسترحام والاستعطاف.

تطبيق (١)

أحص المؤكدات في العبارات التالية وبين ضروب الخبر الثلاثة:

(١) **ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلٌ** ... **عفاف وإقدام وحزم ونائلُ**

(٢) **وإن امرأ قد سار خمسين حِجة** ... **إلى منهلٍ من ورده لقريبُ**

(٣) **ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا** ... **مُتبسما عن باطن مُتجهم**

(٤) قال تعالى: **لَئِن أنجيتنا مِن هذِهِ لَنَكُونن مِن الشاكِرِين** [يونس: ٢٢].

(٥) قال تعالى: **وجعلْنا نومكُم سُباتا * وجعلْنا الليلَ لِباسا * وجعلْنا النهار معاشا** [النبأ: ٩-١١].

(٦) **أما الفِراق فإنه ما أعهدُ** ... **هو توأمي لو أنّ بينا يولد**

(٧) **وإنّ الذي** بيني **وبين** بني أبي ... وبين بني **عمّي لمختلف جدا**

(٨) **إنا إليكُم مرسلُونَ** .

إجابة التطبيق

الرقم	المؤكدات	ضروب الخبر
١	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبي
٢	إن - قد - اللام في: لقريب	إنكاري؛ لزيادة المؤكدات على واحد
٣	الباء الزائدة في: بمن	طلبي
٤	لام القسم - لام التوكيد - نون التوكيد	إنكاري
٥	تكرار جعلنا	طلبي
٦	أما - إن - أن	طلبي؛ لأن كل مؤكد في جملة وحده
٧	إن - لام الابتداء	إنكاري؛ لزيادة المؤكدات على واحد

لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم، قال لهم الرسل: **إنا إليكُم مرسلُونَ** فألقوا إليهم الكلام مؤكدا بمؤكدين، فكذّبوا، فقالوا لهم: **إنا إليكُم لَمرسلُونَ** مؤكدين لهم القولَ بمؤكد ثالث، فجحدوا، فقالوا لهم: **ربنا يعلمُ إنا إليكُم لَمُرسلُونَ** [يس: ١٤، ١٦]، فزادوا مؤكدا رابعا وهو القسم.

(٩) **وإنّي لصبار علي ما ينـوبني** — **وحسبُك أنّ اللّه أثنى على الصبر**

(١٠) **وأني لقوال لذي البثّ مرحبـا** — **وأهلاً إذا ما جاء من غير مرصدِ**

وإنـي لحلـوٌ تعتـريني مـرارةٌ — **وإنـي لتـراكٌ لمـا لم أعـودِ**

(١١) **ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي** — **والنصحُ أغلى ما يُباع ويُوهـب**

(١٢) **أنّ الغني من الرجال مُكـرمٌ** — **وتراه يُرجى ما لديـه ويرغـبُ**

(١٣) **فما الحداثة عن حِلْمٍ بمانعـةٍ** — **قد يوجد الحِلمُ في الشبان والشّيب**

(١٤) **إن الحياة لثوب سوف نخلعه** — **وكل ثوبٍ إذا مـا رث ينخلـعُ**

(١٥) **ثُم إنكُم بعد ذَلك لَميتُونَ** [المؤمنون: ١٥][١].

---

(١) **إجابة التطبيق**

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٩	وإني لصبار	إن، ولام الابتداء	إنكاري
١٠	وإني لقوال	إن، ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لحلو	إن، ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لتراك	إن، ولام الابتداء	إنكاري
١١	ولقد نصحتك	القسم، وقد	إنكاري
	والنصح أغلى		ابتدائي
١٢	إن الغنى.. إلخ	إن، والجملة الاسمية	طلبي
	وتراه يرجي		ابتدائي
١٣	فما الحداثة إلخ	الباء الزائدة بمانعة	طلبي
	قد يوجد الحلم	قد	طلبي
١٤	إن الحياة لثوب	إن، ولام الابتداء	إنكاري
	وكل ثوب إلخ		ابتدائي
١٥	غفلتهم عن الموت تعد من أمارات الإنكار		إنكاري

تطبيق (٢)

اذكر أضرُب الخبر، وبين المؤكدات فيما يأتي:

وعاد في طلب المتـرُوك تاركـهُ إنا لنغفـلُ والأيـامُ في الطلـبِ

(٢) **وجعلْنا نومكُم سُباتا * وجعلْنا الليلَ لباسا * وجعلْنا النهار معاشا** [النبأ: ٩-١١].

أما دون مصر للغـني مُتطلّـب بلى إن أسـباب الغـنى لكـثيرُ

فيـوم لنـا ويـوم علينـا ويـوم نُسـاءُ ويـوم نُسـر

(٥) «إن من البيان لسِحرا، وإن من الشعر لَحِكْمة».

(٦) قد يدرك الشرف الفَتى ورداؤه خلِق[1].

---

(١) **إجابة التطبيق (٢)**

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١	وعاد في طلب المتروك		ابتدائي
	إنا لنغفل	إن، ولام الابتداء	إنكاري
٢	وجعلنا نومكم إلخ	تكرير جعل.	طلبي
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبي
	إن أسباب الغني لكثير	إن، ولام الابتداء	إنكاري
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبي
٥	إن من البيان لسحرا	إن، ولام الابتداء	إنكاري
	إن من الشعر لحكمة	إن، ولام الابتداء	إنكاري
٦	قد يدرك	قد	طلبي

المبحث الثالث: في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ - الجملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدد والحدوثِ في زمن معين مع الاختصار(١) نحو:

أشـرقتِ الشـمسُ وقـد ولّـى الظّـلامُ هاربـا

فلا يستفاد من ذلك إلا ثبوت الإشراق للشمس، وذهاب الظلام في الزمان الماضي.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئًا فشيئًا بحسب المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع(٢) بشرط أن يكون الفعل مضارعا نحو قول المتنبي:

تُدبر شرق الأرض والغرب كفـه وليس لها يوما عن الـحـد شـاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنه، وشأنه المستمّر الذي لا يحيد عنه، ويتجدد آنا فآنا.

ب- والجملةُ الاسميةُ تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء(٣) ليس غير - بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار - نحو «الأرض متحركة»؛ فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حدوثه.

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتفيد الدّوام والاستمرار بحسب القرائن: كأن يكون الحديث في مقام المدح، أو في معرض الذم كقوله تعالى: **وإنك لعلى خُلُق عظِيمٍ** (٤)، فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، ومنه

---

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة، بخلاف الاسم؛ فإنه يدلّ على الزمن بقرينة ذكر لفظه «الآن أو أمس أو غد».
ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قار الذات (أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود)، كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيدا للتجدد أيضا.

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية نحو: **لو يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِن الأمرِ لعَنِتم** [الحجرات: ٧]، أي لو استمر على إطاعتكم وقتا فوقتا لحصل لكم عنت ومشقة.

(٣) قال الشيخ عبد القاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئًا فشيئًا؛ فلا تعرض في نحو: «زيد منطلق»، لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلا -كما في «زيد طويل، وعمرو قصير» أي أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع، وأما استفادة الدوام فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحينئذ فالتمثيل للمنفي.

(٤) سورة القلم: ٤.

قول النّضر بن جؤبة يتمدح بالغِنى والكرم:

لا يألف الدرهمُ المضروبُ صُرتنا لكن يمر عليها وهـو مُنطلـقُ

يريد أنّ دراهمه لا ثبات لها في الصرة ولا بقاء؟ فهي دائما تنطلق منها، وتمرق مروق السهام من قِسِيها، لتوزّع على المعوزين وأرباب الحاجات.

واعلم: أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن؛ إلا إذا كان خبرها مفردا نحو «الوطن عزيز» أو جملة اسمية نحو: «الوطن هو سعادتي» .

أما إذا كان خبرها جملة فعلية؛ فإ ا تفيد التجدد، نحو: «الوطن يسعد بأبنائه» .

أسئلة يُطلب أجوبتُها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟ ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يلقى إليها الخبر؟ ما هي أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأي شيء وضعت الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب[١]

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

(١) قال تعالى: **يمحُوا اللهُ ما يشاءُ وُيُثْبِتُ وعِندهُ أم الكِتابِ** [الرعد: ٣٩].

(٢) **نروحُ ونغدو لحاجاتنا — وحاجةُ من عاش لا تنقضي**

(٣) **وعلى إثرهِم تساقطُ نفسي — حسراتٍ وذكرهُم لي سِقَامُ**

(٤) «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه؛ أمن الحلال أمن من الحرام»

(٥) **أو كلما وردت عُكاظَ قبيلة — بعثُوا إلي عريفَهم يتوسم؟**

---

(١) **إجابة التدريب**

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
١	يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددي	إذ محو بعض الخلائق وإفناؤها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب: اللوح المحفوظ. والقرينة الإسناد إلى الله
٢	نروح - ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددي	القرينة قوله: وحاجة من عاش
٣	وتساقط	مضارعية	الاستمرار التجددي	
	وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهي الحزن والأسى
٤	يأتي	مضارعية	التجدد	

(٥) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرّس في وجوه القوم مرة بعد أخرى؛ لعله يهتدي إلى معرفتي؛ لتأخذ بثأرها مني، وتنكل بي؛ لأني طالما أوقعت بها، وأذقتها صنوف المذلة والهوان.

وعكاظ: سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلا، ولتصريف المتاجر نهارا.

الباب الثاني: في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحا: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته[١]، نحو : «اغفر وارحم»، فلا ينسب إلى قائله صِدق أو كذب.

وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء: ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفّظت به؛ فطلب الفعل في «افْعلْ»، وطلب الكف في «لا تفْعلُ»، وطلب المحبوب في «التمني»، وطلب الفهم في (الاستفهام)، وطلب الإقبال في (النداء) كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ ا.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، كصيغ المدح، والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، وكذا رب، ولعل، وكم الخبرية، ولا دخل لهذا القسم في علم المعاني.

(١) أما المدح والذم فيكونان: بنعم وبئس، وما جرى مجراهما نحو: «حبّذا ولا حبذا»، والأفعال المحولة إلى «فعل» نحو: «طاب علي نفسا، وخبثَ بكر أصلاً» .

(٢) وأما العقود: فتكون بالماضي كثيرا، نحو: «بعت، واشتريت، ووهبت، وأعتقت»، وبغيره قليلا نحو: «أنا بائع»، و«عبدي حر لوجه الله تعالى».

(٣) وأما القسم: فيكون بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها نحو: «لعمرك ما فعلت كذا».

(٤) وأما التعجب: فيكون بصيغتين: ما أفعله، وأفْعِلْ به، وبغيرهما نحو: «لله **دره** عالمًا»، **كَيف تكْفُرُونَ بِاللهِ وكُنتُم أمواتا فَأحياكُم** [٢] .

(٥) وأما الرجاء : فيكون : بعسى ، وحرى، واخلَولَق، نحو: **فَعسى اللهُ أنْ يأتِي بِالفَتح** [٣].

وأنواع (الإنشاء غير الطلبي) كثيرة ولكنها ليست من مباحث علم المعاني؛ ولذا

---

(١) أي بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء؛ فإن (اغفر) يستلزم خبرا وهو: أنا طالب المغفرة منك وكذا «لا تكسل». يستلزم خبرا وهو: أنا طالب عدم كسلك، لكن هذا ليس لذاته.

(٢) سورة البقرة: ٢٨.

(٣) سورة المائدة: ٥٢.

تقتصر فيه على ما ذكرناه، ولا نطيل البحث في هذا القسم الذي أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.

وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو : «**الإنشاء الطلبي**». وهو الذي يستدعي مطلوبا[(١)] غير حاصل[(٢)] في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

ويكون بخمسة أشياء: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[(٣)].

وفي هذا الباب خمسة مباحث:

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) وإن كان متوقعا؛ فإما حصول صورة أمر في الذهن فهو (الاستفهام)، وإما حصوله في الخارج؛ فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النهي، وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء -وإما بغيرها فهو (الأمر) و ذا تعلم أن الطلب هنا منحصِر في هذه الأمور الخمسة؛ لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٢) أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام، كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: **يا أيها الذِين آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ** [النساء: ١٣٦]، وهلم جرا كما سيأتي.

(٣) ويكون الإنشاء الطلبي أيضا، بالعرض والتخصيص، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون؛ لأ ما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني، فالأول من «الهمزة». مع (لا) النافية في (ألا)، والثاني من (هل ولو) للتمني مع (لا وما) الزائدتين في (هلا وألا) بقلب الهاء همزة.

وكذا (لولا ولوما)، واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان: ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة، وما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء.

المبحث الأول: في الأمر

الأمر هو: طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء[١]، وله أربع صيغ:

١- فعل الأمر، كقوله تعالى: **يا يحيى خُذِ الْكِتاب بِقُوةٍ** [٢].

٢- والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: **لِيُنفِق ذُو سعةٍ مِن سعتِهِ** [٣].

٣- واسم فعل الأمر، نحو: «صه»، وآمين، ونزالِ، ودراكِ.

٤- والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: «سعيا في سبيل الخير».

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سِياق الكلام وقرائن الأحوال:

١- كالدعاء في قوله تعالى: **رب أوزِعنِي أنْ أشكُر نعمتك** [٤].

٢- والالتماس، كقولك لمن يساويك: «اعطِني القَلَم أيها الأخ».

٣- والإرشاد، كقوله تعالى: **إذَا تداينتُم بِدينٍ إلى أجلٍ مُسمى فَاكْتُبوهُ ولْيكْتُب بينكُم كَاتِب بِالْعدل** [٥].

٤- والتهديد، كقوله تعالى: **اعملُوا ما شِئْتُم إنهُ بِما تعملُونَ بصِير** [٦].

٥- والتعجيز، كقوله تعالى: **قُلْ فَأْتوا بِسُورةٍ مِثْلِه** [٧].

---

(١) بأن يعد الأمر نفسه عاليا، سواء كان عاليا في الواقع أو لا؛ ولهذا نسِب إلى سوء الأدب إنْ لم يكن عاليا، واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية، والإمام الرازي والآمدي من الأشعرية، وأبو الحسن من المعتزلة، وذهب الأشعري إلى أنه لا يشترط هذا، وبه قال كثير من الشافعية، والأشبه أن الصدور من المستعلى يفيد إيجابا في الأمر، وتحريما في النهي، واعلم أن الأمر للطلب مطلقًا، والفور والتراخي من القرائن، ولا يوجب الاستمرار والتكرار في الأصح. وقيل: ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة، وهو ما اختار السكاكي. واعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاءً مع الأعلى، والتماسا مع النظِير.

(٢) سورة مريم: ١٢.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

(٤) سورة النمل: ١٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٦) سورة فصلت: ٤٠.

(٧) سورة يونس: ٣٨.

٦- والإباحة، كقوله تعالى: **وكُلُوا واشرَبُوا حتى يتبين لَكُمُ الْخيطُ الأبيضُ مِن الْخيطِ الأسودِ مِن الْفَجر** (١)، ونحو: اجلس كما تشاء.

٧- والتسوية، نحو قوله تعالى: **اصبِرُوا أو لا تصبِرُوا** (٢).

٨- والإكرام، كقوله تعالى: **ادخُلُوها بِسلامٍ آمِنين** (٣). .

٩- والامتنان، نحو قوله تعالى: **فَكُلُوا مِما رزقَكُمُ اللهُ** (٤).

١٠- والإهانة، كقوله تعالى: **قُلْ كُونُوا حِجارةً أو حدِيدا** (٥).

١١- والدوام، كقوله تعالى: **اهدِنا الصراطَ الْمُستقِيم** (٦).

١٢- والتمني، كقول امرئ القيس:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِـي ... بُصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثَـلِ

١٣- والاعتبار، كقوله تعالى: **انظُرُوا إلى ثَمرِهِ إذَا أثْمر** (٧).

١٤- والإذن، كقولك لمن طرق الباب: «ادخل».

١٥- والتكوين، كقوله تعالى: **كُن فَيكُونُ** (٨).

١٦- والتخيير، نحو: «تزوج هندا أو أختها».

١٧- والتأديب، نحو: «كُلْ مما يليك».

١٨- والتعجب، كقوله تعالى: **انظُر كَيف ضربُوا لَك الأمثَالَ** (٩).

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.
(٢) سورة الطور: ١٦.
(٣) سورة الحجر: ٤٦.
(٤) سورة النحل: ١١٤.
(٥) سورة الإسراء: ٥٠.
(٦) سورة الفاتحة: ٦.
(٧) سورة الأنعام: ٩٩.
(٨) سورة آل عمران: ٥٩.
(٩) سورة الفرقان: ٩.

تمرين

بين ما يُراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

(١) **خُذِ العفْو وأمُر بِالعُرفِ وأعرِض عن الجاهِلِين** [(١)].

(٢) **أسيئي بنا أو أحسِني لا ملومة ... لـدينا ولا مقْليـة إنْ تقَلـتِ**

(٣) **يا ليلُ طُـلْ يـا نـومُ زُلْ ... يـا صُـبحُ قِـف لا تطْلـع**

(٤) **عِش ما بـدا لـك سـالِما ... في ظِـلّ شـاهِقَةِ القُصُـور**

(٥) **وأسِروا قَولَكُم أو اجهرُوا بِهِ إنهُ عِليم بِذَاتِ الصدُور** [(٢)].

(٦) **ترفق أيهـا المـولى علـيهم ... فـإن الرفـق بالجـاني عتـابُ**

(٧) **أرى العنقاء تكْبُرُ أن تُصـادا ... فعانِد مـن تُطيـق لـه عِنـادا**

(٨) **خليلي، هُبا طالمَا قد رقدُتما ... أجدكُما لا تقضـيان كراكُمـا**

(٩) **أريني جوادا مات هُزلا لعلّني ... أرى ما ترين أو بخـيلاً مُخلـدا**

(١٠) قال تعالى: **قُلْ هاُتوا بُرهانكُم إنْ كُنُتم صادِقِين** [(٣)].

(١١) **قد رشحوك لأمر إنْ فطِنت ... فاربأ بِنفْسك أن ترعى مع الهمل**

(١٢) **رب اشرح لِي صدري * ويسر لِي أمري** [(٤)].

(١٣) ليس هذا بعشك فادرجِي.

(١٤) واعملْ لآخِرتك كأنك تموت غدا واعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدا.

(١٥) **فَمن شاءَ فليبخلْ ومن شاء فليجُد ... كفاني نداكم عن جميع المطالـب**

يا رب، لا تسـلبني حُبهـا أبـدا ... ويرحمُ الله عبدا قـال: آمينـا

(١٦) **أولئك آبائي فجِئني بمثلـهم ... إذا جمعتنـا يـا جريـر المـجامعُ**

أرُوني بخيلاً طال عُمـرا بُبخلِـهِ ... وهاتوا كريما مات من كثرة البذْل

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة الملك: ١٣.

(٣) سورة النمل: ٦٤.

(٤) سورة طه: ٢٥-٢٦.

إجابة التمرين

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(١)	خذ العفو	الإرشاد	(٣)	طل- زل	التمني
(٢)	أسيئي بنا	التسوية	(٤)	عش سالما	الدعاء
(٥)	أسروا قولكم	التسوية	(١١)	فاربأ بنفسك	الإرشاد
(٦)	ترفق	الدعاء	(١٢)	اشرح لي صدري	الدعاء
(٧)	عاند	الإهانة	(١٣)	ادرجي	الإهانة
(٨)	هّبا	الالتماس	(١٤)	اعمل لدنياك	الإرشاد
(٩)	أريني جوادا	التعجيز	(١٥)	فليبخل	التخيير
(١٠)	هاتوا برهانكم	التعجيز	(١٦)	جئني	التعجيز

نموذج

بين نوع الإنشاء وصيغته في الأمثلة الآتية:

(١) **يا أيها المُتحلي غير شِيمتِهِ ... ومن شمائله التبديلُ والمَلَقُ**
ارجِع إلى خُلُقك المعروف ديدنُه ... إنّ التخلق يأتي دُونهُ الخُلُقُ
(٢) **يا ابنتي، إنْ أردتِ آيةَ حُسنٍ ... وجمالاً يزينُ جِسما وعقْلاً**
فانبذي عادةَ التبرج نبذًا ... فَجمالُ النفُوس أسمى وأعلى
يصنعُ الصانِعُونَ وردا ولكن ... وردة الروض لا تُضارع شكلاً
(٣) **يا ليت من يمنعُ المْعرُوف يمنعهُ ... حتى يذُوق رِجالٌ غِب ما صنعُوا**
(٤) **لعمرك ما بالعقل يُكتسبُ الغِنى ... ولا باكتسابِ المال يُكتسبُ العقْلُ**

إجابة النموذج

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
(١)	يا أيها المتحلي غير شيمته إلخ..	طلبي	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبي	الأمر
(٢)	يا ابنتي إن أردت آية حسن	طلبي	النداء
	فانبذي عادة التبرج	طلبي	الأمر.
(٣)	يا ليت من يمنع المعروف	طلبي	التمني
(٤)	لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبي	القسم

أسئلة على الإنشاء والأمر يطلب أجوبتُها

- ما هو الإنشاء لغة واصطلاحا؟
- إلى كم ينقسم الإنشاء؟
- ما هو الإنشاء الغير الطلبي؟
- كم أقسام الإنشاء الطلبي؟
- ما هو الأمر؟ كم صيغة للأمر؟
- ما هي المعاني التي تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها؟

المبحث الثاني: في النهي

النهي هو: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء[١].

وله صيغةٌ واحدةٌ، وهي المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: **ولا تُفْسِدُوا فِي الأرض بعد إصلاحِها** [٢].

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

١- كالدعاء - نحو قوله تعالى: **ربنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نسِينا أو أخطأنا** [٣].

٢- والالتماس -كقولك لمن يساويك «أيها الأخ، لا تتوان».

٣- والإرشاد - كقوله تعالى: **لا تسألُوا عن أشياءَ إنْ تُبد لكُم تسُؤكُم** [٤].

٤- والدوام - كقوله تعالى **ولا تحسبن الله غافِلا عما يعملُ الظالِمُونَ** [٥].

٥- وبيان العاقبة - نحو قوله تعالى: **ولا تحسبن الذِين قُتِلُوا فِي سبِيل اللهِ أمواتا بلْ أحياءٌ** [٦].

٦- والتيئيس - نحو قوله تعالى: **لا تعتذِرُوا قد كفَرْتُم بعد إيمانِكُم** [٧].

٧- والتمني - نحو: «يا ليلة الأنس، لا تنقضي» وقوله:

يا ليـلُ، طُـلْ يـا نـومُ، زُل ... يـا صُـبح، قِـف لا تطلـعُ

(٨) والتهديد - كقولك لخادمك: «لا تطع أمري».

---

(١) اعلم أن النهي حقيقة في التحريم، كما عليه الجمهور، فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

واعلم أن النهي كالأمر؛ فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسا مع النظير.

(٢) سورة الأعراف: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٤) سورة المائدة: ١٠١.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٦) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٧) سورة التوبة: ٦٦.

(٩) والكراهة - نحو: «لا تلتفت وأنت في الصلاة».

(١٠) والتوبيخ - نحو: «لا تنه عن خلق وتأتي مثله».

(١١) والائتناس - نحو **لا تحزنْ إن الله معنا** [1].

(١٢) والتحقير - كقوله:

لا تطلُبِ ا د إنّ ا ْ ـد سُـلمُه   صعب وعِش مُستريحا ناعم البال

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

تطبيق

اذكر ما يراد من صيغ النهي الآتية:

(١) **ولا تلبِسُوا الحق بِالباطِل وتكْتُمُوا الحق وأنْتُم تعلمُونَ** [١].

(٢) **فلا تُلزمن الناس غير طِباعهم ... فتتعب من طُول العِتابِ ويتعبوا**
ولا تغترر منهم بحسن بشاشة ... فأكثرُ إيماض البوارق خُلَّبُ

(٣) **فلا تهج -إن كنت ذا إربةٍ- ... حرب أخي التجربة العاقل**

(٤) **لا تعتذِرُوا اليوم** [٢].

لا تحسبِ المجد تمرا أنت آكلهُ ... لن تبلُغ المجد حتى تلعق الصبرا

(٦) «**لا تحتجب عن العيون أيها القمر**».

(٧) **لا تعرضن لجعفرٍ مُتشبها ... بندى يديه؛ فلست مِن أندادِه**

(٨) **لا تيأسُوا أن تستردوا مجدكم ... فلَرُب مغلُوبٍ هوى ثُم ارتقى**
ولا تجلس إلى أهل الدنايا ... فإنّ خلائق السفهاء تُعدي

الغرض	الغرض
(١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل.	(٣) الإرشاد والنصح.
(٢) الإرشاد إلى حسن الخلق.	(٤) التوبيخ والتقريع.
(٥) التوبيخ والتعنيف.	(٧) التوبيخ والتأنيب.
(٦) التمني.	(٨) الإرشاد والنصح.

---

(١) سورة البقرة: ٤٢.

(٢) سورة التحريم: ٧.

المبحث الثالث: في الاستفهام

الاستفهام هو: طَلَب العلم بشيء لم يكن معلوما مِن قبلُ، وذلك بأداة من إحدى أدواته - وهي:

(الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيَّان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي).

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو: «الهمزة».

وما يطلب به التصديق فقط، وهو «هل».

وما يطلَب به التصور فقط، وهو بقّية ألفاظ الاستفهام.

١- الهمزة

يطلب بالهمزة أحد أمرين: تصور، أو تصديق.

١- فالتصور: هو إدراك المفرد[1] نحو: «أعلى مسافر أم سعيد؟».

تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه؛ ولذا يجاب بالتعيين، فيقال: سعيد، مثلا. وحكم الهمزة التي لطلب التصور؛ أن يليها المسئول عنه ا، سواء أكان:

١- مسندا إليه - نحو: «أأنت فعلت هذا أم يوسف؟».

٢- أم مسندا - نحو: «أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟».

٣- أم مفعولا - نحو: «إياي تقصد أم سعيدا؟».

٤- أم حالا - نحو: «أراكبا حضرت أم ماشيا؟».

٥- أم ظرفًا - نحو: «أيوم الخميس قدِمت أم يوم الجمعة؟».

ويذكر غالبا مع همزة التصور معادل مع لفظة «أم»، وتسمى متصلة، كالأمثلة السابقة، ويجوز حذف هذا المعادل: نحو: «أخليل حضر؟»، ونحو: «أيوم الخميس سافرت؟»، وهلم جرا.

---

(١) أي: إدراك عدم وقوع النسبة، وذلك كإدراك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو هما معا، أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب، فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين، والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبو ا ونفيها، وحينئذ للهمزة استعمالان: فتارة يطلب ا معرفة مفرد، وتارة يطلب ا معرفة نسبة، «وتسمى معرفة المفرد تصورا»، «ومعرفة النسبة تصديقًا».

ب- **والتصديق:** هو إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو عدم وقوعها(١).

ويكثر التصديق في الجمل الفعلية - كقولك: «أحضر الأمير؟»(٢) تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها، وفي هذه الحالة يجاب بلفظ: «نعم» أو «لا».

ويِقلّ التصديق في الجملة الاسمية - نحو: «أعلي مسافر؟».

ويمتنع أن يذْكر مع همزة التصديق معادل كما مثل، فإن جاءت «أم» بعدها قدّرت منقطعةً(٣) وتكون بمعنى (بل) كقوله:

ولستُ أبالي بعد فَقْـدي مالِكًـا أموتى نـاءٍ أم هُـو الآن واقـعُ

٢- هل

يطلب ا التصديق فقط (أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها لا غير) نحو: «هل جاء الأمير؟» والجواب «نعم» أو «لا».

ولأجل اختصاصها بطلب التصديق؛ لا يذكر معها المعادل بعد «أم» المتصلة؛ فلذا:

(أ) امتنع - «هل سعد قام أم سعيد؟»؛ لأن وقوع المفرد وهو «سعيد» بعد «أم» الواقعة في حيز الاستفهام دليل على أن أم متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين -ولابدّ حينئذ أن يعلَم ا أولاً أصل الحكم؟

(وهل) لا يناسبها ذلك؛ لأ ا لطلب الحكم فقط؛ فالحكم فيها غير معلوم، وإلا لم يستفهم عنه ا، وحينئذ يؤدي الجمع بين (هل وأم) إلى التناقض؛ لأن (هل) تفيد أن السائل جاهل بالحكم، لأ ا لطلبه «وأم» المتصلة تفيد أن السائل عالم به، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين - فإن جاءت أم كذلك كانت منقطعة بمعنى «بلْ» التي تفيد الإضراب نحو:

---

(١) أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له. واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا؛ يسمى حكما، وإسناده، وإيقاعا، وانتزاعا، أو إيجابا وسلبا.

(٢) أي فقدت تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما، وسألت عن وقوع النسبة بينهما: هل هو محقق خارجا أو لا؟ فإذا قيل: حضر. حصل التصديق، وكذا يقال فيما بعده؛ فالمسئول عنه في التصديق نسبة يتردد الذهن في ثبو ا ونفيها، كما سبقت توضيحه.

(٣) أي ولابد من وقوع الجملة بعد «أم» المنقطعة، فإن وقع بعدها مفرد قدر بجملة، نحو «أحضر أم جيشه؟» أي: بل حضر جيشه.

وتلخص مما تقدم: أن همزة التصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة، وأن همزة التصديق أو هل إن جاس بعدهما «أم» قدرت منقطعة، وتكون بمعنى «بل».

«هلْ جاء صديقك أم عدوك؟».

(ب) وقَبح استعمال «هل» في تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة، وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل، نحو: «هل خليلاً أكرمت؟»، فتقديم المعمول على الفعل يقتضي غالبا حصول العلم للمتكلم، وتكون «هلْ» لطلب حصول الحاصل، وهو عبث.

تنبيهات

الأول: «هلْ كالسين وسوف؛ تخلص المضارع للاستقبال؛ فلا يقال: هلْ تصدق؟ جوابا لمن قال: أحبك الآن؛ بلْ تقول له: أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال؛ قَوِي اتصالها بالفعل لفظًا أو تقديرا، نحو: هل يجيء علي؟ -أو هل علي يجيء؟».

فإن عدِلَ عن الفعل إلى الاسم؛ لإبراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله، كان هذا العدول أبلغ في إفادة المقصود، كقوله تعالى: **فَهَلْ أَنْتُم شاكِرُونَ** [1] فهذا التركيب أدل على طلب الشكر من قولك «هل تشكرون»؛ وذلك لأن الفعل لازم بعد هلْ، والعدول عنه يدل على قوة الداعي لذلك لما ذُكر.

الثاني: هل نوعان: بسيطة، ومركبة.

(أ) فالبسيطة - هي التي يستفهم ا عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو: «هل العنقاء[٢] موجودة؟»، «هل الخِل الوفي موجود؟».

(ب) والمركبة -هي التي يستفهم ا عن وجود شيء لشيء، أو عدم وجوده له، نحو: «هل المريخ مسكون؟» «هل النبات حساس؟».

الثالث: (هل) لا تدخل على:

١- المنفي[٣]. فلا يقال: «هل لم يفهم علي؟».

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٢) حكى الزمشخري في (ربيع الأبرار): إن العنقاء كانت طائرا، وكان فيها من كل شيء من الألوان، وكانت في زمن أصحاب الرس تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب م نحو الجبل فتأكلهم، فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام؛ فدعا الله عليها فأهكلها وقطع عقبها ونسلها؛ فسميت عنقاء مغرب لذلك.

(٣) أي: لأن هل في الأصل بمعنى «قد»، وهي لا تدخل على المنفي؛ فلا يقال: قد لا يقوم خليل؛ فحينئذ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة، سواء أكانت جملا فعلية أو اسمية، واعلم أن =

٢- ولا على المضارع الذي هو للحال. فلا يقال: «هل تحتقر عليا وهو شجاع؟».
٣- ولا على إن. فلا يقال: هل إن الأمير مسافر؟
٤- ولا على الشرط. فلا يقال: «هل إذا زرتك تكرمني؟».
٥- ولا على حرف العطف. فلا يقال: «هل فيتقدم أو هل ثم يتقدم؟»[١].
٦- ولا على اسم بعده فعل. فلا يقال: «هل بشرا منا واحدا نتبعه؟».

بخلاف الهمزة؛ فإ ا تدخل على جميع ما ذُكِر.

الرابع: بقية أدوات الاستفهام موضوعة للتصور فقط - وهي: (ما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي). ولهذا يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه.

٣، ٤- «ما - ومن»

«ما» موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء، ويطْلَب ا:

إيضاح الاسم: نحو «ما العسجد؟». فيقال في الجواب: إنه ذهب.

أو يطلب ا بيان حقيقة المسمى: نحو: «ما الشمس؟» فيجاب: بأنه كوكب اري.

أو يطلب ا بيان الصفة نحو «ما خليل؟» - وجوابه: طويل: أو قصير. مثلا.

وتقع «هل» البسيطة في الترتيب العقلي[٢] بين «ما» التي لشرح الاسم والتي للحقيقة، فمن يجهل معنى البشر مثلا؛ يسأل أولا «بما» عن شرحه، فيجاب: بالإنسان؛ ثم (ل) البسيطة عن وجوده، فيجاب: بنعم. ثم «بما» عن حقيقته، فيجاب: بحيوان ناطق. «ومن» موضوعة للاستفهام، ويطلب ا تعيين العقلاء، كقولك: «من فتح مصر؟». ونحو: «من شيد الهرم الأكبر؟» «ومن شيد القناطر الخيرية؟».

٥، ٦- «متى - وأيان »

«متى» موضوعة للاستفهام، ويطلب ا تعيين الزمان، سواء أكان ماضيا أو مستقبلا- نحو: «متى تولّى الخلافة عمر؟»، «ومتى نحظى بالاستقلال؟».

«وأيّان» موضوعة للاستفهام، ويطلب ا تعيين الزمان المستقبل خاصة، وتكون في

=

عدم دخولها على المنفي لا ينافي أ ا لطلب التصديق مطلقًا سواء في الإيجابي والسلبي.

(١) أي: لا تقع «هل». قبل الحرف العاطف؛ بل تقع بعده دائما.

(٢) الترتيب العقلي: هو أن يكون المتأخر متوقفًا على المتقدم، من غير أن يكون المتقدم علة له؛ كتقدم المفرد على المركب.

موضع التهويل والتفخيم دون غيره، كقوله تعالى: **يسأل أيان يوم القيامة** [(١)].

٧ : ١١- «كيف، وأين، وأنى، وكم، وأي»

«كيف» موضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيين الحال، كقوله تعالى: **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد** [(٢)] - وكقول الشاعر:

وكيف أخافُ الفقر أو أحرمُ الغِنى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ؟

«وأين» للاستفهام، ويطلب بها تعيين المكان، نحو **أين شركاؤكم** [(٣)].

«وأنى» للاستفهام - وتأتي لمعان كثيرة:

١- فتكون بمعنى «كيف» كقوله تعالى: **أنى يحيي هذه الله بعد موتها** [(٤)].

٢- وتكون بمعنى «من أين». كقوله تعالى: **يا مريم أنى لك هذا** [(٥)].

٣- وتكون بمعنى «متى» - كقولك: «زرني أنى شئت».

«وكم» للاستفهام - ويطلب بها تعيين عدد مبهم، كقوله تعالى: **كم لبثتم** [(٦)].

«وأي» للاستفهام، ويطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، كقوله تعالى: **أي الفريقين خير مقاما** [(٧)] ويسأل بها عن الزمان، والمكان، والحال، والعدد، والعاقل وغيره؛ على حسب ما تضاف إليه. وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي؛ فيستفهم بها عن شيء مع العلم به؛ لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته. ومن أهم ذلك:

١- الأمر - كقوله تعالى: **فهل أنتم منتهون** [(٨)]. أي: انتهوا.

٢- والنهي: كقوله تعالى: **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه** [(٩)].

---

(١) سورة القيامة: ٦، أي فقد استعملت «أيان» مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه، وجواب هذا السؤال **يوم هم على النار يفتنون** [الذاريات: ١٣].

(٢) سورة النساء: ٤١.

(٣) سورة الأنعام: ٢٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٥) سورة آل عمران: ٣٧.

(٦) سورة المؤمنون: ١١٢.

(٧) سورة مريم: ٧٣.

(٨) سورة المائدة: ٩١.

(٩) سورة التوبة: ١٣، أي: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.

٣- والتسوية، كقوله تعالى: **سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** [١].
٤- والنفي - كقوله تعالى: **هلْ جزاءُ الإحسان إلا الإحسانُ** [٢].
٥- والإنكار، كقوله تعالى: **أغير اللهِ تدعُونَ** [٣].
٦- والتشويق- كقوله تعالى: **هلْ أدُلكُم على تجارةٍ تنجيكُم مِن عذابٍ أليمٍ** [٤].
٧- والاستئناس - كقوله تعالى: **وما تلك بيمينك يا موسى** [٥].
٨- والتقرير[٦] - كقوله تعالى: **ألم نشرح لك صدرك** [٧].
٩- والتهويل - كقوله تعالى: **الحاقةُ * ما الحاقةُ * وما أدراك ما الحاقةُ** [٨].
١٠- والاستبعاد - كقوله تعالى: **أنى لهُمُ الذكْرى وقد جاءَهُم رسُولٌ مُبين** [٩]
ونحو: «أنى يكون لي مال قارون؟».
١١- والتعظيم - كقوله تعالى: **من ذَا الذِي يشفَعُ عِندهُ إلا بإذْنِهِ** [١٠].

---

(١) سورة البقرة: ٦.
(٢) سورة الرحمن: ٦٠، أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.
(٣) سورة الأنعام: ٤٠، اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيا، كقوله تعالى: **أفي اللهِ شك** [إبراهيم: ١٠] أي: لاشك فيه. وإذا وقع في النفي يجعله إثباتا نحو قوله تعالى: **ألم يجِدك يتيما** [الضحى: ٦] أي: قد وجدناك. وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفي لهما، ونفي الإثبات نفي، ونفي النفي إثبات، ثم الإنكار قد يكون للتكذيب نحو **أيحسبُ الإنسانُ أنْ يترك سُدى** [القيامة: ٣٦] وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع نحو: **أتعبُدُونَ ما تنحِتُونَ** [الصافات: ٩٥]. وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.
(٤) سورة الصف: ١٠.
(٥) سورة طه: ١٧.
(٦) ويكون غالبا بالهمزة يليها المقرر به كقولك: أفعلت هذا؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك: أأنت فعلت هذا؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك: أخليلاً ضربت؟ إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل. ويكون التقرير أحيانا بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب؟ وكم لي عليك؟
(٧) سورة الشرح: ١.
(٨) سورة الحاقة: ١-٣.
(٩) سورة الدخان: ١٣.
(١٠) سورة البقرة: ٢٥٥.

١٢- والتحقير - نحو: «أهذا الذي مدحته كثيرا؟».

١٣- والتعجب - كقوله تعالى: **مال هذَا الرسُول يأكُلُ الطعام ويمشِي فِي الأسواق**[١]- ونحو: «ما بالك تضيع الوقت سدى؟».

١٤- والتهكم - نحو: «أعقلك يسوغ لك أن تفعل كذا؟».

١٥- والوعيد - نحو: **ألم تر كَيف فَعلَ ربك بِعادٍ**[٢].

١٦- والاستبطاء - كقوله تعالى: **متى نصرُ اللهِ**[٣] ونحو: «كم دعوتك؟».

١٧- والتنبيه على الخطأ - كقوله تعالى: **أتستبدِلُونَ الذِي هُو أدنى بِالذِي هُو خير**[٤].

١٨- والتنبيه على الباطل - كقوله تعالى : **أفَأنت تُسمِعُ الصم أو تهدِي العُمي**[٥].

١٩- والتنبيه على ضلال الطريق -كقوله تعالى: **فَأين تذْهبُونَ**[٦].

٢٠- والتكثير -كقول أبي العلاء المعري:

صاح، هذِي قبورُنا تملأ الرحـ ـب فأين القُبورُ مِن عهدِ عـاد؟

---

(١) سورة الفرقان: ٧.

(٢) سورة الفجر: ٦.

(٣) سورة البقرة: ٢١٤.

(٤) سورة البقرة: ٦١.

(٥) سورة الزخرف: ٤٠.

(٦) سورة التكاثر: ٢٦.

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلي:

(١) **ألستم خير من ركب المطايا — وأندى العالمين بطون راح؟**

(٢) **أنلهو وأيامنا تذهبُ — ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ؟**

(٣) **متى يبلغُ البُنيانُ يوما تمامَهُ — إذا كنت تبنيه وغيرُك يهدمُ؟**

(٤) **فعلام يلتمس العدو مُساءتي — مِن بعد ما عرف الخلائقُ شاني؟**

(٥) **وكيف أخافُ الفقر أو أحرم الغِنى — ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ؟**

(٦) **وهل نافعي أن تُرفع الحُجبُ بيننا — ودُون الذي أملتُ منك حِجابُ؟**

(٧) **أضاعوني وأي فتى أضاعوا — ليوم كريهةٍ وسداد ثغر؟**

(٨) **ومن مثلُ كافور إذا الخيلُ أحجمت — وكان قليلاً من يقول لها: اقدمي؟**

(٩) **أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا — ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي؟**

(١٠) **أعندي وقد مارستُ كلّ خفيّةٍ — يُصدق واش أو يُخيب سائلُ؟**

(١١) **فدع الوعيد فما وعيدك ضائري — أطنينُ أجنحة الذّباب يضيرُ؟**

(١٢) **ومن ذا الذي يُدلي بعذر وحُجةٍ — وسيفُ المنايا بين عينيه مُصلتُ؟**

(١٣) **إذا محاسني اللاتي آتيه بها — عُدت ذنوبا فقل لي: كيف أعتذر؟!**

(١٤) **إلام وفيم تنقلنا ركابُ — ونأمل أنْ يكون لنا أوان؟**

الغرض	**الغرض**
(١) التقرير؛ لأن المقام للمدح وذلك أبلغ فيه	(٨) التعظيم، والتنويه بشجاعته
(٢) النهي عن اللعب، ويصح أن يكون للتهكم	(٩) الإنكار، وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون
(٣) الإنكار، وبيان أن ذلك لن يكون	(١٠) الإنكار، وبيان أن ذلك لاينبغي أن يكون
(٤) التعجب من عمل لا يجديه نفعا.	(١١) التهكم والتحقير
(٥) النفي، وذلك أوقع في المدح	(١٢) التعظيم، و ويل شأن ذلك الموقف
(٦) النفي وبيان أن ذلك ليس بمفيد	(١٣) النفي
(٧) التعظيم، وإكبار شأنه	(١٤) الاستبطاء.

أسئلة على الاستفهام يُطلب أجوبتُها

ما هو الاستفهام؟ ما هي أدواته؟ ما الذي يطلب بالهمزة؟ ما هو التصور؟ ما هو التصديق؟ ما الفرق بين همزة التصور، وهمزة التصديق، وهل؟ ماذا يطلب بأدوات الاستفهام غير الهمزة وهل؟ ما الذي يطلب بمن؟ ما الذي يطلب بما؟ ما الذي يطلب بمتى؟ ما الذي يطلب بكيف؟ ما الذي يطلب بكم؟ ما الذي يطلب بأيان؟ ما الذي يطلب بأنّى؟ ما الذي يطلب بأي؟ ما هي المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية؟

المبحث الرابع: في التمنِّي

التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله.

١- إما لكونه مستحيلا - كقوله:

ألا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيبُ

٢- وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله، كقوله تعالى: **يا ليت لنا مِثْلَ ما أوتي قارُونُ** [١].

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا، ويعبر فيه «بعسى، ولعل» كقوله تعالى: **لعل الله يُحدِثُ بعد ذَلِك أمرا** [٢] و **فعسى اللهُ أنْ يأتي بالفَتح** [٣].

وقد تستعمل في الترجي «ليت» لغرض بلاغي[٤].

وللتمني أربع أدوات: واحدة أصلية وهي «ليت»، وثلاث غير أصلية نائبة عنها، ويتمنى ا لغرض بلاغي - وهي:

١- هل-[٥] كقوله تعالى: **فَهلْ لنا مِن شُفَعاءَ فيشفَعُوا لنا** [٦].

٢- ولو-[٧] كقوله تعالى: **فلو أن لنا كَرةً فنكُونَ مِن المُؤمِنين** [٨].

---

(١) سورة القصص: ٧٩.

(٢) سورة الطلاق: ١.

(٣) سورة المائدة: ٥٢.

(٤) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل؛ مبالغة في بعد نيله - نحو:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي ... من البعد ما بيني وبين المصائب

وقد تستعمل أيضا للتندم نحو: **يا ليتني اتخذْتُ مع الرسُول سبِيلا** [الفرقان: ٢٧].

(٥) اعلم أن سبب العدول عن ليت إلى «هل» إبراز المتمني؛ -لكمال العناية به - في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه، وهو المستفهم عنه.

(٦) سورة الأعراف: ٥٣. لما كان عدم الشفعاء معلوما لهم؛ امتنع حقيقة الاستفهام، وتولد منه التمني المناسب للمقام.

(٧) وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته؛ حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد؛ لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(٨) سورة الشعراء: ١٠٢.

٣- ولعل[١] - كقول الشاعر:

أسِرب القَطا، هلْ من يُعيرُ جناحهُ   لعلّي إلى من قد هويـتُ أطـيرُ؟

ولأجل استعمال هذه الأدوات في التمني؛ ينصب المضارع الواقع في جوا ا.

تمرين

بين المعاني المستفادة من صيغ التمني فيما يأتي:

قال تعالى: **فَهلْ إلى خُرُوجٍ مِن سبِيلٍ** [٢].

علل الليالي التي أضنت بفُرقتِنـا   جِسمِي ستجمعُني يوما وتجمعُـه

«لو يأتينا فيحدثنا»، «لعلي أحج فأزورك».

يا ليتنِي اتخذْتُ مع الرسُول سبِيلا [٣].

هلْ إلى مرد مِن سبِيلٍ [٤] **يا ليت لنا مِثْلَ ما أوتي قارُونُ** [٥] **لعلي أبلُغُ الأسباب** [٦] «لو تتلو الآيات فتشق سمعي».

كُل من في الكَون يشكوُ دهـرهُ   ليت شِعري هذه الدنيا لِمـن؟!

فليت اللّيلَ فيـه كـان شـهرا   ومـر نهـارُهُ مـر السـحابِ

فَليت هوى الأحِبةُ كـان عـدلاً   فحملَ كـل قلْـبٍ مـا أطاقـا

---

(١) وذلك لبعد المرجو؛ فكأنه مما لا يرجى حصوله. واعلم أن (هلا وألا ولوما ولولا) مأخوذة من (هل ولو) بزيادة ما ولا عليهما- وأصل «ألا، وهلا». قلبت الهاء همزة؛ ليتعين معنى التمني، ويزول احتمال الاستفهام والشرط، فيتولد من التمني معنى التنديم في الماضي، نحو (هلا قمت)، ومعنى التحضيض في المستقبل، نحو: (هلا تقف)، ولا يتمنى بـهل ولو ولعل إلا في المقطوع بعد وقوعه؛ لئلا تحمل على معانيها الأصلية.

(٢) سورة غافر: ١١.

(٣) سورة الفرقان: ٢٧.

(٤) سورة الشورى: ٤٤.

(٥) سورة القصص: ٧٩.

(٦) سورة غافر: ٣٦.

المبحث الخامس: في النِّداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أُنادِي المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمان:

(الهمزة، وأي، ويا، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا)(١).

وهي في الاستعمال نوعان:

١- الهمزة وأي- لنداء القريب.

٢- وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد ينـزل البعيد منـزلة القريب؛ فينادى بالهمزة وأي؛ إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب، وكأنه ماثل أمام العين -كقول الشاعر:

أسُكان نعمـان الأراكِ، تيقنـوا بأنكمُ في ربـع قلـبي سُـكّانُ

وقد ينـزلُ القريب منـزلة البعيد؛ فينادى بغير الهمزة وأي:

أ - إشارة إلى علو مرتبته؛ فيجعلُ بعد المنـزلة كأنه بعد في المكان، كقولك: أيا مولاي، وأنت معه، للدلالة على أن المنادى عظيم القدر رفيع الشأن.

ب- أو إشارة إلى انحطاط منـزلته ودرجته - كقولك: «أيا هذا» لمن هو معك.

ج- أو إشارة إلى أن السامع لغفلته وشرود ذهنه؛ كأنه غير حاضر، كقولك للساهي: «أيا فلان»، وكقول البارودي:

يا أيها السادرُ المُزور من صـلفٍ مهلاً فإنك الأيـام مُنخـدِعُ(٢)

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق بمعونة القرائن - ومن أهم ذلك:

١- الإغراء - نحو قولك لمن أقبل يتظلم: «يا مظلوم».

٢- والاستغاثة - نحو: «يا لله للمؤمنين».

٣- والندبة - نحو:

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه (بيا).

(٢) السادر: الذاهب عن الشيء ترفعا عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع. المزور: المنحرف. والصلف: الكبر.

فواعجبا كم يدعي الفضلَ ناقص ... ووا أسفًا كم يُظهر النقص فاضلُ!

٤- والتعجب- كقوله:

يـا لـكِ مـن قُبـرةٍ بمعـمر! ... خلا لكِ الجو فبيضي واصـفري

٥- والزجر -كقوله:

أفُـؤادي، متـى المتـابُ؟ ألمّـا ... تصحُ والشيبُ فوق رأسـي ألمّـا

٦- والتحسر والتوجع، كقوله تعالى: **يا ليتني كُنتُ تُرابا** (١)، وكقول الشاعر:

أيا قبر معن، كيف واريت جُودهُ ... وقد كانَ منهُ البر والبحرُ مُترعا؟

٧- والتذكر -كقوله:

أيا منـزلَي سلمى، سلام عليكما ... هل الأزمُن اللاتي مضين رواجِعُ؟

٨- والتحير والتضجر -نحو قوله:

أيا منازلَ سلمى، أين سـلماكِ؟ ... مِن أجل هذا بكيناهـا بكينـاكِ

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها.

٩- والاختصاص(٢) وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه، نحو قوله تعالى: **رحمةُ اللهِ وبركاتُهُ عليكُم أهلَ البيتِ إنهُ حميد مجيد** (٣).

ونحو: «نحن العلماء ورثة الأنبياء» ويكون الاختصاص:

(أ) إما للتفاخر - نحو: «أنا أكرم الضيف أيها الرجل».

(ب) وإما للتواضع - نحو: «أنا الفقير المسكين أيها الرجل».

ونحو: «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة»(٤).

---

(١) سورة النبأ: ٤٠.

(٢) بيان ذلك: أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، فجرد عن طلب الإقبال، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها.

(٣) سورة هود: ٧٣.

(٤) أي : اللهم، اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب؛ فصورته صورة النداء وليس به؛ إذ لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق؛ ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

تمرين

بين المعاني الحقيقية المستفادة من صيغ النداء، والمعاني المجازية المستفادة من القرائن فيما يلي:

صاحِ، شمّر ولا تزلْ ذَاكِر الموتِ فنسيانُه ضلالٌ مُبين
لا لقومي ويا لأمثال قومي لأناسٍ عُتوُّهم في ازدياد
يا للرجال ذَوي الألباب من نفرٍ لا يبرحُ السفهُ المردِي لهم دِينا
أيها القلبُ، قد قضيت مراما فإلام الولوع بالشهواتِ؟!
أيا شجر الخابور، مالك مُورقًا كأنك لم تجزع على ابن طَرِيفِ؟!
يا أيها الظّالم في فعله الظلم مردُود على من ظلم
أريحانةَ العينين والأنف والحشا ألا ليت شعري هل تغيرت مِن بعدِي؟
يا ناقُ، سِيري عنقًا فسيحا إلى سُليمانَ فنستريحا
حجبوه عن الرياح؛ لأني قلتُ: يا ريحُ بلغيه السلاما
يا ليتني كُنتُ صبيا مُرضعا تحملني الذلفاءُ حولاً أكتعا
يا ليلةً لستُ أنسى طِيبُها أبدا كأن كلّ سرورٍ حاضر فيها
يا ليلةً كالمسك مخبرُها وكذاك في التشبيه منظرُها
أحييتها والبدرُ يخدُمني والشمس أمّاها وآمرُها
يا من تُذكرني شمائله ريح الشمال تنفّست سحرا
وإذَا امتطى قلم أنامله سحر العُقولَ به وما سحرا
يا قَلبُ، ويحك ما سمعت لناصحٍ لمّا ارتميت ولا اتقيت ملاما
يا أعدلُ الناس إلا في معاملتي فيك الخِصامُ وأنت الخَصمُ والحَكَمُ

تنبيهات

الأول: يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض كثيرة- أهمها:

١- التفاؤل - نحو: «هداك الله لصالح الأعمال».

(كأن الهداية حصلت بالفعل) فأخبر عنها، ونحو: «وفقّك الله».

٢- والاحتراز عن صورة الأمر؛ تأدبا واحتراما، نحو: «رحم الله فلانا».ونحو: ينظر مولاي في أمري ويقضي حاجتي.

٣- والتنبيه على تيسر المطلوب لقوة الأسباب، كقول الأمير لجنده: «تأخذون بنواصيهم وتنـزلو م من صياصيهم».

٤- والمبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال، نحو: **وإِذْ أخذْنا مِيثَاقَكُم لا تسفِكُونَ دِماءَكُم** (1) لم يقل: لا تسفكوا؛ قصدا للمبالغة في النهي؛ حتى كأ م وا فامتثلوا، ثم أخبر عنهم بالامتثال.

٥- إظهار الرغبة - نحو قولك في غائب: «رزقني الله لقاءه».

الثاني: يوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة.

(أ) منها إظهار العناية بالشيء، والاهتمام بشأنه -كقوله تعالى: **قُلْ أمر ربي بِالْقِسطِ وأَقِيمُوا وُجُوهكُم عِند كُل مسجِدٍ** (2) لم يقل: وإقامة وجوهكم إشعارا بالعناية بأمر الصلاة؛ لعظيم خطرها، وجليل قدرها في الدين.

(ب) ومنها التحاشي والاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق، كقوله تعالى: **قَالَ إِني أُشهِدُ اللهِ واشهدُوا أَني برِيءٌ مما تُشرِكُونَ * مِن دُونِهِ** (3) لم يقل وأشهدكم. تحاشيا وفرارا من مساواة شهاد م بشهادة الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثير مما ذُكِر فيه، ومما سيذكر في الأبواب التالية، من الذكر والحذف وغيرهما، إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة: ٨٤.

(٢) سورة الأعراف: ٢٩.

(٣) سورة هود: ٥٤، ٥٥.

تطبيق (١)

بين المعاني المستفادة من النداء، وسبب استعمال أداة دون غيرها فيما يلي:

(١) **أيا منازلَ سلمى، أين سلماكِ؟ ... مِن أجل هذا بكيناها بكينـاكِ**[1]

(٢) **صادح الشرق، قد سكت طويلاً ... وعزيــز علينــا ألا تقــولا**[2]

(٣) **أيا قبر معن، كيف واريت جُـوده ... وقد كان منه البر والبحر مُترعا**[3]

(٤) **يا دُررةً نُزعت مِن تاج والدها ... فأصبحت حِلْيةً في تاج رِضـوان**

(٥) **فيا لائمي، دعني أُغَالي بقيمتي ... فقيمةُ كُلّ الناس مـا يُحسـنونه**

إجابة تطبيق (أ)

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١	أيا	التضجر والتحير معا	تنـزيل المنازل المخاطبة منـزلة البعيد لعظم شأ ا لديه
٢	يا	التضجر والتحير معا	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة
٣	أيا	التحسر	تنـزيل المخاطب منـزلة البعيد إشعارا برفعة شأنه
٤	يا	التحسر	تنـزيل المنادى منـزلة البعيد؛ تنويها بعظم الأمر، ورفعة القدر
٥	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة.

---

(١) يريد: لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل؛ فواو العطف محذوفة.

(٢) صدح الرجل: رفع صوته بالغناء.

(٣) المترع: أي المملوء.

تطبيق (ب)

وضح الاعتبار الداعي لوضع كل من الخبر والإنشاء موضع الآخر فيما يلي:

(١) قال تعالى: **وقضى ربك ألا تعبُدُوا إلا إياهُ وبالوالدين إحسانا** (١).

(٢) قال تعالى: **ومن دخلهُ كانَ آمِنا** (٢).

(٣) **أتاني** -أبيت اللّعن- **أنك لُمتني ... وتلك الّتي أهتم منها وأنصبُ**(٣)

(٤) **إذًا فعاقبني ربي مُعاقبة ... قرت بها عينُ من يأتيك بالحسدِ**

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الإنشاء	إذ التقدير «أحسنوا بالوالدين» والمقام للإخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢	الخبر	إذ المعنى «ليأمن من دخله».	إظهار الحرص على وقوعه
٣	الخبر	المقام للإنشاء؛ إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) أبيت اللعن: كانت تحية الملوك، ومعناها: أبيت أن تفعل شيئًا تلعن به. أهتم: أي أصير إذا هم. أنصب: أي أتعب.

تدريب

بين فيما يلي الغرض من وضع الإنشاء موضع الخبر وبالعكس:

(١) **كل خليلٍ كنـتُ خاللتـه — لا تـرك اللـهُ لـه واضـحه**

(٢) قال الله تعالى: **وقَالَ اركَبُوا فِيها بِسمِ اللهِ مجراها** [1].

(٣) قولك لصديقك: «رزقني الله لقاءك».

(٤) **ولائمة لامتك يا فضلُ في الندى — فقلتُ لها: هل أثر اللّوم في البحرِ؟**

أتنهين فَضلاً عن عطاياه للـورى — ومن ذا الذي ينهى الغمام عن القَطرِ؟

أسئلة يُطلب أجوبتُها

١- عرف التمني، واذكر ألفاظه؟

٢- بين الفرق بين التمني والترجي، واذكر ألفاظ ثانيهما؟

٣- بين النداء، واذكر أدواته، وقسمها من حيث الاستعمال؟

٤- متى ينـزل القريب منـزلة البعيد، وبالعكس؟

٥- بين المعاني ا ازية التي تستفاد من ألفاظ النداء؟

٦- بين الأغراض الداعية لإيثار الخبر في مقام الإنشاء؟

٧- لِم يوضع الإنشاءُ موضع الخبر؟

---

(١) سورة هود: ٤١.

تطبيق عام على الباب الثاني

أنا الّذائد الحَامِي الـذمار وإنمـا ... يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلـي

الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا الفخر وإظهار الشجاعة -المسند إليه: أنا. والمسند: الذائد. والجملة الثانية -خبرية فعلية من الضرب الثالث؛ لما فيها من التوكيد بإنما، والمراد ا الفخر وإظهار الشجاعة أيضا. المسند: يدافع. والمسند إليه: أنا.

وما ربك بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ (1) جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد ا التوبيخ - المسند إليه: ربّ. والمسند: ظلام.

«أنت خرجت عن حدّك». جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد ا التوبيخ، المسند إليه: أنت. والمسند: جملة خرجت.

رب إِن قَومِي كَذَّبُون (٢) جملة «رب» إنشائية ندائية.والمراد ا الدعاء. المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة -وجملة «إن قومي كذبون» خبرية اسمية من الضرب الثالث. المراد ا إظهار التحسر. المسند إليه: قومي. والمسند: جملة كذبون.

«**زارنا الغيث**» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المراد ا إظهار الفرح، المسند إليه: الغيث. والمسند: زار، وأتى ا فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

«**ذهب عنا الحزن**» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد ا إظهار الشماتة بمدِيرٍ - المسند: ذهب. والمسند إليه: الحزن. وأتى ا فعلية؛ لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

«**قابلت الأمير**». جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد ا إظهار السرور. والمسند: قابل. والمسند إليه: التاء.

«**أنا ممتثل لأمرك**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا إظهار التواضع - المسند إليه: أنا. والمسند: ممتثل. وأتى ا اسمية ـرد ثبوت المسند للمسند إليه.

إِن الله لا يظْلِمُ الناس شيئًا (٣) جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد ا

---

(١) سورة فصلت: ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: ١١٧.

(٣) سورة يونس: ٤٤.

التوبيخ للناس. المسند إليه: لفظ الجلالة. والمسند: جملة: لا يظلم. وأتى بالمسند جملة؛ لتقوية الحكم بتكرار الإسناد - والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن؛ بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

«**ما جاءنا من أحد**» جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث. والمراد ا فائدة الخبر. المسند: جاء، والمسند إليه: أحد، وأتى ا فعلية لما تقدم.

«**أنت نجحت**» جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث؛ لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، والمراد ا لازم الفائدة. المسند إليه: أنت. والمسند: جملة نجحت.

«**حضر الأمير**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا أصل الفائدة - المسند: حضر. والمسند إليه: الأمير.

«**سيحرم المقصر**» خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد ا الذم. المسند: سيحرم. والمسند إليه: المقصر. وهي تفيد الاستمرار التجددي بقرينة الذم.

«**ما برح المقصر نادما**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا الذم، المسند إليه: المقصر. والمسند: نادما، وهي مفيدة للاستمرار؛ بقرينة ما برح.

«**كلما جئتني أكرمتك**» جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي.

وهي الجملة، وما قبلها قيد لها؛ لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوا ا. المسند: أكرم، والمسند إليه: التاء، وهي مفيدة للاستمرار التجددي، بقرينة كلما.

«**ما مجتهد صاحباك**» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، ولا يقال اسمية؛ لأن الاسم حل محل الفعل؛ ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله. والمراد ا الاستمرار؛ بقرينة الذم، المسند: مجتهد. والمسند إليه: صاحباك. وقس عليها نحو: «ما مبغوض أنت»، و«ما حسن فعل أعدائك»، و«أقائم أخواك»، و«هل منصف أصحابك؟».

«**كلما ذاكر ا تهد استفاد**» جملة استفاد: فعلية خبرية من الضرب الابتدائي، المسند: استفاد، والمسند إليه: هو، وهي مفيدة للاستمرار التجددي؛ بقرينة كلما.

«**الشمس طالعة**» للعاثر -جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه: الشمس -والمسند: طالعة، والمراد ا التوبيخ.

«**الكريم محبوب**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه: الكريم. والمسند: محبوب، والمراد ا الاستمرار؛ بقرينة المدح.

«**من يسافر؟**» جملة إنشائية استفهامية. المسند إليه: من. والمسند: جملة يسافر.

«**التفتوا**» جملة إنشائية أمرية. المسند: التفت. والمسند إليه: الواو.

«**لا تتركوا المذاكرة**» جملة إنشائية ﻨﻬيية. المسند: تترك. والمسند إليه: الواو.

«**ليت البخيل يجود**» جملة إنشائية تمنية اسمية. المسند إليه: البخيل. والمسند: جملة يجود.

«**هل فهمتم؟**» جملة إنشائية استفهامية. المسند: فهم. والمسند إليه: التاء.

«**يا تلاميذ**» جملة إنشائية ندائية. المسند والمسند إليه محذوفان، تقديرهما: «ادعو» نابت عنهما «يا».

الباب الثالث: في أحوال المُسند إليه

المسند إليه هو: المبتدأ الذي له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماء النواسخ.

وأحواله هي الذكْر، والحذف، والّتعريف، والّتنكير، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول: في ذِكْر المسند إليه

كل لفظ -يدل على معنى في الكلام- خليق بالذكر لتأدية المعنى المراد به؛ فلهذا يذكر المسند إليه وجوبا؛ حيث لا قرينة تدل عليه عند حذفه، وإلا كان الكلام معمى مبهما، لا يستبين المراد منه.

وقد يعمد إلى الذّكر مع وجود قرينة تمكن من الحذف، وذلك لأغراض بلاغية كثيرة[١] منها:

١- زيادة التقرير والإيضاح للسامع، كقوله تعالى: **أولئك على هُدى مِن ربهم وأولئك هُمُ المُفْلِحُونَ** [٢]، وكقول الشاعر:

هو الشمس في **العليا، هو الدهرُ** في **السطا** **هو البدرُ** في **النادِي، هو البحرُ** في **الندى**

٢- قلة الثقة بالقرينة لضعفها، أو ضعف فهم السامع، نحو: «سعد نعم الزعيم» تقول ذلك إذا سبق لك ذِكْر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.

٣- الرد على المُخاطب، نحو: «الله واحد»، ردا على من قال: «الله ثالثُ ثلاثة».

٤- التلُذذُ، نحو: «الله ربي، الله حسبي».

---

(١) بيان ذلك: أنه إذا لم يكن في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفُه، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلابد من الذكر جريا على الأصل، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح الذكر مع وجود قرينة تمكن من الحذف، وذلك لأغراض مختلفة كالمذكورة هنا.

(٢) سورة البقرة: ٥، الشاهد في «أولئك هم المفلحون»؛ حيث كرر اسم الإشارة المسند إليه، للتقرير والإيضاح؛ تنبيها على أ م كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضا.

٥- التعريض بغباوة السامع، نحو: «سعيد قال كذا» في جواب: ماذا قال سعيد؟

٦- التسجيل على السامع[1] -حتى لا يتأتى له الإنكار- كما إذا قال الحاكم لشاهد: «هل أقر زيد هذا بأنّ عليه كذا؟». فيقول الشاهد: «نعم، زيد هذا أقر بأن عليه كذا»[2].

٧- التعجب -إذا كان الحكم غريبا- نحو: «علي يقاوم الأسد!» في جواب من قال: هل علي يقاوم الأسد؟؟

٨- التعظيم؛ نحو: «حضر سيف الدولة» في جواب من قال: هل حضر الأمير؟.

٩- الإهانة، نحو: «السارق قادم» في جواب من قال: هل حضر السارق؟

---

(١) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

(٢) فيذكر المسند إليه؛ لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار، بأن يقول للحاكم عند التسجيل: إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري -فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الإعذار فيه.

المبحث الثاني: في حذف المسند إليه

الحذف خلاف الأصل. وهو قسمان:

قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولهم: «أهلاً وسهلاً»؛ فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو: «جئت أهلا، ونزلت مكانا سهلا» وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

وقسم لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب؛ وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لا يتم إلا بمراعاته: نحو: «يعطي ويمنع» أي يعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء -ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة، وضاع ذلك الرونق[1].

ومن دواعي الحذف إذا دلت عليه قرينة وتعلق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

١- ظهوره بدلالة القرائن عليه -نحو **فَصكت وجهها وقَالَت عجُوز عقِيم**[2] أي: أنا عجوز.

٢- إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: «أقبلَ» تريد عليا مثلا.

٣- تيسر الإنكار عند الحاجة، نحو: «لئيم خسيس» . بعد ذِكْر شخص.

٤- الحذر من فوات فرصة سانحة، كقول منبهِ الصياد: «غزال» أي: هذا غزال.

٥- اختبار تنبه السامع، أو مقدار تنبهه، نحو: «نوره مستفاد من نور الشمس»، أو «هو واسطة عقد الكواكب» «أي القمر» في كل من المثالين.

٦- ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع، كقوله:

---

(١) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها؛ ولهذا يقول الإمام (عبد القاهر الجرجاني) في باب الحذف: «إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر..». والأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضرو ا أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازا لا يصار إليه بحال، ومن شرط حسن الحذف: أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا.

(٢) سورة الذاريات: ٢٩.

قَالَ لي **كَيف أنت؟ قُلتُ: عليـلٌ   سهر دائـم وحُـزنٌ طويـلُ**[١]

٧- المحافظة على السجع، نحو: «من طابت سريرته، حمِدت سيرته»[٢].

٨- المحافظة على قافية، كقوله:

وما المالُ والأهلُـونَ إلا ودائـع   ولابُد يوما أن تُـرد الودائـعُ[٣]

٩- المحافظة على وزن، كقوله:

على أنني راضٍ بأنْ أحمِل الهـوى   وأخلص منه لا علي ولا ليـا[٤]

١٠- كون المسند إليه معينا معلوما «حقيقة» نحو: **عالِمُ الْغيبِ والشهادةِ** [٥] «أي الله» -أو «ادعاء» نحو: «وهاب الألوف» «أي فلان».

١١- اتباع الاستعمال الوارد على تركه[٦] -نحو: «رميةٌ من غير رامٍ» «أي هذه رمية»، ونحو: «نعم الزعيم سعد» أي هو سعد.

١٢- الخوف منه، أو عليه، نحو: «ضرِب سعيد».

١٣- تكثير الفائدة، نحو **فَصبر جمِيلٌ** [٧] أي: فأمري صبر جميل.

١٤- تعينه بالعهدية، نحو **واستوت على الْجُودِي** [٨] أي: السفينة، ونحو: **حتى توارت بِالْحِجابِ** [٩] أي: الشمس.

---

(١) أي لم يقل: أنا عليل؛ لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

(٢) أي لم يقل: حمد الناس سيرته؛ للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

(٣) فلو قيل: أن يرد الناس الودائع؛ لاختلفت القافية، لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

(٤) أي: لا على شيء، ولا لي شيء.

(٥) سورة الأنعام: ٧٣.

(٦) وكذا أيضا الوارد على ترك نظائره مثل: الرفع على المدح نحو: «مررت بزيد الهمام» وعلى الذم نحو: «رأيت بكرا اللئيم» وعلى الترحم مثل: «ترفق بخالد المسكين».

(٧) سورة يوسف: ١٨، ٨٣.

(٨) سورة هود: ٤٤، قيل: الجودي هو: الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح، وهي معهودة في الكلام السابق في قوله: «واصنع الفلك بأعيننا» إلخ.

(٩) سورة ص: ٣٢.

تدريب

بين أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية:

وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا [(١)] الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك[(٢)] «الأمير نشر المعارف، وأمن المخاوف»[(٣)] «محتال مراوغ»[(٤)] «منضِجة للزرع، مصلِحة للهواء»[(٥)].

فعباس يصُد الخطب عنا **وعباس يجير من استجارا**

خلق فسوى [(٦)] «مقرر للشرائع، موضع للدلائل» **فلو شاء لهداكم أجمعين** [(٧)].

وإني من القوم الذين هُمُ هُمُ **إذا مات منهم سيد قام صاحبه**

أنا مصدرُ الكلام البوادي **بين المحاضر والنوادي**

أنا فارس أنا شاعر في **كل ملحمة ونادى**

إنْ حلّ في **رومٍ ففيها قيصر** **أو حل** في **عُربٍ ففيها تبع**

---

(١) سورة الجن: ١٠.
(٢) تخاطب غبيا.
(٣) جوابا لمن سأل: ما فعل الأمير؟
(٤) بعد ذكر إنسان.
(٥) تعني الشمس.
(٦) سورة الأعلى: ٢.
(٧) سورة الأنعام: ١٤٩، أي لو شاء هدايتكم.

تطبيق

وضح دواعي الحذف في التراكيب الآتية:

ملوك وإخوانٌ إذا ما مدحتُهم	أُحكَّمُ في أموالهم وأُقرَّبُ
أما والذي أبكى وأضحك والذي	أمات وأحيا والذي أمرُه أمرُ
١- لَسِنٌ إذا صعِد المنابر أو نضا	فَلَما شأى الخُطباءَ والكُتّابا[1]
٢- عليلُ الجسم مُمتنِع القيام	شديدُ السكرِ من غير المُدامِ
٣- أحجاجُ، لا يفْلَلْ سلاحُك إنما الـ	منايا بكفّ الله حيثُ تراها[2]
٤- حريص على الدنيا مضيع لدِينه	وليس لما في بيته بمضيع
٥- وإني رأيت البُخل يُزري بأهله	فأكْرمتُ نفسِي؛ أن يُقال: بخيلُ
٦- لو شِئت لم تُفسد سماحة حاتمٍ	كرمًا ولم تهدم مآثر خالدٍ
٧- برد حشاي إن استطعت بلفظةٍ	فلقد تضر إذا تشاءُ وتنفعُ[3]
٨- نجومُ سماءٍ كلما غار كوكب	بدا كوكب تأوي إليه الكواكب[4]
وقد عِلم القبائل من معد	إذا قبب بأبطحها بُنينا
بأنا المُطعِمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شِينا
وأنا التاركون إذا سخطنا	وأنا الآخذون إذا رضينا

(١) نضا: بمعنى جرد، شأى: سبق.
(٢) فلول السيف: كسور في حده.
(٣) الحشا: ما انطوت عليه الضلوع.
(٤) أي هؤلاء نجوم.

الرقم	المحذوف	السبب
١	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام المدح
٢	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
٣	المسند إليه	العلم به
٤	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥	المسند إليه	العلم به
٦	المفعول	البيان بعد الإبهام
٧	المفعول	عدم تعلق الغرض به بتنـزيل المتعدي منـزلة اللازم
٨	المسند إليه	ادعاء تعيينه في مقام المدح

«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» «خلاق لما يشاء» «الحمد لله الحميد» «لا تخاطب السفيه اللئيم، وأحسن إلى الفقير المسكين».

المبحث الثالث: في تعريف المسند إليه

اعلم أن حق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأن المحكوم عليه ينبغي أن يكون معلوما؛ ليكون الحكم مفيدا.

وتعريفه[(١)] إما بالإضمار، وإما بالعلمية، وإما بالإشارة، وإما بالموصولية، وإما بال، وإما بالإضافة، وإما بالنداء.

---

(١) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين؛ وإلا امتنع الفهم -إلا أن الفرق بينهما: أن النكرة يفهم منها ذات المعين فقط، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع، وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين، ويفهم منها كونه معلوما للسامع؛ لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العلم، وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإما بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة، وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة، وإما بحرف وهو المعرف بأل والنداء، وإما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر، ماعدا المنادى. واعلم أنه قدم ذكر الإضمار، لأنه أعرف المعارف، وأصل الخطاب أن يكون لمعين، وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيـم تمردا

أخرج الكلام هنا في صورة الخطاب؛ ليفيد العموم.

المبحث الرابع: في تعريف المسند إليه بالإضمار

يؤتى بالمسند إليه ضميرا لأغراض:

١- لكون الحديث في مقام «التكلم»، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

٢- أو لكون الحديث في مقام الخطاب كقول الشاعر:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

٣- أو لكون الحديث في مقام (الغيبة) نحو: «هو الله تبارك وتعالى».

ولا بد من تقدم ذكره:

أ - إما لفظًا ، كقوله تعالى : **فَاصبِرُوا حتى يحكُم اللهُ بيننا وهُو خيرُ الحاكِمِين** [1].

ب- وإما معنى، نحو: **وإنْ قِيلَ لَكُمُ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُو أزكَى لَكُم** [2]. أي: الرجوع ونحو **اعدِلُوا هُو أقْربُ لِلتقْوى** [3] أي: العدل.

ج- أو دلت عليه قرينة حال، كقوله تعالى: **فَلَهُن ثُلُثَا ما ترك** [4] أي الميت.

تنبيهات

الأول: الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين. نحو: «أنت استرققتني بإحسانك».

وقد يخاطب:

أ - غير المُشاهد: إذا كان مستحضرا في القلب نحو: **لا إلَه إلا أنت** [5].

ب- وغير المُعين: إذا قُصِد تعميم الخطاب لكل من يمكن خطابه على سبيل البدل لا التناول دفعة واحدة كقول المتنبي:

إذَا أنت أكْرمت الكريم ملكْته وإنْ أنت أكْرمت اللئيم تمردا

الثاني: الأصل في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره، وقد يعدل عن

(١) سورة الأعراف: ٨٧.
(٢) سورة النور: ٢٨.
(٣) سورة المائدة: ٨.
(٤) سورة النساء: ١١.
(٥) سورة الأنبياء: ٨٧.

هذا الأصل؛ فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة:

(أ) منها: تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه، كقوله:

هي النفس ما حملتها تتحمل

فَإِنها لا تعمى الأبصارُ [1] «ونعم رجلا علي»؛ فالفاعل ضمير يفسره التمييز.

ويطرد ذلك في بابي «نعم وبئس»، وفي باب «ضمير الشأن» نحو: **هُو اللهُ أحد** [2].

(ب) ومنها: ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، نحو: أقبل وعليه الهيبة والوقار، ونحو قول الشاعر:

أبتِ الوصـالَ مخافـةَ الرقبـاء وأتتك تحت مـدارع الظّلمـاء

(ويسمى هذا العدول بالإضمار في مقام الإظهار).

الثالث: يوضع الظاهر (سواء أكان علما، أو صفة، أو اسم إشارة موضع الضمير لأغراض كثيرة:

١- منها: إلقاء المهابة في نفس السامع، كقول الخليفة: «أمير المؤمنين يأمر بكذا».

٢- وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: **اللهُ ربي ولا أشرِكُ بربي أحدا** [3].

٣- ومنها التلذذ، كقول الشاعر:

سقى اللهُ نجْدا والسلامُ على نجدِ ويا حبذا نجدُ على القُربِ والبُعدِ

٤- ومنها الاستعطاف -نحو «اللهم، عبدك يسألك المغفرة». (أي أنا أسألك).

(ويسمى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار).

---

(١) سورة الحج: ٤٦.

(٢) سورة الإخلاص: ١

(٣) سورة الكهف: ٣٨.

المبحث الخامس: في تعريف المسند إليه بالعلمية

يؤتى بالمسند إليه علما؛ لإحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص؛ ليمتاز عما عداه -كقوله تعالى: **وإذْ يرفَعُ إبراهِيمُ الْقَواعِدَ مِن الْبيتِ وإسماعِيلُ** [1].

وقد يقصد به مع هذا أغراض أخرى تناسب المقام:

١- كالمدح في الألقاب التي تشعر بذلك، نحو «جاء نصر»، و «حضر صلاح الدين».

٢- والذم والإهانة، نحو «جاء صخر»، «وذهب تأبط شرا».

٣- والتفاؤل، نحو: «جاء سرور».

٤- والتشاؤم، نحو: «حرب في البلد».

٥- والتبرك، نحو: «الله أكرمني». في جواب: هل أكرمك الله؟

٦- والتلذذ، كقول الشاعر:

باللهِ يا ظَبياتِ القَاعِ قُلْـن لنـا ... ليلايَ منكُن أم ليلى من البشـر؟

٧- والكناية عن معنى يصلح العلم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية، نحو: «أبو لهب فعل كذا..» كناية عن كونه جهنميا؛ لأن اللهب الحقيقي هو لهب جهنم؛ فيصح أن يلاحظ فيه ذلك.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

المبحث السادس: في تعريف المسند إليه بالإشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة: إذا تعين طريقًا لإحضار المشار إليه في ذهن السامع؛ بأن يكون حاضرا محسوسا، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا معينا آخر، كقولك: «أتبيع لي هذا؟» مشيرا إلى شيء لا تعرف له اسما ولا وصفًا.

أما إذا لم يتعين طريقًا لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى، منها:

أ - بيان حاله في القُرب، نحو: **هذِهِ بِضاعتُنا** (١).

ب- بيان حاله في التوسط، نحو: «ذاك ولدي».

ج- بيان حاله في البعد، نحو: **ذَلِك يومُ الْوعِيدِ** (٢).

٢- تعظيم درجته بالقرب، نحو: **إِن هذَا الْقُرآنَ يهدِي لِلتِي هِي أَقْومُ** (٣)، أو تعظيم درجته بالبعد، كقوله تعالى: **ذَلِك الْكِتابُ لا ريب فِيهِ** (٤).

٣- والتحقير بالقرب، نحو **هلْ هذَا إِلا بشر مِثْلُكُم** (٥).

أو التحقير بالبعد، كقوله تعالى: **فَذَلِك الذِي يدُع الْيتِيم** (٦).

٤- وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيــت مذاهبُــهُ ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقــاهُ مرزُوقًــا؟

هذا الذي ترك الأوهــام حــائرةً ... وصير العالِم النحريــر زنــديقًا؟

٥- وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتــه ... البيتُ يعرفــهُ والحِــل والحــرمُ

ونحو قوله: هذا أبو الصقر فردا في محاسنه.

---

(١) سورة يوسف: ٦٥.

(٢) سورة ق: ٢٠.

(٣) سورة الإسراء: ٩.

(٤) سورة البقرة: ٢.

(٥) سورة الأنبياء: ٣.

(٦) سورة الماعون: ٢.

٦- والتعريض بغباوة المخاطب حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، كقوله:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم **إذا جمعتنــا يا جرير ا امع**

٧- والتنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير -لأجل تلك الأوصاف- بما يذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: **أولَئِك على هُدى مِن ربهم وأولَئِك هُمُ المُفْلِحُونَ** (١).

وكثيرا ما يشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعيد؛ تنــزيلاً للبعد عن العيان منــزلة البعد عن المكان، نحو: **ذَلِك تأويلُ ما لَم تسطِع عليه صبرا** (٢).

---

(١) سورة البقرة: ٥، أي فالمشار إليه بأولئك: هم المتقون. وقد ذُكر عقبة أوصاف هي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بعدهما، ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيها على أن المشار إليهم أحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلا والفوز بالفلاح آجلا.

(٢) سورة الكهف: ٨٢.

المبحث السابع: في تعريف المسند إليه بالموصولية

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول؛ إذا تعين طريقًا لإحضار معناه كقولك: «الذي كان معنا أمس سافر»، إذا لم تكن تعرف اسمه.

أما إذا لم يتعين طريقًا لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى:

١- منها التشويق -وذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكما غريبا، كقوله:

والـذي حـارت البريـة فيـه حيوانٌ مُستحدث مِن جمـادِ[١]

٢- ومنها إخفاء الأمر عن غير المخاطب، كقول الشاعر:

وأخذتُ ما جاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتي كما أهوى

٣- ومنها التنبيه على خطأ المخاطب، نحو: **إن الذِين تدعُونَ مِن دُون اللهِ عِباد أمثالُكُم**[٢]. وكقول الشاعر:

إن الـذين تـرُونهم إخـوانكم يشفي غَليلَ صُدورِهم أن تُصرعوا[٣]

٤- ومنها التنبيه على خطأ غير المخاطب، كقوله:

إن الّتي زعمـت فُـؤادك ملّهـا خلعت هواك كما خلعت هوى لها

٥- ومنها تعظيم شأن المحكوم به، كقول الشاعر:

إن الذي سمك السماء بنى لنـا بيتا دعائمـهُ أعـز وأطـولُ[٤]

٦- ومنها التهويل تعظيما أو تحقيرا، نحو: **فَغشِيهُم مِن اليم ما غَشِيهُم**[٥]، ونحو: «من لم يدر حقيقة الحال؛ قال ما قال».

٧- ومنها استهجان التصريح بالاسم، نحو: «الذي رباني أبي»[٦].

٨- ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب، كقوله

---

(١) يعني تحيرت البرية في المعاد الجسماني.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٤.

(٣) أي من تظنون أخوانهم يحبون دماركم، فأنتم مخطئون في هذا الظن. ولا يفهم هذا المعنى لو قيل: إن قوم كذا يشفي إلخ.

(٤) أي إن من سمك السماء بنى بيتا من العز والشرف هو أعز وأقوى مِن دعائم كل بيت.

(٥) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم لا تحيط العبارة بوصفه، سورة طه: ٧٨.

(٦) أي بأن كان اسمه قبيحا، كمن اسمه (برغوت أو جحش أو بطة أو غيره).

تعالى: **﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾**[(١)].

٩- ومنها التوبيخ، نحو: «الذي أحسن إليك قد أسأت إليه».

١٠- ومنها الاستغراق، نحو: «الذين يأتونك أكرمهم».

١١- ومنها الإ ام نحو: «لكل نفس ما قدمت».

واعلم أن التعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك، غريب النـزعة، يوقفك على دقائق من البلاغة تؤنسك؛ إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك، وتثلج صدرك إذا تأملتها بصادق رأيك؛ فأسرار ولطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها، واعتبر في كل مقام ما تراه مناسبا.

---

(١) سورة الحج: ٥٠.

المبحث الثامن: في تعريف المسند إليه بـ «ال»

يؤتى بالمسند إليه معرّفًا بال العهدِية -أو- ال الجنسية: لأغراض.

ال العهدية

ال العهدية: تدخل على المُسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجا بين المتخاطبين. وعهده يكون:

(أ) إما بتقدم ذكره «صريحا» كقوله تعالى: **كما أرسلنا إلى فرعونَ رسُولا * فعصى فرعونُ الرسُولَ** [(١)] ويسمى: عهدا صريحيا.

(ب) وإما بتقدم ذكره «تلويحا»، كقوله تعالى: **وليس الذكرُ كالأنثى** [(٢)] فالذكر وإن لم يكن مسبوقًا صريحا إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله: **رب إني نذرتُ لك ما في بطني مُحررا** [(٣)]، فإنهم كانوا لا يحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنى بـ «ما» - ويسمى عهدا كنائيا.

(ج) وإما بحضوره بذاته، نحو **اليوم أكملتُ لكُم دِينكُم** [(٤)]. أو بمعرفة السامع له نحو: «هل انعقد المجلس؟» ويسمى: عهدا حضوريا.

ال الجنسية

ال الجنسية (وتسمى لام الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١- للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي؛ بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، نحو: «الإنسان حيوان ناطق» (وتسمى لام الجنس)؛ لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد -ونحو: «الذهب أثمن من الفضة».

٢- أو الإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: **وأخافُ أنْ يأكُلهُ الذئبُ** [(٥)].

---

(١) سورة المزمل: آية ١٥-١٦.

(٢) سورة آل عمران: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران: ٣٥، التحرير: هو العتق لخدمة بيت المقدس.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة يوسف: ١٣.

تنبيهات

الأول: علم مما تقدم أن ال التعريفية قسمان:

القسم الأول: لام العهد الخارجي، وتحته أنواع ثلاثة: صريحي - وكنائي - وحضوري.

والقسم الثاني: لام الجنس، وتحته أنواع أربعة: لام الحقيقة من حيث هي، ولام الحقيقة في ضمن فرد مبهم، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي.

فمجموع أقسام ال من حيث هي سبعة.

الثاني: استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع؛ لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة -بدليل صحة «لا رجال في الدار» إذا كان فيها رجل أو رجلان- بخلاف قولك: «لا رجل»؛ فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها؛ وإنما تصح في النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام؛ لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد، نحو **الرجالُ قَوامُونَ على النساءِ** [(١)] بل هو في المفرد أقوى كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز، نحو: **أعلمُ غَيب السماواتِ والأرض** [(٢)]، **واللهُ يُحِب المُحسِنين** [(٣)] **وعلم آدم الأسماءَ كُلها** [(٤)] إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى.

الثالث: قد يعرّف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرفة وعكسه «حقيقة» نحو **وهُو الغفُورُ الوُدُودُ** [(٥)] ونحو: **وتزودُوا فإن خير الزادِ التقْوى** [(٦)] أو «ادعاء» للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو: «محمد العالم» أي: الكامل في

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٨.

(٤) سورة البقرة: ٣١.

(٥) سورة البروج: ١٤.

(٦) سورة البقرة: ١٩٧.

العلم - أو كماله في المسند، نحو: «الكرم التقوى» (أي لا كرم إلا هي).

ومدخولها في المعنى كالنكرة؛ فيعامل معاملتها (وتسمى: لام العهد الذهني).

٣- أو للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة:

(أ) بمعونة قرينة «حالية» نحو: **عالِمُ الْغيبِ والشهادةِ** [١] أي كل غائب وشاهد.

(ب) أو قرينة «لفظية» نحو: **إن الإنسانَ لَفِي خُسرٍ** [٢].

أي كل إنسان -بدليل الاستثناء بعده - ويسمى استغراقًا حقيقيا.

٤- أو للإشارة إلى كل الأفراد مقيدا، نحو: «جمع الأمير التجار، وألقى عليهم نصائحه» - أي جمع الأمير «تجار مملكته» لا تجار العالم أجمع، (ويسمى: استغراقًا عرفيا).

---

(١) سورة السجدة: ٦.

(٢) سورة العصر: ٢.

المبحث التاسع: في تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه معرفًا بالإضافة إلى شيء من المعارف السابقة لأغراض كثيرة:

١- منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع، نحو: «جاء غلامي»؛ فإنه أخصر من قولك: «جاء الغلام الذي لي».

٢- ومنها تعذر التعدد أو تعسره، نحو: «أجمع أهل الحق على كذا» «وأهل مِصر كرام».

٣- ومنها الخروج من تبعة تقديم البعض على البعض، نحو: «حضر أمراء الجند».

٤- ومنها التعظيم للمضاف، نحو: «كتاب السلطان حضر».

أو للمضاف إليه: نحو: «الأمير تلميذي»، أو غيرهما، نحو: «أخو الوزير عندي».

٥- ومنها التحقير للمضاف، نحو: «ولد اللص قادم». أو للمضاف إليه، نحو: «رفيق زيد لص»- أو غيرهما نحو: «أخو اللص عند عمرو».

٦- ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضجر والسآمة، كقول جعفر بن علْبة وهو في السجن بمكة:

هواي مع الركْب اليمانين مُصعِدُ جنيب وجُثماني بمكّـة مُوثَـقُ[1]

واعلم أن هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المُصحح لأن يقال: «المضاف للمضاف إليه»، فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازا كما في الإضافة لأدنى ملابسة نحو **مكْرُ الليل**[2] وكقوله:

إذا كَوكبُ الخَرقاءِ لاح بسـحرةٍ سُهيلٌ أذاعت غَزلها في القَرائب[3]

---

(١) أي من أهواه وأُحبه ذاهب مع ركبان الإبل القاصدين إلى اليمن، منضم إليهم، مقود معهم، وجسمي مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم؛ فلفظ «هواي». أخصر من «الذي أهواه»، ونحوه.

(٢) سورة سبأ: ٣٣.

(٣) أضاف «الكوكب» إلى الخرقاء أي المرأة الحمقاء، مع أنه ليس لها؛ لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع سهيل سحرا في الشتاء- وتفصيل ذلك أنه يقال: إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف، فإذا طلع سهيل (وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي) في السحر وذلك قرب الشتاء أحست بالبرد واحتاجت إلى الكسوة ففرقت غزلها أي قُطنها أو كتانها الذي يصير غزلا في أقاربها؛ ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة، وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنـزلة الاختصاص.

المبحث العاشر: في تعريف المسند إليه بالنداء[١]

يُؤتى بالمسند إليه مُعرفًا بالنداء لأغراض:

١- منها إذا لم يعرف للمخاطب عنوان خاص، نحو: «يا رجل».

٢- ومنها الإشارة إلى علة ما يطلب منه، نحو: «يا تلميذ، اكتب الدرس».

---

(١) اعلم أن أغلب البيانيين لم يثبت التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه، وتحقيق ذلك يطلب من المطولات.

المبحث الحادي عشر: في تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المُتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاء، كقولك: «جاء هنا رجل يسأل عنك» إذا لم تعرف ما يعينه من علَم أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى:

١- كالتكثير[1] نحو: **وإنْ يُكَذِّبوك فَقَد كُذبت رُسُلٌ مِن قَبلِك** أي رسل كثيرة.

٢- والتقليل -نحو: **لو كَانَ لَنا مِن الأمر شيءٌ** [2] ونحو: **ورِضوانٌ مِن اللهِ أكْبَرُ** .

٣- والتعظيم والتحقير -كقول ابن أبي السمط:

لَهُ حاجِب عن كل أمـرٍ يُشـينهُ وليس لَهُ عن طَالِب العُرف حاجبُ

(أي له مانع عظيم وكثير عن كل عيب، وليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان)[3] فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير.

٤- وإخفاء الأمر، نحو: «قال رجل إنك انحرفت عن الصواب». تخفي اسمه حتى لا يلحقه أذى.

٥- وقصد الإفراد، نحو: «ويلٌ أهون من ويلين». (أي ويل واحد).

٦- وقصد النوعية، نحو: «لكل داء دواء». (أي لكل نوع من الداء نوع من الدواء).

---

(١) سورة فاطر: ٤، اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير: أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة، وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقًا كما في قولك: «إن له لإبلاً، وإن له لغنما». أو تقديرا نحو **ورِضوانٌ مِن اللهِ أكْبَرُ** [التوبة: ٧٢] أي قليل من الرضوان أكبر من كل شيء ويلاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضا.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٣) أي ومنه قوله: «ولله عندي جانب لا أضيعه، وللهو عندي والخلاعة جانب». ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى: **إني أخافُ أنْ يمسك عذَاب مِن الرحمن** [مريم: ٤٥].

المبحث الثاني عشر: في تقديم المسند إليه(١)

اعلم أن مرتبة المُسند إليه التقديم؛ وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن؛ لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعا؛ فلهذا تقدم وضعا. ولتقديمه دواعٍ شتى:

١- منها تعجيل المسرة، نحو: «العفو عنك صدر به الأمر».

٢- ومنها تعجيل المساءة، نحو: «القصاص حكم به القاضي».

٣- ومنها التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة، كقول المعري:

والذي حارت البرية فيـه ... حيوانٌ مُستحدثٌ مِن جمادٍ(٢)

---

(١) معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني؛ فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبعي. ومن البين أن رتبة المسند إليه التقديم؛ لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير؛ إذ هو المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها وإن كان من حقها التأخير؛ فيكون من الحسن إذًا تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام؛ ليكون المقدم مشيرا إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومترجما عما يريد.

ولا يخلو التقديم من أحوال أربع:

الأول: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة -والكتاب الكريم هو العمدة في هذا؛ انظر إلى قوله تعالى: **وُجُوه يومئِذٍ ناضِرةٌ * إلى ربها ناظِرةٌ** [القيامة: ٢٢، ٢٣] تجد أن تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني: ما يفيد زيادة في المعنى فقط، نحو **بل الله فَاعْبُد وكُن مِن الشاكِرِين** [الزمر: ٦٦] فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة وأنه ينبغي ألا تكون لغيره، ولو أُخِّر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث: ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة، كقوله:

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت ... بحمـد إلـهي وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع: ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي -أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك كما سلف من قول الفرزدق

إلى ملك ما أمه مِن مُحارب ... أبوه ولا كانت كُليب تُصاهره

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، (أي ما أم أبيه منهم)، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى؛ بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق حتى يفهم المراد منه.

(٢) قيل: الحيوان هو الإنسان. والجماد الذي خلق منه: هو النطفة.

وحيرة البرية فيه هو الاختلاف في إعادته للحشر - وهو يريد أن الخلائق تحيّرت في المعاد =

٤- ومنها التلذذ، نحو: «ليلى وصلت»، «وسلمى هجرت».

٥- ومنها التبرك، نحو: «اسم الله اهتديت به».

٦- ومنها النص على عموم السلب - أو سلب العموم:

فعموم السلب يكون بتقديم أداة العموم[1] ككل وجميع على أداة النفي، نحو: «كل ظالم لا يفلح» المعنى: لا يفلح أحد من الظلمة، ونحو: «كل ذلك لم يكن»: أي لم يقع هذا ولا ذاك، ونحو: «كل تلميذ لم يقصر في واجبه»، ويسمى «شمول النفي».

واعلم أن عموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد.

وتوضيح ذلك: أنك إذا بدأت بلفظة «كل» كنت قد بنيت وسلّطت الكُلية على النفي وأعملتها فيه - وذلك يقتضي ألا يشذ عنه شيء.

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم -نحو: «لم يكن كل ذلك»، أي لم يقع ا موع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد؛ لأن النفي يوجه إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل.

ويسمى «نفي الشّمول».

واعلم أن سلب العموم يكون النفي فيه للمجموع غالبا، كقول المتنبي:

ما كل رأي الفتى يدعُو إلى رشد

وقد جاء لعموم النفي قليلا قوله تعالى: **إن الله لا يُحِب كُل مُختالٍ فَخُورٍ**[2].

ودليل ذلك الذوق والاستعمال.

٧- ومنها إفادة التخصيص قطعا[3] إذا كان المسند إليه مسبوقًا بنفي والمسند فعلا،

=

الجسماني، يدل لذلك قوله قبله:

بان أمرُ الإله واختلف النا س فداعٍ إلى ضلالٍ وهادي

(١) بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة لما بعدها كما مثل؛ فإن كانت معمولة للفعل بعدها سواء تقدمت لفظًا أو تأخرت نحو: "كل ذنب لم أصنع" "ولم آخذ كل الدراهم" أفاد الكلام سلب العموم، ونفي الشمول غالبا.

(٢) سورة لقمان: ١٨.

(٣) وذلك يكون في ثلاثة مواضع:

الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي، نحو: "ما فؤاد فعل هذا".

=

نحو: «ما أنا قُلت هذا» أي لم أقُلْه: وهو مقول لغيري.

ولذا لا يصح أن يقال: «ما أنا قلت هذا ولا غيري»؛ لأن مفهوم «ما أنا قلت» أنه مقول للغير، ومنطوق «ولا غيري» كونه غير مقول للغير، فيحصل التناقض سلبا وإيجابا).

وإذا لم يسبق المسند إليه نفي كان تقديمه محتملاً[1] لتخصيص الحكم به أو تقويته إذا كان المسند فعلا[2] نحو: «أنت لا تبخل». و«هو يهب الألوف»؛ فإن فيه الإسناد مرتين: إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب في المثال الثاني.

٨- ومنها كون المتقدم محط الإنكار والغرابة -كقوله:

أبعد المشيب المُنقضي في الذوائب ... تُحاوِلُ وصلَ الغانياتِ الكَواعِبِ؟

٩- ومنها سلوك سبيل الرقي - نحو: «هذا الكلام صحيح، فصيح، بليغ. فإذا قلت: فصيح، بليغ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح - وإذا قلت: بليغ، لا يحتاج إلى ذِكْر فصيح.

١٠- ومنها مراعاة الترتيب الوجودي - نحو **لا تأخُذُهُ سِنةٌ ولا نوم**[3].

=

الثاني: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفي، نحو: "ما أنا قلت ذلك".

الثالث: أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي، نحو: "ما تلميذ حفظ الدرس".

(١) وذلك في ستة مواضع:

الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي -نحو" فؤاد ما قال هذا".

الثاني: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبتة، نحو: "عباس أمر ذا".

الثالث: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي، نحو: "أنا ما كتبت الدرس".

الرابع: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة، نحو: "أنا حفظت درسي".

الخامس: أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي، نحو: "رجل ما قال هذا".

السادس: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة، نحو" تلميذ حضر اليوم في المدرسة".

واعلم: أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجاني، وهو الحق، وخالفه السكاكي.

(٢) فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا؟ وهل إذا كان المسند وصفًا مشتملاً على ضمير نحو "أنت بخيل" لم يكن كالفعل في إفادة التقوية؟ أقول: لما كان ضمير الوصف لا يتغير تكلما وخطابا وغيبة، فهو شبيه بالجوامد، وكانت تقويته قريبة من الفعل لا مثلها تماما.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

المبحث الثالث عشر: في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه إن اقتضى المقام تقديم المسند -كما سيجيء، ولا نلتمس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبْلَه

«**أمير المؤمنين يأمرك بكذا**» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال، المسند إليه «أمير المؤمنين». ذُكِر للتعظيم، وقُدم لذلك، والمسند «جملة يأمر»، ذُكر لأن الأصل فيه ذلك، وأُخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه، وأُتي به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد (والتعظيم، وتقوية الحكم، وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، واقتضاء المقام تقديم المسند إليه: أحوال) والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات، والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

«**أنت الذي أعانني. وأنت الذي سرني**» ذكر أنت «ثانيا» لزيادة التقرير والإيضاح؛ فزيادة التقرير والإيضاح حال، والتكرير مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

«**سعيد يقتحم الأخطار**» «بعد مدحه» ذكر سعيد؛ للتعظيم والتعجب؛ فالتعظيم والتعجب حال، والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

«**حضر الكريم**» بعد: «أحضر سعد؟» ذُكِر «الكريم»؛ لتعظيم سعد ومدحه؛ فالتعظيم حال، والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

«**علي كتب الدرس**» جواب: ما الذي عمل علي؟ «ذُكِر «علي»؛ للتعريض بغباوة السامع، وقُدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً؛ فالتعريض والتقوية حالان، والذكر والتقديم مقتضيان، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين.

«**محمود نعم التلميذ**» بعد مدحٍ كثير له، ذُكر «محمود»؛ لقلة الثقة بالقرينة. وقُدم لتقوية الحكم.

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللهُ [1] حذف المسند وهو «خلقنا»؛ للعلم به.

خُلِق الإنسانُ مِن عجلٍ [2] حذف المسند إليه وهو «الله» تعالى؛ للعلم به.

«**معطى الوسامات والرتب**»، حذف المسند إليه؛ للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاءً.

ألم يجِدك يتيما فآوى [3] حذف مفعول «آوى» للمحافظة على الفاصلة.

«**صاحبك يدعو إلى وليمة العرس**»، حذف مفعول (يدعو) للتعميم باختصار.

«**لا يُعطِي ولا يمنع إلا الله تعالى**»، حذف المفعولان؛ لعدم تعلق الغرض بهما.

«**أُهين الأميرُ**» حذف الفاعل؛ للخوف عليه.

«**لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده**» قُدم (نصف) الثاني؛ للمحافظة على الوزن.

«**ما كل ما يتمنى المرء يدركه**» قُدمت أداة النفي على أداة العموم؛ لإفادة سلب العموم ونفي الشمول.

«**جميع العقلاء لا يسعون في الشر**»، قدمت أداة العموم على أداة النفي؛ لإفادة عموم السلب وشمول النفي.

وعلى اللهِ فليتوكل المُؤمِنُونَ [4] قدم الجار والمجرور؛ للتخصيص.

ونحنُ التاركون لما سخِطنا ... ونحن الآخِذون لما رضِينا

الجملة الأولى خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة. المسند إليه «نحن» ذُكِر لأن ذكره الأصل، وقُدم للتعظيم، وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار. والمسند «التاركون» ذكر وأُخر؛ لأن الأصل ذلك.

وأنت الذي أخلفْتني ما وعدتِني ... وأشمت بي من كان فيك يلومُ

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه (أنت) ذُكِر وقُدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار. والمسند لفظة «الذي»، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالموصولية للتعليل. يعني إن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم. وأما جملة: «أشمتّ» فمعطوفة

(١) سورة الزخرف: ٨٧.
(٢) سورة الأنبياء: ٣٧.
(٣) سورة الضحى: ٦.
(٤) سورة إبراهيم: ١١.

على جملة: «أخلفت» ووصلت ا لما تقدم. وعرف المسند إليه وهو الفاعل في (يلوم) بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

«**أبو لهب فعل كذا**»، جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث؛ لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك، المسند إليه «أبو لهب» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميا.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ما هي أحواله؟ متى يجب ذكره؟ ما هي الوجوه التي ترجّح ذِكْره عند وجود القرينة؟ متى يحذف؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة؟ لم يعرف المسند إليه بالإضمار؟ ما الأصل في الخطاب؟ ما الأصل في وضع الضمير؟ هل يقدم الضمير على مرجعه؟ هل يوضع الظاهر موضع الضمير؟ لم يعرف المسند إليه بالعلمية؟ لم يعرف بالإشارة؟ لم يعرف بالموصولية؟ لم يعرف بال؟ إلى كم تنقسم ال؟ لم يعرف بالإضافة؟ لم يعرف بالنداء؟ لأي شيء ينكّر المسند إليه؟ لم يقدم؟ ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم؟ لِم يؤخّر؟.

الباب الرابع: في المسند وأحواله[١]

المُسندُ هو: الخبر، والفعلُ التام، واسم الفعل، والمبتدأُ الوصف المُستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النواسخ، والمصدر النائب عن الفعل.

وأحواله هي: الذكر، والحذْف، والتعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في ذكر المسند أو تركه

يذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذِكْر المسند إليه، وذلك:

١- ككون ذكره هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، نحو: "العلم خير من المال".

٢- وكضعف التعويل على دلالة القرينة، نحو: «حالي مستقيم» و«رزقي ميسور»؛ إذ لو حذف ميسور؛ لا يدل عليه المذكور.

٣- وكضعف تنبه السامع، نحو: «أصلها ثابت وفرعها ثابت»؛ إذ لو حذف ثابت؛ ربما لا يتنبه له السامع لضعف فهمه.

٤- وكالرد على المخاطب، نحو **قُلْ يُحيِيها الذِي أنشأها أولَ مرةٍ** [٢] بعد قوله تعالى: **من يُحيِي العِظَام وهِي رمِيم** [٣].

٥- وكإفادة أنه «فعلٌ» فيفيد التجدد والحدوث، مقيدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار، «أو اسم» فيفيد الثبوت مطلقًا، نحو **يُخادِعُونَ الله وهُو خادِعُهُم** [٤] فإن «يخادعون» تفيد التجدد مرة بعد أخرى، مقيدا بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه - كذكر الآن -أو- الغد، وقوله: «وهو خادعهم» تفيد الثبوت مطلقًا من غير نظر إلى زمان.

ويحذف المسند لأغراض كثيرة:

١- منها إذا دلت عليه قرينة، وتعلّق بتركه غرض، مما مر في حذف المسند إليه.

---

(١) وإنما ذكر المسند بعد المسند إليه، لأن المسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا؛ ففعل ذلك وضعا.

(٢) سورة يس: ٧٩.

(٣) سورة يس: ٧٨.

(٤) سورة النساء: ١٤٢.

والقرينة:

(أ) إما مذكورة كقوله تعالى: **ولِئن سألتهُم من خلق السماواتِ والأرض ليقُولن اللهُ** [(١)]، أي خلقهن الله.

(ب) وإما مقدرة كقوله تعالى: **يُسبحُ لهُ فِيها بالغُدُو والآصال * رِجالٌ** [(٢)] أي يسبحه رجال، كأنه قيل: من يسبحه؟

٢- ومنها الاحتراز عن العبث - نحو **أن الله برِيءٌ مِن المُشركِين ورسُولُهُ** [(٣)] أي ورسوله بريء منهم أيضا. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثًا؛ لعدم الحاجة إليه.

٣- ومنها ضيق المقام عن ذكره، كقول الشاعر:

نحنُ بما عِندنا وأنت بمـا عِنـ ـدك راضٍ والـرأيُ مُختلـفُ

(أي نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام).

٤- ومنها اتباع الاستعمال، نحو: **لولا أنتُم لكُنا مُؤمِنين** [(٤)] (أي لولا أنتم موجودون)، ونحو: **فصبر جمِيلٌ** [(٥)] (أي أجمل).

(١) سورة الزمر: ٣٨.
(٢) سورة النور: ٣٦، ٣٧.
(٣) سورة التوبة: ٣، ولذا تعرب كلمة رسوله على أ ا معطوف على بريء أو تعرب مبتدأ وخبره تقديره بريء.
(٤) سورة سبأ: ٣١.
(٥) سورة يوسف : ١٨.

المبحث الثاني: في تعريف المسند أو تنكيره

يُعرف المسندُ:

١- لإفادة السامع حكما على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طُرق التعريف، نحو: «هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف».

٢- ولإفادة قصره على المسند إليه -حقيقةً- نحو: «سعد الزعيم»: إذا لم يكن زعيم سواه، أو ادعاءً مبالغة لكمال معناه في المسند إليه، نحو: «سعد الوطني» أي الكامل الوطنية؛ فيخرج الكلام في صورة توهم أن الوطنية لم توجد إلا فيه؛ لعدم الاعتداد بوطنية غيره. وذلك إذا كان المسند معرفًا بلام الجنس(١).

ويُنكّر المسند لعدم الموجب لتعريفه، وذلك:

١- لقصد إرادة العهد -أو الحصر- نحو: «أنت أمير، وهو وزير».

٢- ولإتباع المسند إليه في التنكير، نحو: «تلميذ واقف بالباب».

٣- ولإفادة التفخيم، نحو: **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (٢).

٤- ولقصد التحقير، نحو: «ما خالد رجلاً يذكر».

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانا القصر، كقول الخنساء:

إذا قُبح الْبُكاءُ على قتيلٍ وجدتُ بُكاءكَ الحسن الجميلَ

فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها، ولكنها تريد أن تثبت له وتخرجه من جنس بكاء غيره من القَتلى؛ فهو ليس من القصر في شيء.

(٢) سورة البقرة: ٢.

المبحث الثالث: في تقديم المسند أو تأخيره

يقدم المسند؛ إذا وجد باعث على تقديمه:

كأن يكون عاملاً، نحو: «قام علي» أو ما له الصدارة في الكلام، نحو: «أين الطريق؟».

أو إذا أُريد به غرض من الأغراض الآتية:

١- منها التخصيص بالمسند إليه، نحو: **لِلهِ مُلْكُ السماواتِ والأرضِ** [١].

٢- ومنها التنبيه مِن أول الأمر على أنه خبر لا نعت، كقوله:

لَهُ هِمَمٌ لا مُنتهى لِكبارها وهمته الصغرى أجل مِن الدهرِ

لَهُ راحةٌ لو أن مِعشار جُودها على البر كان البر أندى مِن البحرِ

فلو قِيل: «همم له» لتوهم ابتداءً كون «له» صفه لما قبله.

٣- ومنها التشويق للمتأخر إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره، كتقديم المسند في قوله تعالى: **إِن فِي خلْقِ السماواتِ والأرضِ واختِلافِ الليل والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ** [٢] وكقول الشاعر:

خيرُ الصنائعِ في الأنامِ صنيعة تنبو بحاملها عن الإذلالِ

٤- ومنها التفاؤل، كما تقول للمريض: «في عافية أنت». وكقوله:

سعدت بغُرة وجهك الأيامُ وتزينت بلقائك الأعوامُ

٥- ومنها إفادة قصر المسند إليه على المسند، نحو: **لَكُم دِينُكُم ولِي دِينِ** [٣] (أي دينكم مقصور عليكم، وديني مقصور علي).

٦- ومنها المساءة، كقول المتنبي:

ومِن نكَدِ الدنيا على الحر أن يرى عدُوا له ما مِن صداقته بُد

٧- ومنها التعجب، أو التعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم، أو الدعاء، نحو: «لله درّك»، «وعظيم أنت يا الله»، «ونعم الزعيم سعد». «وبئس الرجل خليل». «وفقير أبوك»، «ومبارك وصولك بالسلامة».

---

(١) سورة الشورى: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣) سورة الكافرون: ٦.

ويؤخر المسند؛ لأن تأخيره هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهم، نحو: «الوطن عزيز».
وينقسم المسند من حيث الإفراد وعدمه إلى قسمين: مفرد، وجملة.
فالمسند المفرد قسمان: «فعل» نحو: «قَدِم سعد»، و «اسم» نحو: «سعد قادم» .

والمسند الجملة ثلاثة أنواع:

١- أن يكون سببيا، نحو: «خليل أبوه منتصر» أو: «أبوه انتصر» أو: «انتصر أبوه».
٢- وأن يقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه، نحو: أنا سعيت في حاجتك. أي الساعي فيها أنا لا غيري.
٣- وأن يقصد تأكيد الحكم، نحو: «سعد حضر»؛ لما فيها من تكرار الإسناد مرّتين.

ويؤتى بالمسند ظرفًا للاختصار، نحو: «خليل عندك» وجارا ومجرورا، نحو: «محمود في المدرسة».

تمرين

بين أسباب التقديم والتأخير فيما يأتي:

ما كل ما فوق البسيطة كافيا … فإذا قنعت فبعضُ شيء كافي[١]

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله … ولكن شِعري فيه مِن نفْسه شِعرُ[٢]

إذا شئت يوما أن تسود عشيرةً … فبالحلم سُد لا بالتسرع والشتمِ[٣]

ثلاثةٌ تُشرقُ الدنيا ببهجتِها … شمسُ الضحى وأبو إسحق والقمرُ[٤]

أفي الحق أن يُعطَى ثلاثون شاعرا … ويُحرم ما دون الرضا شاعرُ

فكيف وكلٌ ليس يعدو حِمامه … وما لامرئ عما قضى الله مزحلُ[٦]

قال تعالى: **بل الله فَاعْبُد وكُن مِن الشاكِرين** [٧].

بك اقتدتِ الأيامُ في حسنا ا … وشيمتُها لولاك هم وتكريبُ[٨]

---

(١) قُدم حرف النفي وهو (ما) على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب، والمعنى: لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كُنت طامعا.

(٢) إذا كان المسند فعلا منفيا، ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص. والمعنى: لست القائل لذلك الشعر وحدي؛ بل شاركني فيه غيري.
ولذلك يعدّ من الخطأ الذي لا يستقيم معه معنى أن تقول: ما أنا فعلت هذا ولا غيري؛ لأن معنى ما أنا فعلت - يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك؛ فقولك: ولاغيري، يكون تناقضا.

(٣) قُدم الجار والمجرور في قوله: (بالحلم سد) ليدل على التخصيص، أي أنك تسود بالحلم لا بغيره.

(٤) قُدم العدد وهو «ثلاثة». وأُخر المعدود؛ ليشوق إليه؛ لأن الإنسان إذا سمع العدد مجموعا يشتاق إلى تفصيل آحاده.

(٥) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام في قوله «أفي الحق أن يعطى»؛ ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الإنكار؛ فتحليل المعنى: أنه لا ينكِر الإعطاء، ولكنه ينكر أن يعدّ ذلك حقًا وصوابا مع حرمانه هو.

(٦) قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله: «كل ليس يعدو»؛ ليدل على عموم السلب، أي أن الناس واحدا واحدا يشملهم حكم الموت ولا مفر منه.

(٧) سورة الزمر: ٦٦، قدم المفعول على الفعل في قوله «الله فاعبد» ليدل على التخصيص، أي أعبد الله ولا تعبد غيره.

(٨) قُدم الجار والمجرور على الفعل في قوله «بك اقتدت». ليدل على التخصيص، أي أن الاقتداء كان بك لا بغيرك.

تطبيق عام على أحوال المسند

«**لما صدأت مرآة الجنان، قصدت لجلائها بعض الجنان**»، الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوا ا وهو «قصدت» وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد ا أصل الفائدة. المسند «قصد» ذُكر لأن ذكره الأصل، وقُدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه «التاء» -ذُكِر لأن الأصل فيه ذلك، وأُخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، وعرف بالإضمار لكون المقام للمتكلم مع الاختصار.

«**كأنه الكوثر الفياض**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا المدح؛ فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه «الهاء» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرّف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار. والمسند «الكوثر» ذُكِر وأُخّر لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بال للعهد الذهني.

«**كتاب** في **صحائفه حكم**» التنكير في هذه الجملة للتعظيم.

«**ما هذا الرجل إنسانا**» نكّر المسند «إنسانا» للتحقير.

«**له همم لا منتهى لكبارها**» المسند «له»- قُدّم لإفادة أنه خبر من أول الأمر؛ لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه؛ لأنه نكرة.

ولَم يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحد [1] قدم المسند «كفوا» على المسند إليه «أحد» للمحافظة على الفاصلة -على رأي بعضهم- والمنصوص عليه في كُتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

«**زهرة العلم أنضرُ من زهرة الروضة**» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد ا الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه «**زهرة العلم**» ذُكِر وقُدّم لأن الأصل فيه ذلك، وعرّف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه. والمسند «**أنضر**» ذُكِر وأُخّر لأن الأصل فيه ذلك، ونكّر لتعظيمه.

«غلامي سافر»، «أخي ذهبت جاريته» «أنا أحب المطالعةَ»، «الحق ظهر»، «الغضب آخره ندم»، أتى بالمسند في هذه المُثل جملةً لتقوية الحكم؛ لما فيها مِن تكرار الإسناد.

---

(١) سورة الإخلاص: ٤.

أسئلة على أحوال المسند يُطلب أجوبتُها

- ما هو المسند؟
- ما هي أحواله؟
- لأي شيء يذكر المسند؟
- لأي شيء يحذف؟
-ِلم يقدم؟ -لم يؤخر؟ -ِلم يعرف؟ -لم ينكر؟ -لم يؤتى به جملة؟

الباب الخامس: في الإطلاق[١] - والتّقييد

إذا اقتصِر في الجملة على ذِكْر المسند إليه والمسند؛ فالحكم مطلق.

والإطلاق يكون حينما لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه؛ ليذهب السّامع فيه كّل مذهب ممكن.

وإذا زِيد عليهما شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما؛ فالحكم مقيد.

والتقييد يكون حينما يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حذف القيد لكان الكلام كذبا - أو غير مقصود- نحو **وما خلقْنا السماواتِ والأرض وما بينهُما لاعِبِين** [٢] فلو حذف الحال وهو «لاعبين» لكان الكلام كذبا؛ بدليل المشاهدة -ونحو **يكَادُ زيتُها يُضِيءُ** [٣]؛ إذ لو حذف «يكاد» لفات الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة. وهلم جرّا.

واعلم أن معرفة خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا يسترعي لُبك إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة، وتقويتها عند السامع؛ لما هو معروف من أن الحكم كلّما ازدادت قُيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا؛ وحينئذ تكون فائدته أتمّ وأكملَ.

والتقييد يكون بالتوابع، وضمير الفَصل، والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز، وفي هذا الباب جملة مباحث[٤].

---

(١) الإطلاق والتقييد: وصفان للحكْم. فالإطلاق: أن يقتصر في الجملة على ذِكْر المسند والمسند إليه حيثُ لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: «الوطن عزيز». والتقييد: أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذبا، نحو: «الولد النجيب يسر أهله».

(٢) سورة الدخان: ٣٨.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) اعلم أن التقييد: يكون لتمام الفائدة؛ لما تقرر مِن أن الحكم كلّما زاد قيده زاد خصوصية، وكلّما زاد خصوصية زادت فائدته. لا فرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الأول: في التّقييد بالنّعت

أما النعتُ فيؤتى به لأغراض كثيرة:

أ - منها: تخصيص المنعوت بصفة تميزه إذا كان نكرة، نحو: «جاءني رجل تاجر».

ب- ومنها: توضيح المنعوت إذا كان معرفة، لغرض:

١- الكشف عن حقيقته، نحو: «الجسم الطويل، العريض، العميق، يشغل حيزا من الفراغ».

٢- أو التأكيد، نحو: ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾ (١)، «وأمس الدابر كان يوما عظيما».

٣- أو المدح، نحو: «حضر سعد المنصور».

٤- أو الذم، نحو ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾ (٢).

٥- أو الترحم، نحو: «قَدِم زين المسكين».

---

(١) سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) سورة المسد: ٤.

المبحث الثاني: في التقييد بالتوكيد

أما التوكيد فيؤتى به:

١- ـرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، نحو: «جاء الأمير - الأمير».

٢- وللتقرير مع دفْع توهم خلاف الظاهر، نحو: «جاءني الأمير نفسه».

٣- وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول، نحو **فَسجد الْملائِكَةُ كُلُّهُم أجمعُونَ** [1].

٤- ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع، نحو: **اسكُن أنت وزوجُك الْجنةَ** [2].

(١) سورة الحجر: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٣٥.

المبحث الثالث: في التقييد بعطف البيان

أما عطف البيان فيؤتى به:

١- لمجرد التوضيح للمتبوع باسم مختص[١] به، نحو: «أقسم بالله أبو حفص عمر».

٢- وللمدح، كقوله تعالى: ﴿**جعلَ اللهُ الكعبةَ البيت الحرام قياما للناس**﴾[٢] فالبيت الحرام عطف بيان للمدح.

---

(١) يكفي في التوضيح أن يوضح الثاني الأول عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو: «علي زين العابدين»، ونحو: «عسجد ذهب».

(٢) سورة المائدة: ٩٧.

المبحث الرابع: في التقييد بعطف النَّسَق

أما عطفُ النسق فيؤتى به للأغراض الآتية:

١- لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: «جاء سعد وسعيد»؛ فإنه أخصر من: «جاء سعد وجاء سعيد»، ولا يعلم منه تفصيلُ المسند؛ لأن الواو لمطلق الجمع.

٢- ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضا، نحو: «جاء نصر فمنصور»[(١)] أو «ثم منصور»، أو «جاء الأمير حتى الجند»؛ لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند، إلا أنّ الأولَ يفيد الترتيب مع التعقيب، والثاني يفيد الترتيب مع التراخي، والثالث يفيد ترتيب أجزاءِ ما قَبلَه؛ ذاهبا من الأقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: «مات الناس حتى الأنبياءُ».

٣- ولرد السامع إلى الصواب مع الاختصار، نحو: «جاء نصر- لا منصور». أو: «لكن منصور».

٤- ولصرف الحكم إلى آخر، نحو: «ما جاء منصور بل نصر».

٥- وللشك من المتكلم، أو التّشكيك للسامع، أو للإبهام، نحو: **وإنا أو إياكُم لَعلَى هُدى أو في ضلالٍ مُبينٍ**[(٢)].

٦- وللإباحة أو التخيير، نحو: «تعلم نحوا أو صرفًا» «وتزوج هندا أو أختها» ونحو: «تعلم إما صرفًا وإما نحوا» و«تزوّج إما هندا وإما أختها».

---

(١) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر دون الزمان -إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: **ونادى نُوح ربَّهُ فَقَالَ رب إن ابني من أهلِي** [هود:٤٥] ونحو **ادخُلُوا أبواب جهنم خالِدِين فِيها فَبِئْس مثْوى الْمُتكَبرين** [الزمر: ٧٢] وإما بدون ترتيب وذلك عند تكرار اللفظ الأول - نحو: «بالله - فبالله».

وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر دون الزمان -إما مع الترتيب المذكور، نحو:

إن من ساد ثم **ساد أبوه** ثم **ساد قبل ذلك جده**

فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح؛ فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جده وإما بدون ترتيب، نحو **وما أدراك ما يومُ الدين * ثُم ما أدراك ما يومُ الدين** [الانفطار: ١٧، ١٨] ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى، نحو: **ثُم أنشأناهُ خلقًا آخر** [المؤمنون: ١٤] فنـزلوا الترتيب في هذه الأمور منـزلة الترتيب الزماني المستفاد منها بأصل الوضع؛ ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازا.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

المبحث الخامس: في التّقييد بالبدل

يؤتى بالبدل لزيادة التّقرير والإيضاح؛ لأن البدل مقصود بالحكم بعد إ ام، نحو: «حضر ابني علي». في بدل الكل، «وسافر الجند أغلبه» في بدل البعض، «ونفعني الأستاذُ عِلمه» في بدل الاشتمال، «ووجهك بدر شمس». في بدل الغلط(١)، لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

(١) لكن الحق الذي عليه الجمهور: أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلغاء.

المبحث السادس: في التّقييد بضمير الفَصل

يُؤتى بضمير الفصل لأغراض:

١- منها التخصيص، نحو: **ألَم يعلَمُوا أن الله هُو يقْبلُ التوبةَ عن عِبادِهِ** [١].

٢- ومنها تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر، كقوله تعالى: **أن الله هُو التوابُ الرحِيمُ** [٢].

٣- ومنها تمييز الخبر عن الصفة، نحو: «العالِم هو العاملُ بعلمه».

---

(١) سورة التوبة: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة: ١١٨.

المبحث السابع: في التّقييد بالنّواسخ

التّقييد ا يكون للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظ النواسخ:

١- كالاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية في «كان»[1].

٢- وكالتوقيت بزمن معين في «ظل، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى».

٣- وكالّتوقيت بحالة معينة في «ما دام».

٤- وكالمقاربة في «كاد، وكرب، وأوشك».

٥- وكالتأكيد في إن وأن.

٦- وكالتشبيه في كأن.

٧- وكالاستدراك في لكن.

٨- وكالرجاء في لعل.

٩- والتمني في ليت.

١٠- وكاليقين في وجد، وألفَى، ودري، وعلم.

١١- وكالظن في خالَ، وزعم، وحسِب.

١٢- وكالتحول، في : اتخذ، وجعل، وصير. وهلم جرا..

---

(١) فالجملةُ تنعقد من الاسم والخبر، أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيدا، فإذا قُلت: «رأيت الله أكبر كل شيء». فمعناه الله أكبر كل شيء على وجه العِلْم واليقين. وهكذا.

المبحث الثامن: في التّقييد بالشّرط

التقييد به يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشّرط: كالزمان في «متى وأيّان»، والمكان في «أين، وأنى، وحيثما»، والحال في «كيفما»، واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يذكر في عِلْم النحو، وإنما يفرّق هنا بين (إنْ، وإذَا، ولو)؛ لاختصاصها بمزايا تعد من وجوه البلاغة.

الفرقُ بَيْنَ «إن، وإذا، ولو»

الأصلُ عدم قطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع «إنْ»؛ ومِن ثَم كَثُر أن تستعمل «إنْ» في الأحوال التي يندر وقوعها، ووجب أَنْ يتلوها لفظ المضارع؛ لاحتمال الشك في وقوعه[(١)].

بخلاف «إذا» فتستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلّم بوقوعه في المستقبل؛ ومن أجل هذا لا تستعمل «إذا» إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعا، كقوله تعالى: **فَإِذَا جاءَتْهُمُ الْحسنةُ قَالُوا لنا هذِهِ وإِنْ تُصِبهُم سيئةٌ يطيرُوا بِمُوسى ومن معهُ** [(٢)].

فلكون مجيء الحسنة منه محققًا؛ ذكر هو والماضي مع (إذا).

وإنما كان ما ذكر محققًا؛ لأن المراد ا مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب، ورخاء، وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بال الجنسية في لفظة الحسنة.

ولكون مجيء السيئة نادرا ذكر هو والمضارع مع (إنْ).

وإنما كان ما ذكر نادرا؛ لأن المراد ا نوع قليل، وهو جدب وبلاء، كما يفهم من التنكير في لفظة «سيئة» الدال على التقليل.

«ولو» تفيد انتفاء الشيء بسبب انتفاء غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع.

ويجب كون جملتيها فِعليتين ماضويتين، نحو: «لو أتقنت عملك؛ لبلغت أملك».

وتسمى «لو» حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى: **لَو كَانَ فِيهما آلِهةٌ إلا اللهُ**

---

(١) ولذا لا يقال: «إنْ طلعت الشمس أزرك»؛ لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال: «إذا طلعت الشمس أزورك».

(٢) سورة الأعراف: ١٣١.

لفسدتا [١]، ونحو: **ولو شاءَ لهداكُم أجمعِين** [٢] أي انتفت هدايته إياكم؛ بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: يعلم مما تقدم أن المقصود بالذّات من الجملة الشّرطية هو الجواب؛ فإذا قُلت: «إن اجتهد فريد كافأته» كنت مخبِرا بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال[٣].

ويتفرع على هذا: أ ا تعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوا ا.

الثاني: ما تقدم من الفرق بين "إن" و"إذا" هو مقتضى الظاهر.

وقد يخرج الكلام على خلافه؛ فتستعمل "إنْ" في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه، لأغراض كثيرة:

أ - **كالتجاهل**، نحو قول المعتذر: «إن كُنت فعلت هذا فعن خطأ».

ب- وكتنـزيل المخاطب العالم منـزلة الجاهل؛ لمخالفته مقتضى علمه، كقولك للمتكبر توبيخا له: «إنْ كنت مِن تراب فلا تفتخِر».

ج- وكتغليب غير المّتصف بالشرط على المّتصف به، كما إذا كان السفر قطعي الحصول لسعيد، غير قطعي لخليل، فتقول: «إن سافرتما كان كذا»[٤].

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة النحل: ٩.

(٣) قال السكاكي: قد يقّيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به، ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والإنشائية، فالجزاء إن كان خبرا فالجملة خبرية نحو: «إنْ جئتني أُكرِمك»، أي أكرمك يئك، وإن كان إنشاءً فالجملة إنشائية نحو: «إن جاءك خليل فأكرمه»، أي أكرمه وقت مجيئه؛ فالحكم عنده في الجمل المصدرة «بإن» وأمثالها في الجزاء، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

(٤) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قُطِع له به؛ فاستعملت إن في ا ـزوم وهو من قُطِع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به، وهذا السبب مساغ لذكر إنْ، واعلم أن التغليب (الذي هو أن يعطي أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت ا المطولات في هذا المقام. واعلم أن المقصود بالذات من جملتي الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط، وأما جملة الشرط فهي قيد لها؛ فإذا قلت: «إنْ زارني

وقد تستعمل «إذا» في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أ - منها: الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكًا فيه، بل لا ينبغي ألا يكون مجزوما به، نحو: «إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس».

ب- ومنها: تغليب المتّصف بالشرط على غير المتّصف به، نحو: «إذا لم تسافِر كان كذا». وهلمّ جرا من عكس الأغراض التي سبقت.

الثالث: لما كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل؛ وجب أن يكون شرط وجزاء كل منهما جملة فعلية استقبالية لفظًا ومعنى، كقوله تعالى: **وإنْ يستغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالمُهل** [(١)].

وكقول الشاعر: «وإذا تردّ إلى قَليلٍ تقْنع».

ولا يعدلُ عن استقبالية الجملة لفظًا ومعنى، إلى استقباليتها معنى فقط، إلا لدواع غالبا.

أ - منها التفاؤل، نحو: «إنْ عِشت فعلت الخير»[(٢)].

ب- ومنها تخييل إظهار غير الحاصل (وهو الاستقبال) في صورة الحاصل (وهو الماضي)، نحو: «إن مت كان ميراثي للفقراء».

الرابع: علم مما تقدم من كون «لو» للشرط في الماضي: لزوم كون جملتي شرطها وجزائها فعليتين ماضويتين، وعدم ثبو ما، وهذا هو مقتضى الظاهر.

وقد يخرج الكلام على خلافه:

فتستعمل «لو» في المضارع لدواع اقتضاها المقام، وذلك:

أ - كالإشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمراره فيما مضى وقتا

=

سليم أكرمته». فالمقصود أنك ستكرم سليما، ولكن في حال زيارته لك؛ فتعد اسمية، أو فعلية خبرية، أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلاً؛ فارجع إليه إن شِئت.

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) وقد تستعمل «إنْ» في غير الاستقبال لفظًا ومعنى، وذلك فيما إذا قُصِد ا تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي حقيقة، كقول أبي العلاء المعري:

فيا وطني، إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البالُ

وقد تستعمل (إذا) أيضا في الماضي حقيقة نحو **حتى إذَا ساوى بين الصدفَين** [الكهف: ٩٦] وللاستمرار نحو **وإذَا لَقُوا الذِين آمَنُوا قَالُوا آمنا** [البقرة: ١٤].

بعد وقت، وحصوله مرة بعد أخرى، كقوله تعالى: **لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** [١].

ب- وكتنـزيل المضارع منـزلة الماضي (لصدوره عمن المستقبل عنده بمنـزلة الماضي في تحقق الوقوع، ولا تخلف في أخباره)، كقوله تعالى: **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** [٢].

(١) سورة الحجرات: ٧، أي امتنع عنتكم (أي: وقوعكم في جهد وهلاك) بسبب امتناع استمراره فيما مضى على إطاعتكم.

(٢) سورة السجدة: ١٢، نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منـزلة الماضي، فاستعمل فيه (إذا) ولفظ الماضي، وحينئذ فكان الظاهر أن يقال: ولو رأيت (بلفظ الماضي) لكن عدل عنه إلى المضارع، تنـزيلاً للمستقبل الصادر عمن لا خلاف في خبره منـزلة الماضي الذي علم وتحقق معناه؛ كأنه قيل: قد انقضى هذا الأمر وما رأيته، ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا.

المبحث التاسع: في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي: يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص، مما تفيده أحرف النفي السّبعة، وهي (لا، وما، ولات، وإنْ، ولن، ولم، ولمّا).

(فلا) للنفي مطلقًا، و(ما وإنْ ولات) لنفي الحال إنْ دخلت على المضارع، و(لن) لنفي الاستقبال، و(لم ولمّا) لنفي المضي؛ إلا أنه (بلمّا) ينسحب إلى ما بعد زمن التكلم، ويختص بالمتوقع؛ وعلى هذا فلا يقال: «لم يقم خليل ثم قام» ولا (لما يجتمع النقيضان)، كما يقال: (لم يقُم علي ثم قام) ولم «يجتمع الضدان»؛ (فلما) في النفي تقابل (قد) في الإثبات؛ وحينئذ يكون منفيها قريبا من الحال؛ فلا يصحّ: «لما يجيء خليل في العام الماضي».

المبحث العاشر: في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييد ا يكون لبيان نوع الفعل؛ أو ما وقع عليه، أو فيه، أو لأجله، أو بمقارنته، ويقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها. ويقيّد بالتمييز لبيان ما خفي من ذات أو نسبة؛ فتكون القيود هي محط الفائدة، والكلام بدو ا كاذب، أو غير مقصود بالذات، كقوله تعالى: **وما خلقْنا السماءَ والأرض وما بينهُما لاعِبين** [(١)] وقد سبق القولُ في ذلك مفصلاً.

تنبيهان

الأول: علم مما تقدم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت - وتقييدها إذا كانت (مذكورة).

أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضا أخرى:

١- منها: التعميم باختصار، كقوله تعالى **واللهُ يدعُو إلى دارِ السلامِ** [(٢)] (أي جميع عباده)؛ لأن حذف المعمول يؤذِن بالعموم[(٣)]. (ولو ذُكِر لَفات غرض الاختصار).

٢- ومنها: الاعتماد على تقدم ذكره، كقوله تعالى: **يمحُوا اللهُ ما يشاءُ ويُثْبِتُ** [(٤)] أي: ويثبت ما يشاء.

٣- ومنها: طلب الاختصار، نحو **يغفِرُ لِمن يشاءُ** [(٥)] أي يغفر الذنوب.

٤- ومنها استهجان التصريح به، نحو: «ما رأيت منه ولا رأى مني» أي العورة.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٦.

(٢) سورة يونس: ٢٥.

(٣) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا، كقوله:

فلو شِئتُ أنْ أبكِي دما لَبكيتهُ ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ

وأعددتُه ذُخرا لكل مُلـ ـمة ... وسهمُ المنايا بالذخائر أولـ ـعُ

فإنّ تعلّق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب؛ فلذا لم يحذف المفعول؛ ليتقرر في نفس السامع.

(٤) سورة الرعد: ٣٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٢٩.

٥- ومنها: البيانُ بعد الإبهام، كما في حذف مفعول فِعل المشيئة[١] ونحوها[٢] إذا وقع ذلك الفعل شرطًا، فإن الجواب يدل عليه ويبينه بعد إبهامه؛ فيكون أوقع في النفس، ويقدّر المفعول مصدرا من فعل الجواب، نحو **فَمن شاءَ فَلْيُؤمِن** [٣] أي: فمن شاء الإيمان.

٦- ومنها: المحافظة على سجعٍ، أو وزنٍ.

فالأول: كقوله تعالى: **سيذكرُ من يخشى** [٤]؛ إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سنن رءوس الآي السابقة.

والثاني: كقول المتنبي:

بناها فأعلى والقَنا يقـرعُ القَنـا وموجُ المنايـا حولهـا مُـتلاطِمُ

أي: فأعلاها.

٧- ومنها: تعين المفعول، نحو: «رعت الماشية» (أي نباتا).

٨- ومنها: تنـزيلُ المتعدي منـزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول؛ بل يجعل المفعول نسيا؛ بحيث لا يكون ملحوظًا مقدرا، ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى: **هلْ يستوي الذِين يعلمُونَ والذِين لا يعلمُونَ** [٥].

الثاني: الأصل في العامل أن يقدم على المعمول، وقد يعكس فيقدم المعمول على العامل لأغراض شتى.

١- منها: التخصيص، نحو **إياك نعْبُدُ وإياك نستعِينُ** [٦].

---

(١) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام، لكن يفوت الاختصار المطلوب.

(٢) أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة والمحبة.

(٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٤) سورة الأعلى: ١٠.

(٥) سورة الزمر: ٩. أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص، والمعنى: لا يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له، فلو قُدر له مفعول وقيل: هل يستوي الذين يعلمون الدين والذين لا يعلمونه. لفات هذا الغرض.

(٦) سورة الفاتحة: ٥. وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له؛ فاستفادة التخصيص مِن التقديم إنما هي بحسب المقام، لا بأصل الوضع.

٢- ومنها رد المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المفعول، نحو: «نصرا رأيت». ردا لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

٣- ومنها: كون المتقدم محط الإنكار مع التعجب، نحو: «أبعد طُول التجرِبةِ تنخدع بهذه الزخارف؟».

٤- ومنها: رعاية موازاة رءوس الآي، نحو: **خُذُوهُ فَغُلوهُ * ثُم الْجحِيم صلوهُ** (١) وهلم جرا من بقية الأغراض التي سبقت(٢).

(١) سورة الحاقة: ٣٠، ٣١.

(٢) أي: فيكون التقديم للتبرك، والاستلذاذ، وموافقة كلام السامع، والاهتمام، وضرورة الشعر، وغير ذلك. واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات:

إما لأمر معنوي، نحو **وجاءَ مِن أقْصى الْمدِينةِ رجُلٌ يسعى** [يس: ٢٠] فلو أخّر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، والمراد كونه من صلة فعله.

وإما لأمر لفظي، نحو: **ولَقد جاءَهُم مِن ربهِمُ الْهُدى** [النجم: ٢٣] فلو قُدم الفاعل لاختلفت الفواصل؛ لأنها مبنية على الألف.

وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض؛ إما لأصالة في التقدم لفظًا، نحو: «حسبت زيدا كريما» فإن «زيدا» وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل، أو معنى، نحو «أعطى زيد عمرا درهمًا».فإن «عمرا» وإن كان مفعولا بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو مِن معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم؛ لأنه أخذ والدرهم مأخوذ.

تطبيق عام على الإطلاق والتقييد

إذا كنــت في **نعمــة فارعهــا**   **فــإنّ المعاصِــي تُزيــل الــنعم**

جملةُ «فارعها» إنشائية أمرية، والأمر مستعمل في أصل معناه، المسند إليه «أنت» وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط «إذا» لتحقق الحصول. «فإن المعاصي تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر التحذير من المعاصي. المسند إليه «المعاصي» والمسند جملة «تزيل»، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، وقّيد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بإن؛ للتوكيد.

«**إن اجتهد خليل أكرمته**» الجملة «**أكرمته**» وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي المسند «أكرم» والمسند إليه «التاء»، وهي مقيدة بالمفعول به؛ لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط «إن»؛ لعدم الجزم بوقوع الفعل.

وأصابت تلك الربى عينُ شمــس   **أورثتها مــن لونهــا اصــفرارا**

كُلّما جال طرفُها تركــت النــا   **س سُكارى وما هــم بُســكارى**

«**وأصابت تلك الربى**» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند «أصاب» ذُكِر لأن الأصل فيه ذلك، وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار، والمسند إليه «عين شمس، ذُكِر لأن الأصل فيه ذلك، وأُخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، وخصص بالإضافة لتعينها طريقًا لإحضار معناه في ذهن السامع، والمضاف إليه «شمس» قُيد بالصفة «أورثتها من لو ا» لأ ا في محل جر صفة شمس للتخصيص، وقّيد الحكم بالمفعول به «تلك»؛ لبيان ما وقع عليه الفعل، وعرف المفعول به بالإشارة لبيان حاله في البعد، وقُيد المفعول بالبدل «الربى»؛ لتقرير حاله في نفس السامع. «تركت الناس سكارى» هي الجملة؛ لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوا ا، وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر التفخيم، المسند إليه «الناس»، ذُكِر وقُدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بال للعهد الذهني؛ لأن المراد بالناس الذين نظروا إليها، والمسند «سكارى» ذكر وأخر؛ لأن الأصل فيه ذلك، ونكر للتهويل، والحكم مقيد «بترك»؛ لإفادة التحويل، وبالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط «كلما»، لإفادة التكرار. «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند إليه «هم» والمسند

«سكارى» والحكم مقيد بما؛ لنفي الحال.

لا تيأسن وكُن بالصبر مُعتصِـما … لن تبلُغ ا د حتى تلعق الصـبرا

«لا تيأسن» جملة إنشائية بية، والمراد بالنهي الإرشاد. المسند «لا تيأس» والمسند إليه «أنت» و «كن بالصبر معتصما» أصلها: أنت معتصم بالصبر. وهي جملة إنشائية أمرية، والمراد بالأمر الإرشاد أيضا، المسند إليه: الضمير المستتر في كن، والمسند «معتصما» والحكم مقيد «بالصبر»؛ لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن»؛ لإفادة التوقيت بالاستقبال. «لن تبلغ ا د حتى تلعق الصبرا» أصلها: لن تبلغ ا د حتى تلعق الصبرا. وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند «تبلغ». والمسند إليه «أنت» والحكم مقيد «بلن» للنفي في المستقبل، وبالجار وا رور، لبيان غاية الفعل.

عسى الكربُ الذي أمسيت فيـه … يكـونُ وراءهُ فَـرج قَريـب

في البيت جملة إنشائية غير طلبية، وهي اسمية من الضرب الثالث؛ لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. المسند إليه «الكرب» ذُكِر وقُدِم؛ لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بال للعهد الذهني، وقُيد بالنعت «الذي أمسيت فيه»؛ لتوضيحه، والمسند «يكون» إلخ، والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء، وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه «التاء» فيها، والمسند: الجار وا رور، والحكم مقيد «بأمسى»؛ لإفادة المساء. وجملة الخبر: «يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه فيها «فرج» ذُكِر لأن الأصل فيه ذلك، وأُخر لضرورة النظم وقُيد بالنعت «قريب» لإفادة القرب، والمسند «وراءه» ذُكِر لأن الأصل فيه ذلك، وقُدم للضرورة، والحكم مقيد بالناسخ «يكون»؛ لإفادة الاستقبال.

يوشك مـن فـر مِـن منيتـه … في بعـض غراتـه يوافقُهـا

أصل الجملة: يوشك من فرّ مِن منيته يوافقها في بعض غراته. وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد ا التيئيس من الخلود في هذه الدنيا، المسند إليه «من» ذُكِر وقُدم؛ لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالموصولية؛ لعدم العلم بما يخصه غير الصلة. والمسد جملة «يوافقها» ذُكِر وأُخر لأن الأصل فيه ذلك، وأُتي به جملة لتقوية الحكم، وقيد بالجار وا رور لبيان زمنه. والحكم مقيد بالناسخ «يوشك»؛ لإفادة المقاربة.

إن الثمـانين وبُلغتهـا … قَد أحوجت سمعـي إلى ترجمـانْ

«**إن الثمانين قد أحوجت**» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد ا إظهار الضعف. المسند إليه «الثمانين» ذُكِر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بال للعهد الذهني. والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، وأُتِي به جملة لتقوية الحكم، والحكم مقيد «بإن» و «قد» للتوكيد، وأما قوله: وبلغتها. فهي معترضة للدعاء، وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المسند إليه «التاء» والمسند «بلغ»، والحكم مقيد بالمفعول به؛ لبيان ما وقع عليه الفعل.

أسئلة على الإطلاق والتقييد يُطلب أجوبتُها

ما هو الإطلاق؟ ما هو التقييد؟ متى يكون الإطلاق؟ متى يكون التقييد؟ لماذا يقيـد بالنعت؟ لماذا يقيد بالتوكيد؟ لماذا يقيد بعطف النسق؟ لماذا يقيد بالبـدل؟ لمـاذا يقيـد بالمفاعيل الخمسة؟ لماذا يقيد بالحال؟ لماذا يقيد بالتمييز؟ لماذا يقيد النواسخ؟ لمـاذا يقيـد بضمير الفصل؟ لماذا يقيد بالشرط؟ ما الفرق بين «إنْ، وإذا، ولو»؟ ما المقصود مِن الجملـةِ الشرطيةِ؟ هل يمكن أن نستعمل «إنْ» في مقام الجزم بوقوع الشرطِ؟ هل يمكن أن تستعمل «إذا». في مقام الشك؟ هل يمكن أن تستعمل «لو» مع المضارع؟ لماذا يقيد بالنفي؟

الباب السادس: في أحوال متعلقات الفعل

الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم، وقد يبنى للمجهول ويحذف الفاعل لأغراض شتى.

١- للعلم به، نحو: **وخُلِق الإنسانُ ضعيفًا** [١].

٢- أو للجهل به، نحو: «سرق المتاع»؛ إذا لم يعرف السارق.

٣- أو للخوف عليه، نحو: «شتِم الأمير»؛ إذا خِيف على الشاتم.

٤- أو للخوف منه، نحو: «قُتِلَ قتيل» إذا خِيف من القاتل.

٥- أو للمحافظة على سجع، نحو: «من طابت سريرته؛ حمدت سِيرته».

٦- أو لتعظيم الفاعل إذا كان الفِعل خسيسا، أو صونه عن اللسان، نحو: «تكلم بما لا يليق».

٧- أو لتحقيره بصون اللسان عنه، نحو: «قد قِيلَ ما قِيلَ».

والأصلُ في المفعول أن يؤخر عن الفعل، ولا يقدّم عليه إلا لأغراض كثيرة:

١- منها التخصيص، نحو **إياك نعبُدُ** [٢] ردا على من قال: أعتقد غير ذلك.

٢- ومنها رعاية الفاصلة، نحو **ثُم الجحِيم صلوهُ** [٣].

٣- منها التبرك، نحو: «كتابا مقدسا تلوت».

٤- ومنها التلذذُ، نحو: «الحبيب قابلت».

والأصل في العامل أن يقدم على المعمول؛ كما أن الأصلَ في المعمول أن تقدم عمدته على فَضلِته، فيحفظ هذا الأصلُ بين الفعل والفاعل.

أما بين الفعل والمفعول ونحوه (كالظرف، والجار وا ـرور)؛ فيختلف الترتيب للأسباب الآتية:

أ - إما لأمر معنوي، نحو: **وجاءَ مِن أقْصى المدِينةِ رجُلٌ يسعى** [٤] (فلو أُخر ا ـرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع؛ لأنه صلة لفعله).

---

(١) سورة النساء: ٢٨.

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) سورة الحاقة: ٣١.

(٤) سورة يس: ٢٠.

ب- وإما لأمر لفظي **ولَقَد جاءَهُم مِن ربهمُ الْهُدى** [١] فلو قُدم الفاعل لاختلفت الفواصل؛ لأ ا مبنية على الألف.

ج- وإما للأهمية، نحو: «قَتل الخارجي فلان».

وأما تقديم الفضلات على بعض؛ فقد يكون:

أ - للأصالة في التقديم لفظًا، نحو: «حسِبت الهلال طالعا»؛ فإن الهلال وإنْ كان مفعولا في الحال؛ لكنه مبتدأ في الأصل، أو للأصالة في التقدم معنى، وذلك كالمفعول الأول في نحو: «أعطى الأمير الوزير جائزةً»، فإن الوزير وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة[٢].

ب- أو لإخلال في تأخيره، نحو: «مررت راكبا بفلان»؛ فلو أُخرت الحال لتوهم أ ا حال من ا .رور، وهو خلاف الواقع، فإ ا حال من الفاعل.

والأصل في المفعول ذِكْره، ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها.

---

(١) سورة النجم: ٢٣.

(٢) لأن الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقدم.

الباب السابع: في القصر

القصر لغة: الحبس. واصطلاحا هو: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، أو هو: إثبات الحكم لما يذكر في الكلام، ونفيه عمّا عداه، بإحدى الطرق الآتية، نحو: «ما فَهم إلا خليل». فمعناه: تخصيص الفهم بخليل، ونفيه عن غيره ممن يظّن فيه ذلك؛ فما قبل «إلا» وهو «الفهم» يسمى مقصورا وما بعدها وهو (خليل) يسمى مقصورا عليه (وما -وإلا) طريق القصر ولكل قصر طرفان: مقصور، ومقصور عليه، وفي هذا الباب أربعة مباحث.

المبحث الأول: في طُرق القصر

للقصر طرق كثيرة، وأشهرها في الاستعمال أربعة[1]، وهي:

١- النفي والاستثناء، نحو: «ما شوقي إلا شاعر». و«ما شاعر إلا شوقي».

---

(١) ومن طرق القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده. أو فقط. أو لا غير. أو ليس غير. أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر: أو توسط ضمير الفصل. أو تعريف المسند إليه. أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحيانا وغير ذلك. وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية، وقد أوصلها السيوطي في كتاب (الإتقان في علوم القرآن) إلى أربعة عشر طريقًا. أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال، وهي تختلف من أوجه كثيرة منها: أن «لا العاطفة». لا تجتمع مع النفي والاستثناء؛ لأن شرط المنفي ا ألا يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها؛ فلا تقول: «ما علي إلا مجتهد لا متكاسل»؛ ولذا عيب على الحريري قوله:

لَعمرُك ما الإنسانُ إلا ابنُ يومِهِ على ما تجلى يُومه لا ابنُ أمسه

وتجتمع (لا) مع إنما أو التقديم نحو: «إنما أنا مصري لا سوري» ونحو: «ا تهد أكرمت لا المتكاسل»؛ لأن النفي فيهما غير مصرح به.

ومنها: أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء -أن يكون مجهولاً منكرا للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما؛ لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من إنما؛ فينبغي أن يكون لشديد الإنكار. ونحو قولك (وقد رأيت شبحا من بعد): ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره. ونحو **إِنْ أَنْتُم إِلا بشر مِثْلُنا** [إبراهيم: ١٠] لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في البشر؛ رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينـزل المعلوم منـزلة ا هول لغرض بلاغي؛ فيستعمل فيه النفي والاستثناء، نحو: **وما مُحمد إِلا رسُولٌ** [آل عمران: ١٤٤] أي مقصور على الرسالة، لا يتعداها إلى التبري من الموت. وهذا معلوم للصحابة، لكن لاستعظامهم موته لشدة حرصهم على بقائه ج نزلوا منـزلة من لا يعلمه.

وقد ينـزل ا هول منـزلة المعلوم، نحو: **إِنما نحنُ مُصلِحُونَ** [البقرة: ١١] لادعائهم أن كو م مصلحين أمر ظاهر، ولهذا رد عليهم بقوله **أَلا إِنهُم هُمُ المُفْسِدُونَ** [البقرة: ١٢] مؤكدا بما ترى بالجملة، «فالاستثناء» لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقة أو ادعاء و«إنما» لضعفها تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقة أو ادعاء.

ومنها: زيادة إنما على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان (أعني الإثبات للمذكور، والنفي عما عداه معا) بخلاف العطف؛ فإنه يفهم منه أولا الإثبات، ثم النفي، أو عكسه، نحو: «إنما خليل فاهم». «خليل فاهم لا حافظ». وأحسن مواقعها التعريض، نحو **إِنما يتذَكرُ أُولُوا الأَلْبابِ** [الرعد: ١٩]. واعلم أن (غير) كإلا في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة؛ فلا يقال: «ما علي غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير علي لا نصر».

٢- وإنما، نحو ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[(١)].

٣- والعطف (بلا، وبل، ولكن) نحو: «الأرض متحركة لا ثابتة»، أو «ما الأرض ثابتة بل متحركة» أول: «ما الأرض ثابتة لكن متحركة».

٤- وتقديم ما حقه التأخير، نحو ﴿إياك نعبُدُ وإياك نستعينُ﴾[(٢)].

وتوضيح ذلك أن المقصور عليه في النفي والاستثناء هو ما بعد أداة الاستثناء - نحو: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾[(٣)].

والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخرا في الجملة وجوبا، نحو: إنما الدنيا غُرور.

والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمقابل لما بعدها، نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

والمقصور عليه مع (بل) أو (لكن) العاطفتين هو الواقع بعدهما، نحو: «ما الفخر

(١) سورة فاطر: ٢٨.
(٢) سورة الفاتحة: ٥.
(٣) سورة هود: ٨٨.

تنبيهات

الأول: الأصل في العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم، والمنفي عنه؛ إلا إذا خيف التطويل -وفي الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط.

الثاني: النفي بلا العطافة - لا يجتمع مع (النفي والاستثناء) فلا تقول: «ما محمد إلا ذكي لا غبي»؛ لأن شرط جواز النفي بلا أن يكون ما قبلها منفيا بغيرها. ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من (إنما)، والتقديم؛ فتقول: إنما محمد ذكي لا غبي. وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

الثالث: الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجيء لأمر ينكره المخاطب، أو يشك فيه، أو لما هو منـزلة هذه المنـزلة: ومن الأخير قوله تعالى: ﴿وما أنت بمُسمِع من في القُبور * إنْ أنت إلا نذير﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

الرابع: الأصل في (إنما) أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منـزل هذه المنـزلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿إنما يستجيبُ الذين يسمعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغُ وعلينا الحِسابُ﴾ [الرعد: ٤] ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إنما نحنُ مُصلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلي لا شكّ فيه - وقال الشاعر:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

بالمال بل بالعلم»، ونحو: «ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى».

والمقصور عليه في (تقديم ما حقه التأخير) هو المقدم، نحو **على اللهِ توكلْنا** [1].

ملاحظات

١- للقصر «بإنما» مزية على «العطف»؛ لأ ا تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف؛ فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانيا، أو عكسه.

٢- القصر بالتقديم لا يدلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأُول؛ بل مرجع دلالته إلى الذوق السليم والفكر الصائب، ويسمى علماءُ المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل (بالقصر)، ويسمون الوسائل نفسها : (طُرق القصر).

---

(١) سورة يونس: ٨٥.

المبحث الثاني: في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

أ - **قصر حقيقي**[١] وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعداه إلى غيره أصلا نحو: «لا إله إلا الله».

ب- **وقصر إضافي:** وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: «ما خليل إلا مسافر»؛ فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلا، وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سِواه؛ إذ الواقع يشهد ببطْلانه.

(١) ومنه نوع يسمى: بالقصر الحقيقي (الادعائي)، ويكون على سبيل المبالغة؛ بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدّ به.

المبحث الثالث: في تقسيم القصر باعتبار طَرَفيْه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه: «المقصور، والمقصور عليه» سواء أكان القصر حقيقيا أم إضافيا، إلى نوعين:

أ - **قصر صفة على موصوف:** ومثاله مِن الحقيقي: «لا رازق إلا الله» ومثاله من الإضافي، نحو: «لا زعيم إلا سعد..».

ب- **قصر موصوف على صفة:** ومثاله من الحقيقي، نحو : «ما الله إلا خالق كل شيء»(١).

ومثاله من الإضافي قوله تعالى: **وما مُحمد إلا رسُولٌ** (٢).

---

(١) قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي لا يكاد يوجد؛ لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها، ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيرا في كل من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة. واعلم أنّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدلّ على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامدا أو مشتقًا، فعلاً أو غير فعل، وليس المراد ا الصفة النحوية المسماه بالنعت.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن، كقول الشاعر:

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يُوافي تمام الشهر ثــم يغيبُ

ونحو:

ما لامرئٍ طولُ الخلودِ وإنما ... يُخلده طــولُ الثناءِ فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى، كقول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران لسأنه ... ومعقوله والجسمُ خلْق مُصور

وكقوله:

لا سيف إلا ذو الفقا ... ر ولا فتــى إلا علي

وذو الفقار: لقب سيف الإمام علي، وسيف العاص بن منبه.

والقصر قد ينحو فيه الأديب مناحي شتى؛ كأن يتجه إلى القصر الإضافي، رغبة في المبالغة كقوله:

وما الدنيا سِوى حُلْمٍ لذيذ ... تنبهه تباشيــرُ الصباح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض، كقوله تعالى: **إنما يتذكرُ أولُوا الألبابِ** [الرعد: ١٩]؛ إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها؛ ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الرابع: في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإضافي بنوعيه[١] على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع:

أ - قصر إفراد، إذا اعتقد المخاطب الشِّرِكةَ، نحو: **﴿إنما اللهُ إله واحِد﴾**[٢]، ردا على من اعتقد أن الله ثالثُ ثلاثةٍ.

ب- قصر قلب، إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته، نحو: «ما سافر إلا عليّ». ردا على من اعتقد أن المسافر خليلٌ لا علي؛ فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده.

ج- قصر تعيين، إذا كان المخاطب يتردد في الحكم: كما إذا كان مترددا في كون الأرض متحركة أو ثابتة؛ فتقول له: «الأرض متحركة لا ثابتة».

ردا على من شك وتردّد في ذلك.

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلقات.

---

(١) بخلاف الحقيقي بنوعيه؛ إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات، أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة؛ فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي: إفرادا، أو قلبا، أو تعيينا، وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف. كما في المطول، وشرح التجريد.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

تطبيق (١)

وضح فيما يلي نوع القصر وطريقه:

(١) **ما الدهرُ عندك إلا روضـة** — **يا من شمائلُهُ في دهـره زهـرُ**[١]

(٢) **ليس عار بأنْ يُقَـالَ فَقـير** — **إنمـا العـارُ أنْ يُقـال بخيـلُ**

(٣) **وإنما الأممُ الأخلاق ما بقِيت** — **فإن همُو ذَهبت أخلاقُهم ذَهبـوا**

(٤) **فلما أبى إلا البكـاءَ رفَدْتُـهُ** — **بعينين كانا للدموع على قَـدر**[٢]

(٥) **ما لنا في مديحه غـيرُ نظـم** — **للمساعي التي سـعاها ووصـفُ**

(٦) **بك اجتمع الملك المبددُ شمْله** — **وضُمت قَواص منه بعد قَواصي**[٣]

(٧) **سيذْكرني قومي إذا جد جِدهُم** — **وفي الليلة الظلماء يُفْتقَدُ البدرُ**[٤]

(٨) **ما افترقنا في مدحِه بل وصفْنا** — **بعض أخلاقِـه وذاـك يكفِـي**

إجابة التطبيق (١)

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢	إنما العار	موصوف على صفة	إضافي	إنما
٣	إنما الأمم	موصوف على صفة	حقيقي ادعائي	إنما
٤	فلماأبى	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٥	ما لنا	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧	وفي الليلة	موصوف على صفة	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٨	ما افترقنا	موصوف على صفة	إضافي	بل

(١) روضة أنف: لم يرعها أحد.
(٢) رفده: أعانه. قدر: مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر.
(٣) المبدد: المفرق. القواصي: جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.
(٤) جد في أمره: اجتهد. والجد (بكسر الجيم): الاجتهاد وضده الهزل. يفتقد: يطلب.

تطبيق (٢)

١- قال الله تعالى: ﴿إنما اللهُ إلهٌ واحِد﴾[1].
٢- قال تعالى: ﴿إنْ حِسابُهم إلا على ربي لو تشعُرُونَ﴾[2].
٣- قال تعالى: ﴿للهِ ما في السماواتِ وما في الأرض﴾[3].
٤- قال تعالى: ﴿إنْ أنتم إلا تكْذِبونَ﴾[4].

(٥) فإنْ كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غِمده والحمائلُ[5]

(٦) ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُه ... بل اليتيمُ يتيمُ العلم والأدب

(٧) وما شاب رأسي من سِنين تتابعت ... علي ولكن شيبتني الوقائع

(٨) إن الجَديدين في طول اختلافهما ... لا يفسُدان ولكن يفسُدُ الناسُ

إجابة التطبيق (٢)

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسا م	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٣	لله مافي السموات	حقيقي	صفة على موصوف	إفراد	التقديم
٤	إن أنتم	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥	فما السيف	إضافي	موصوف على صفة	محتمل	النفي والاستثناء
٦	ليس اليتيم	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧	وما شاب	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن
٨	لا يفسدان	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن

(١) سورة النساء: ١٧١.
(٢) سورة الشعراء: ١١٣.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٤.
(٤) سورة يس: ١٥.
(٥) جفن السيف: غمده. والحمائل: جمع حمالة: علاقة السيف.

١- لا يألف العلم إلا ذكي، ولا يجفوه إلا غبي.

٢- قد عِلمت سلمى وجاراتُها ما قطّر الفارس إلا أنا

٣- إنما الدنيا هبات وعوارٍ مُستردةْ
شدةٌ بعد رخاءٍ ورخاء بعد شِده

٤- **على اللهِ توكلْنا** [1] «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

٥- محاسنُ أوصاف المغنيين جمة وما قصباتُ السبق إلا لمعبد

٦- إلى اللهِ أشكو أنْ في النفس حاجة تمُر بها الأيام وهي كما هيا

٧- «عند الامتحان يكرم المرءُ أو يهان».

٨- هات جملة تفيد نجاح سعد، وعدم نجاح سعيد، بواسطة إنما.

٩- رد بطريق القصر بإنما على من ظن أن المطر يكثر شِتاءً في السودان.

الإجابة

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١	لا يألف العلم إلا ذكي	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٢	ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٣	إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافي	إنما
٤	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم
٥	ما قصبات السبق إلا إلخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦-	إلى الله أشكو	قصر صفة على موصوف	حقيقي	التقديم
٧-	عند الامتحان يكرم إلخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم

٨- إنما نجع سعد لا سعيد.

٩- إنما يكثر المطر في السودان ربيعا لا شتاء.

---

(١) سورة يونس: ٨٥.

١- (أ) من تخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر قلب.
(ب) من تخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر إفراد.
(ج) من تخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر تعيين. وهي: «ما أديت إلا الواجب علي».
٢- غير الجملة الآتيةَ بحيث تفيد القصر بالعطف.
«بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم الغربية».

الإجابة

١- (أ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك.
(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره.
(ج) إذا كان المخاطب مترددا في تأدية الواجب وغيره.
٢- ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها.

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحا؟ كم قسما القصر؟ ما هو القصر الحقيقي؟ ما هو القصر الإضافي؟ كم قسما القصر الحقيقي؟ كم قسما القصر الإضافي؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟ كم قسما الإضافي بقسميه؟ على من يردّ بقصر الإفراد؟ على من يرد بقصر القلب؟ على من يرد بقصر التعيين؟ ما هي طرق القصر المصطلح عليها في هذا الباب؟ ما أقواها؟ أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول؟ أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟ متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟ لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟ ويكثر مع النفي والاستثناء.

تطبيق عام على القصر- والأبواب السابقة

«**لا حول ولا قوة إلا بالله**» جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث؛ لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد -المسند إليه «حول وقوة» والمسند «الجار وا ،رور»، ولا نظر لتقديم الخبر؛ لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني ولا يعدون حذفه إيجازا. والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لإفادة القصر؛ ففيهما قصر صفة (وهي التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة) على موصوف وهو الذات الأقدس، وهو قصر إضافي طريقه النفي والاستثناء. ثم إنْ كان للرد على من يعتقد أن التحولَ عن المعاصي، والقوة على الطاعة بغير الله تعالى: فهو قصر قلب، أو على من يعتقد الشركة؛ فهو إفراد، أو على من يتردد؛ فهو تعيين.

﴿**إياك نعْبُدُ وإياك نستعِينُ**﴾ [1] جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث.

المسند: «**نعبد ونستعين**». والمسند إليه الضمير المستتر فيهما، وهما مقيدتان بالمفعولين «**إياك**» وقدم المفعولين لإفادة القصر؛ ففيهما قصر صفة وهي العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس. طريقة تقديم ما حقه التأخير، وهو إضافي. ثم إنْ كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى؛ فهو قلب، أو على من يعتقد الشركة؛ فهو إفراد. أو على من يتردد؛ فهو تعيين.

«**إنما شوقي شاعر**» فيه قصر موصوف وهو «**شوقي**» على صفة وهي الشعر، طريقة (إنما) وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب.

«**الله الغفور الرحيم**» فيه قصر الصفة وهي المغفرة والرحمة على موصوف وهو الله تعالى -طريقة تعريف المسند بأل. وهو قلب، أو إفراد، أو تعيين على حسب حال المردود عليه، إنما الشجاع عليّ، فيه قصر صفة، وهي: «الشجاعة» على موصوف، وهو عليّ طريقه إنما المرء بآدابه لا بثيابه. فيه قصر الموصوف على الصفة، (قصر قلب بين المسند إليه والمسند)، طريقة العطف بلا.

«**إنما الإله واحد**» فيه قصر الموصوف على الصفة، قصرا حقيقيا، طريقه إنما، وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

---

(١) سورة الفاتحة: ٥.

الباب الثامن: في الوصل والفصل

تمهيد:

العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف، والاستئناف، والتّهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها - صعب المسلك، لا يوفّق للصّواب فيه إلا من أوتي قِسطًا وافرا من البلاغة، وطُبع على إدراك محاسنها، ورزق حظًا من المعرفة في ذوق الكلام؛ وذلك لغموض هذا الباب ودِقة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدلّ لهذا أ م جعلوه حدا للبلاغة؛ فقد سِئل عنها بعض البلغاء، فقال: هي: «**معرفة الفصل والوصل**».

فالوصل عطف جملة على أخرى «**بالواو ونحوها**»، والفصل ترك هذا العطف[1].

(١) اعلم أنه إذا توالت الجملتان؛ لا يخلو الحال من أن يكون: للأولى محل من الإعراب، أو لا. وإنْ كان لها محل من الإعراب فلابد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب، أو لا. فإنْ قُصد التشريك؛ عطِفَت الثانية عليها نحو: «الله يحيي ويميت». وإلا فُصِلَت عنها نحو **قَالُوا إِنا معكُم إنما نحنُ مُستهزِئُونَ * اللهُ يستهزِئُ بِهم** [البقرة: ١٤، ١٥]. لم يعطف قوله: «الله يستهزئ م» على ما قبله؛ لئلا يشاركه المفعولية للقول؛ وهو ليس مما قالوه كما سيأتي.

وإن لم يكن لها محل من الإعراب: فإن كان لها حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل؛ دفعا للتشريك بينهما، نحو: **إنما أنت مُنذِر ولِكُل قَومٍ هادٍ * اللهُ يعلمُ ما تحمِلُ كُل أنثَى** [الرعد: ٧، ٨]؛ لم يعطف قوله: «الله يعلم». على ما قبله؛ لئلا يشاركه في حكم القصر، فيكون تعالى مقصورا على هذا العِلْم. وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: «زيد خطيب وعمرو متسرع»، أو قُصِد إعطاء حكمها للثانية نحو «إنما زيد كاتب وعمرو شاعر»؛ وجب الوصل كما رأيت -ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقًا منقطعة عن الأخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصح ارتبطاهما- أو متصلة ا اتصالا كاملا بحيث لا تصح المغايرة بينهما؛ فيجب الفصل؛ لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف، وعدم افتقار المتصلين إلى ارتباط به، ويحمل شبه كل واحد من الكماليين عليه، فُيعطى حكمه.

واعلم أنه لا يقبل في العطفِ إلا عطف المتناسبات مفردةً أو جملاً بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات؛ فنحو: «الشمس والقمر والسماء والأرض محدثة». (مقبول) ونحو: «الشمس والأرنب والحمار محدثة». (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل، وبالواو؛ فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة، لا المتحدة ولا المتباينة، وإلا فصل.

واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام، نحو **أوكُلما عاهدُوا عهدا** [البقرة: ١٠٠] فيقدر : أكفروا وكلما عاهدوا؛ لأن الهمزة تستدعي فِعلاً.

والذي يتكلم عليه علماء المعاني هنا «العطف بالواو» خاصة دون بقية حروف العطف؛ لأن «الواو» هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف ا إلى لُطف في الفهم، ودقة في الإدراك؛ إذ لا تفيد إلا مجرد الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التشريك معاني أخرى (كالترتيب مع التعقيب في الفاء، وكالترتيب مع التراخي في ثُم) وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة في نحو: «يقرأ ويكتب»، وكالمضادة في نحو «يضحك ويبكي».

وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة؛ لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر؛ فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذِكْر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعا؛ فلا يقال: «خليل قادم، والبعير ذاهب»؛ لعدم الجامع بين المسند إليهما.

كما لا يقال: «سعيد عالم، وخليل قصير»؛ لعدم الجامع بين المسندين.

وفي هذا الباب مبحثان:

المبحث الأول: في مواضع الوصل

الوصلُ عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها. ويقع في ثلاثة مواضع[١]:

الأول: إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظًا ومعنى، أو معنى فقط[٢] ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة، كقوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفُجار لفي جحيم**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**فَادعُ واستقم كما أمرت**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**إني أشهدُ الله واشهدُوا أني بريءٌ مما تُشركُونَ**﴾ أي أني أُشهد الله وأُشهدكُم[٥]؛ فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظًا، ولكنها خبرية في المعنى[٦].

ونحو: «اذهب إلى فلانٍ وتقولُ له كذا»؛ فتكون الجملةُ الثانية مِن هذا المثال خبرية لفظًا، ولكنها إنشائية معنى (أي وقلْ له).

فالاختلاف في اللفظ، لا في المعنى المُعول عليه؛ ولهذا وجب الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى؛ لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني: إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصلُ يوهِم خِلاف المقصود[٧] كما تقول مجيبا لشخص بالنفي: «لا، وشفاه الله»[٨].

---

(١) الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين، كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعول عليه اتفاقُهما في المعنى؛ لأن العبرة به، ولا قيمةَ لاختلاف الصورة اللفظية.

(٣) سورة الانفطار: ١٣، ١٤.

(٤) سورة الشورى: ١٥.

(٥) سورة هود: ٥٤، والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية ولم تذكر كالأولى خبريةً؛ لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(٦) اعلم أن صور الجملتين ثمانية؛ لأنهما (إما خبريتان) لفظًا ومعنى أو معنى لا لفظًا، أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظًا، أو بالعكس.

(وإما إنشائيتان) لفظًا ومعنى، أو معنى لا لفظًا، أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية، أو بالعكس كما مثلنا.

(٧) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل، نحو: «سافر فلان سلمه الله».

(٨) فجملة شفاه الله خبرية لفظًا إنشائية معنى والعبرة بالمعنى -واعلم أن «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية؛ إذ التقدير «لا برءَ حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

لمن يسألك: هل برئ علي من المرض؟ (فترك الواو يوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له)؛ ولهذا وجب أيضا الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى؛ لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقُصِد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، نحو: «علي يقول ويفعل».

فجملة «يقول» في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: «ويفعل» معطوفة على جملة يقول، وتشاركها بأ ا في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ.

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضي مشاركة الثّاني للأول في إعرابه، والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية.

أي أن تعطف الاسمية على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها، وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيثُ الإفراد والجملية والظرفية.

ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض:

أ - كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، نحو: ﴿إن الذِين كَفَروا ويصدونَ عن سبِيل اللهِ﴾ [(١)] ﴿فَفَرِيقًا كَذبتم وفَرِيقًا تقْتلُونَ﴾ [(٢)].

ب- وكإفادة التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى، نحو: ﴿**أجِئْتنا بِالْحق أم أنت مِن اللاعِبِين**﴾ [(٣)] فقد لُوحظَ في الأولى إحداث تعاطي الحق، وفي الثانية الاستمرار على اللعب، والثبات على حالة الصبا - ونحو: «الصديق يكاتبني وأنا مقيم على ودّه»[(٤)].

---

(١) سورة الحج: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٥٥.

(٤) وذلك لأن الدّلالة على التجدّد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبوت بالجملة الاسمية، ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في إحداهما، والمضارعية في الأخرى.

المبحث الثاني: في مواضع الفصل

مِن حق الجُمل: إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض: أن تربطَ «بالواو»؛ لتكونَ على نسق واحد، ولكن قد يعرِض لها ما يوجب ترك الواو فيها، ويسمى هذا فصلاً، ويقع في خمسة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي؛ حتى كأ ما أُفرِغا في قالب واحد، ويسمّى ذلك «كمال الاتصال».

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام، بدون إيهام خلاف المراد، ويسمى ذلك «كمال الانقطاع».

الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويسمّى «شِبه كمال الاتصال».

الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملة أخرى متوسطة حائلة بينهما؛ فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أ ا معطوفة على المتوسطة فيترك العطف، ويسمّى شِبه كمال الانقطاع.

الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويسمّى «التّوسطَ بين الكمالين».

إيضاح وتحديد

لكل موضع من مواضع الفصل الخمسة السّابقة - وهي:

الموضع الأول - «**كمال الاتصال**» وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما وامتزاجا معنويا؛ بحيث تنـزل الثانية من الأولى منـزلة نفسها:

بأن تجعل بدلا منها، نحو: **أمدكُم بِما تعلَمُونَ * أمدكُم بِأنعامٍ وبِنِين** [(١)].

أو بأن تجعل بيانا لها، كقوله تعالى: **فَوسوس إِلَيهِ الشيطَانُ قَالَ يا آدمُ هلْ أَدلُّك علَى شجرةِ الخُلْدِ** [(٢)].

(١) سورة الشعراء: ١٣٢، ١٣٣، هذا في بدل البعض، وأما في بدل الكل، فنحو **بلْ قَالُوا مِثْلَ ما قَالَ الأولُونَ * قَالُوا أَئِذَا** [المؤمنون: ٨١، ٨٢] وأما بدل الاشتمال فنحو قوله:

أقول له ارحل لا تُقيمن عندنا وإلا فكُن في **السر والجهر مُسلما**

فجملة (لا تقيمن) بدل من (ارحل) بدل اشتمال؛ لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية.

(٢) سورة طه: ١٢٠.

ج- أو بأن تجعل مؤكدة لها، كقوله تعالى: **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** [(١)] فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادا تاما يمنع عطف الشيء على نفسه، ويوجب الفصل.

الموضع الثاني - كمال الانقطاع: وهو اختلاف الجملتين اختلافًا تاما:

أ - بأن يختلفا خبرا وإنشاءً، لفظًا ومعنى، أو معنى فقط، نحو: «حضر الأمير حفظه الله» ونحو «تكلّم إنّي مصغ إليك» وكقول الشاعر:

وقَالَ رائِدُهُم أرسوا نُزاولها ... فَحتفُ كلّ امرئ يجري بِمقْدارِ [(٢)]

ب- أو بألا تكون بينهما مناسبة في المعنى ولا ارتباط، كقولك: «علي كاتب، الحمام طائر»؛ فإنه لا مناسبة بين كتابة علي، وطيران الحمام؛ فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلا، وهو التباين بين الجملتين؛ ولهذا وجب الفصل وترك العطف؛ لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين جملتين في شدة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث - «شبه كمال الاتصال» وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى (فتفصلُ عنها كما يفصل الجواب عن السؤال) نحو **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** [(٣)] ونحو:

زعم العواذِلُ أنني في غَمرةٍ ... صدقوا ولكن غَمرتي لا تنجلي

«كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا» [(٤)].

---

(١) سورة الطارق: ١٧.

(٢) أي: أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب، ولا تخافوا من الموت؛ فإن لكل أجل كتابا؛ أي فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلا؛ وهو كون إحداهما جملة خبرية والأخرى إنشائية، ولا جامع بينهما.

(٣) سورة يوسف: ٥٣. الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى؛ لأ ا جواب عن سؤال نشأ من الأولى: «لِم لا تبرئ نفسك؟» فقال: «إن النفس لأمارة بالسوء» فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين، وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال.

(٤) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان: فذلك على خمسة أحوال:
أولاً: أن تكون الثانية بمعنى الأولى، أو جزءًا منها؛ فيجب ترك العطف؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وكذا الجزء لا يعطف على كله، فيقال حينئذ «إن بين الجملتين كمال الاتصال» ومواضعه: =

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين؛ فأشبهت حالة

=

أ - أن تكون الثانيةُ توكيدا للأولى، مثل قوله تعالى: **ما هذَا بشرا إنْ هذَا إلا ملك كَريم** [يوسف: ٣١].
ب- أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، مثل: «أطعت الله، أديت الصلاة».
ج- أن تكون الثانية بيانا للأولى، مثل: «بثني شكواه، قال: إني لا أجد قُوت يومي».
ثانيا: أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة، فيجب ترك العطف؛ لأن العطف يكون للربط، ولا ربطَ بين المتباينين؛ فيقال: "بين الجملتين كمالُ الانقطاع" ومواضع ذلك:
أ - أن تختلفا خبرا وإنشاء مثل (مات فلان، رحمه الله). إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود؛ فيجب العطف، نحو: لا، وشفاك الله.
ب- أن تتحدا خبرا وإنشاءً ولكن لا يوجد بينهما رابط، مثل: (القمر طالع، أكلت كثيرا).
ثالثًا: أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة، ويسمى ذلك: «التوسط بين الكمالين» وذلك على نوعين: ألا يمنع من العطف مانع فيعطف، مثل: «اجتهدوا وتأدبوا». أن يمنع من العطف مانع -وهو عدم قصد التشريك في الحكم- فيمتنع العطف مثل قوله تعالى: **وإِذَا خلَوا إلَى شياطِينِهم قَالُوا إِنا معكُم إنما نحنُ مُستهزِئُونَ * اللَّهُ يستهزِئُ بِهِم** [البقرة: ١٤، ١٥].
رابعا: أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى؛ لأ ا جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف؛ لأ ا أشبهت حالة اتحاد الجملتين، ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال مثل: «رأيته مبتسما، أظنه نجح».
خامسا: أن تكون الأخيرة مناسبة للأولى، ولا مانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما (وهو جملة أخرى متوسطة)، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أ ا معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتاتا، وأصبحت الجملتان كأ ما منقطعتان ذا الحائل، ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع»، نحو قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا ... أراهـا فـي الضـلال يـم

واعلم أن التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل، وتعاضدت دواعيه قد يفصل؛ إما لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى، ويسمّى قطعا كما سبق، وإما لجعله جواب سؤال مقدر لإغناء السامع عنه، أو لكراهة سماعه له لو سأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويسمى الفصل؛ لذلك: «استئنافًا».كقوله:

في المهد ينطق عن سعادة جده ... أثـر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب: كيف ينطق وهو رضيع ولم يبلغ أوان النطق؟!.

اتحاد الجملتين؛ ولهذا وجب أيضا الفصل.

الموضع الرابع - «**شبه كمال الانقطاع**» وهو أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى منهما لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى؛ فيترك العطف بالمرة؛ دفعا لتوهم أنه معطوف على الثانية، نحو:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيمُ

فجملة «أراها» يصح عطفها على جملة تظن لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة (أبغي ا) فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود؛ ولهذا امتنع العطف ووجب أيضا الفَصلُ.

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه «بمعونة قرينة» ومن هذا ومما سبق يفهم الفرق بين كل من «كمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع».

الموضع الخامس - «التوسط بين الكمالين مع قيام المانع» وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قوية -لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: **وإِذَا خلَوا إِلَى شياطِينِهِم قَالُوا إِنا معكُم إِنما نحنُ مُستهزِئُونَ * اللَّهُ يستهزِئُ بِهِم** [1] فجملة «الله يستهزئ م» لا يصح عطفها على جملة «إنا معكم»؛ لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا»؛ لئلا يتوهّم مشاركته له في التقييد بالظرف، وأن استهزاء الله م مقيد بحال خلوّهم إلى شياطينهم، (والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال)؛ ولهذا وجب أيضا الفصلُ.

---

(١) سورة البقرة: ١٤، ١٥.

تنبيهان

الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل؛ ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها، نحو: «جاء فؤاد والشمس طالعة»(١).

(١) بيان ذلك: أن الحال:
إما مؤكدة فلا واو للاتحاد بين الجملتين؛ لأ ا مقررة لمضمو ا، نحو سعد أبوك كريما.
وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران: الحصول، والمقارنة. فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا تحتاج لواو للاتحاد، وأما الجملة، فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو لارتباط معنى؛ لوجود الحصول والمقارنة معا، فلا حاجة للربط ا، نحو: **وجاءُوا أباهُم عِشاءً يبكُونَ** [يوسف: ١٦]. ونحو: «قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه».ولا يجوز: وجاءوا أباهم عشاء ويبكون، ولا: قدم الأمير وتتسابق.. وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو. الثانية: الحال الواقعة بعد عاطف، نحو: **فَجاءَها بأسُنا بياتا أو هُم قَائِلُونَ** [الأعراف: ٢٤]. الثالثة: المؤكدة لمضمون الجملة نحو: «هو الحق لا شك فيه»، **ذَلِك الْكِتابُ لا ريب** [البقرة:٢] الرابعة: الماضي التالي إلا، نحو: «ما تكلم زيد إلا قال خيرا» وقيل: يجوز اقترانه بالواو كما ورد في قوله:

نِعم امرا هرم لم تعرُ نائبةٌ ... إلا وكان لمرتاع ا وزرا

الخامسة: الماضي المتلو بأو، نحو: «لأضربنه ذهب أو مكث» ومنه:

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا ... ولا تشح عليه جـاد أو بخـلا

السادسة: المضارع المنفي بلا - نحو **وما لَنا لا نُؤمِنُ بِاللهِ** [المائدة: ٨٤] **ما لِي لا أرى الْهُدهُد** [النمل: ٢٠]، وقول الشاعر:

لو أن قوما لارتفـاع قبيلـة ... دخلوا السماء دخلتُها لا أحجبُ

السابعة: المضارع المنفي بما- كقوله:

عهدتُك ما تصبو وفيك شبيبةٌ ... فما لك بعد الشيب صبا مُتيما؟

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الاسمية؛ لدلالتها على الثبوت، لا على الحصول والمقارنة، فيجب فيها الواو. نحو: **فَلا تجعلُوا لِلهِ أندادا وأنُتم تعلمُونَ** [البقرة: ٢٢] وقد يكتفى فيها بالضمير ندورا، نحو: كلمته فوه إلى في (أي مشافهة) ثم الماضي مثبتا لعدم المقارنة؛ فيحسن معها الواو؛ لأن الماضي يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة -وتجب (قد) تحقيقًا أو تقديرا لتقربه من الحال (أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم -لا حصول حال النسبة- قريبا من حال النسبة، لا من حال التكلم)؛ إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان =

ويجب فصلها في **ثلاثة مواضع:**

١- إذا كان فعلها ماضيا تاليا «إلا»، أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: «ما تكلم فؤاد إلا قال خيرا». وكقول الشاعر:

كُن للخليل نصيرا جار أو عـدلا ... ولا تشح عليه جـاد أو بخِـلا

٢- إذا كان فِعلُها مضارعا مثبتا أو منفيا «بما -أو- لا» نحو:

وجاءُوا أباهُم عِشاءً يبكُونَ (١) ونحو: **وما لنا لا نُؤمِنُ بِاللهِ** (٢) ونحو:

عهدتُك ما تصبو وفيك شـبيبةٌ ... فما لك بعد الشيبِ صبا مُتيمـا

٣- إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: **فَجاءَها بأسُنا بياتا أو هُم قائِلُونَ** (٣) وكقوله تعالى: **ذَلِك الكِتابُ لا ريب فِيهِ هُدى لِلمُتقِين** (٤).

النسبة لا لزمان التكلم، وإنما اكتفى بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران -إما لأنه ينـزل قرب الحال إلى زمان النسبة منـزلة المقارنة مجازا- وإما لأنه يعتبر قُربها في الفعل هيئة للفعل -فإذا قُلت: جاءني زيد وقد ركب؛ فكأنك نزلت قُرب ركوبه من مجيئه منـزلة مقارنته له، أو جعلت كونَ مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالا له -قالوا: وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطُه بالواو. (وهو التالي إلا) (والمتلو بأو) لكن في شرح الرضي -أنهما قد يجتمعان بعد إلا، نحو: «ما لقيته إلا وقد أكرمني» ويلي الماضي المثبت الماضي المنفي لأنه هيئة للفعل بالتأويل؛ لأن قولك: جاء زيد ليس راكبا - في قوة: جاء زيد ماشيا؛ فيتحقق الحصول ويستمر غالبا، فيقارن كذلك؛ فيحسن ترك الواو نظرا إلى تحقق الحصول والمقارنة. ويجوز ذكرها أيضا نظرا إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل، ونظرا إلى كون استمراره أغلبيا لا دائميا والأحسن في الظرف إذا وقع حالا ترك الواو نظرا للتقدير بمفرد، تقول: نظرت الهلال بين السحاب. ومثله الجار والمجرور، نحو: **فَخرج على قومِهِ فِي زِينتِهِ** [القصص: ٧٩] ونحو: «أبصرت البدر في السماء» وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماضٍ. وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أُتي فيه بالواو وجوبا؛ ليتميز الحال فيقال: جاء رجل ويسعى، إذ لو قيل يسعى، لالتبس الحال بالصفة في مثله.

(١) سورة يوسف: ١٦.
(٢) سورة المائدة: ٨٤.
(٣) سورة الأعراف: ٤.
(٤) سورة البقرة: ٢، لما كان قوله: «ذلك الكتاب»، فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسند إليه اسم إشارة - والمسند معرفًا بال، أكده بقوله لا ريب فيه تأكيدا معنويا.

الثاني: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية)، ولابد مع اتفاقهما من جهة ا يتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع إما عقلي(١) أو وهمي(٢) أو خيالي(٣).

=

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم ا ازفة مظنة استبعاد؛ أكده بقوله «هدى للمتقين» تأكيدا لفظيا حتى كأنه نفس الهداية.

(١) فالجامع العقلي: أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند، أو المسند إليه، أو في قيد من قيودهما - نحو: «زيد يصلي ويصوم، ويصلي زيد وعمرو..». و «زيد الكاتب شاعر، وعمرو الكاتب منجم، وزيد كاتب ماهر، وعمرو طبيب ماهر» وكالتماثل والاشتراك فيهما -أو في قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص ما أو بالقيد -لا مطلق تماثل؛ فنحو «زيد شاعر وعمرو كاتب» لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة لها نوع اختصاص ما- كصداقة أو أخوة شركة أو نحو ذلك. وكالتضايف بينهما؛ بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر؛ كالأبوة مع البنوة -والعلة مع المعلول- والعلو والسفل والأقل والأكثر إلى غير ذلك.

(٢) والجامع الوهمي: أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة؛ فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أ ما نوع واحد زائد في أحدهما عارض - بخلاف العقل فإنه يدرك أ ما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون - وكالتضاد بالذات- وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف - يتعاقبان على محل واحد -كالسواد والبياض- أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض-؛ لأ ما ليسا ضدين لذا ما لعدم تعاقبهما على محل واحد- بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض- وكشبه التضاد: كالسماء والأرض-؛ فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وانخفاضا لكن لا يتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

(٣) والجامع الخيالي: أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام- كالقدوم والمنشار والمنقاب في خيال النجّار، والقلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب، وكالسيف والرمح والدرع في خيال المحارب- وهلم جرا.. وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب كقوله تعالى: **أفَلا ينظُرُونَ إلى الإبل كَيف خُلِقَت * وإلى السماءِ كَيف رُفِعت * وإلى الجِبال كَيف نُصِبت * وإلى الأرض كَيف سُطِحت** [الغاشية: ١٧-٢٠] فالمناسبةُ بين الإبل والسماء- وبينهما وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر، ولكنه أسلوب حكيم في غاية البلاغة، لأنه لما كان الخِطاب مع العرب، وليس في تخيلا م إلا الإبل؛ لأ ا رأس المنافع عندهم -والأرض لرعيها، والسماء لسقيها- وهي التي توصِلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عندما تفجأهم حادثة أورد الكلام على طِبق ما في مخيلا م.

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

- ما هو الوصل؟
- ما هو الفصل؟
- كم موضعا للوصل؟
- كم موضعا للفصل؟
- ما هو الجامع العقلي؟
- ما هو الجامع الوهمي؟
- ما هو الجامع الخيالي؟
- متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟
- في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية؟

تطبيق عام على الوصل والفصل

جربتُ دهري وأهليه فما تركت لِيَ **التجاربُ** في **وُد امرئٍ غرضـا**

فُصِلت الثانية لشبه كمال الاتصال؛ فإ ا جواب سؤال **يُسبحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُو والآصال * رِجالٌ لا تُلْهِيهِم تِجارةٌ ولا بيع عن ذِكْرِ اللهِ** (١) فُصِلت الثانية لشبه كمال الاتصال؛ فإ ا جواب سؤال ناشئ مما قبلها.

فَلْيضحكُوا قَلِيلا ولْيبكُوا كَثِيرا (٢) عطَف الجملة الثانية على الأولى؛ لاتفاقهما في الإنشاء، مع المناسبة التامة بين المفردات؛ فإن المسند إليه فيهما متحد والمسند، وقيدهما متقابلان.

إِن الأبرار لَفِي نعِيمٍ * وإِن الفُجار لَفِي جحِيمٍ (٣) عطف الجملة الثانية على الأولى؛ لاتفاقهما خبرا لفظًا ومعنى مع المناسبة التامة بين مفردا ما؛ فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندين إليهما متقابلان، وقيدهما الأول متحد، والثاني متقابل.

* «**اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء**» لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع؛ فإن الأولى إنشائية لفظًا ومعنى والثانية عكسها.

* «**اصبر على كيد الحسود، لا تضجر من مكائده**» لم تعطف الثانيةُ على الأولى لكمال الاتصال؛ فإ ا مؤكدة لها.

«**أنت حميدُ الخصال؛ تصنع المعروف، وتغيث الملهوف**» فُصِلت الثانيةُ من الأولى لكمال الاتصال؛ فإ ا بيان لها، ووصلت الثالثة بالثانية؛ للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

---

(١) سورة النور: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة التوبة: ٨٢.

(٣) سورة الانفطار: ١٣، ١٤.

تمرين (١)

بين **سر الفصل والوصل** فيما يلي:

اخطُ مع الدهر إذا ما خطا ... واجر مع الدهر كما يجري[١]

حُكْمُ المنيةِ في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قَرار[٢]

لا تدعُه إنْ كُنت تُنصِفُ نائبا ... هو في الحقيقةِ نائم لا نائبُ[٣]

قال لي: كيف أنت؟ قلتُ: عليلُ ... سهر دائم وحزنٌ طويلُ[٤]

قالت بُليت فما نراك كعهدنا ... ليت العهُود تجددت بعد البِلى[٥]

وترى الْجِبالَ تحسبُها جامِدةً [٦].

وإنما المرءُ بأصغريه ... كل امرئٍ رهن بما لديه

لا تطلُبن بآلة لك حاجةً ... قلمُ البليغ بغير حظٍّ مغزلُ

يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً ... إن الكريم يرى في ماله سُبلا[٧]

نفسي له نفسي الفداءُ لنفسه ... لكن بعض المالكين عفيفُ[٨]

---

(١) وصل بين الجملتين؛ لاتفاقهما إنشاءً، مع وجود المناسبة، وعدم المانع.

(٢) فصل الشطر الثاني عن الأول؛ لأنه توكيد معنوي له؛ إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء، فأكد ذلك بالشطر الثاني؛ فبينهما (كمالُ الاتصال).

(٣) فصل الشطر الثاني عن الأول؛ لاختلافهما خبرا وإنشاءً، إذ الثاني خبر، والأول إنشاء؛ فبينهما (كمال الانقطاع).

(٤) فصل بين: قال وقلت؛ لأن الثاني جواب سؤال؛ إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل: كيف أنت؟ أن يجيب: أنا عليل. وكذا بين جملتي: سهر دائم، وحزن طويل؛ فكأنه قيل: فما سبب علتك؟ فأجاب: سهر دائم إلخ؛ ففي كل منهما (شبه كمال الاتصال).

(٥) بين الشطر الثاني والأول كمال الانقطاع؛ لأن أولهما خبر والثاني إنشاء.

(٦) سورة النمل: ٨٨، بين جملتي: ترى وتحسب (كمال الاتصال)؛ لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى.

(٧) بين الشطر الثاني والأول (شبه كمال الاتصال)؛ لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الأولى، كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال: إن الكريم إلخ..

(٨) بين نفسي له ونفسي الفداء (كمال الاتصال)؛ لأن الثانية توكيد لفظي للأولى.

ما هذَا بشرا إنْ هذَا إلا ملك كَريم [(١)].

يُدبرُ الأمر يُفَصلُ الآياتِ لَعلكُم بِلقَاءِ ربكُم تُوقِنُون [(٢)].

وما ينطِقُ عن الْهوى * إِنْ هُو إِلا وحي يُوحى * علمهُ شدِيدُ الْقُوى [(٣)].

قَالُوا سلاما قَالَ سلام [(٤)].

يهوى الثَّنـاء مـبرز ومقصـر حبُ الثناء طبيعـةُ الإنسـان[(٥)]

ومِن الناسِ من يقُولُ آمنا بِاللهِ وبِالْيومِ الآخِرِ وما هُم بِمُؤمِنِين * يُخادِعُونَ الله [(٦)].

وإِذَا تُتلَى علَيهِ آياتُنا ولى مُستكْبِرا كَأَنْ لَم يسمعها كَأَن فِي أُذُنيهِ وقْرا [(٧)].

ألا من يشـتري سـهرا بنـوم؟ سعيد من يبيتُ قَريـر عـين[(٨)]

فـأبوا بالرمـاح مكسـرات وأبنا بالسـيوف قـد انحنيـا[(٩)]

---

(١) سورة يوسف: ٣١، إن هذا إلا ملك -توكيد معنوي لقوله: ما هذا بشرا؛ إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشرا، وما هذا بآدمي، أن يكون الغرض أنه ملك، فيكنى عن ذلك؛ فبينهما (كمال الاتصال).

(٢) سورة الرعد: ٢، بين: يدبر ويفصل (كمال الاتصال)؛ لأن الثانية بدل بعض من كُل.

(٣) سورة النجم: ٣ - ٥ بين قوله: وما ينطق عن الهوى. وقوله: **إِنْ هُو إِلا وحي يُوحى** . (كمال الاتصال)؛ لأن الثانية توكيد معنوي؛ لأن تقرير كونه وحيا نفي لأن يكون عن هوى.

(٤) سورة هود: ٦٩، بين: قالوا وقال (شبه كمال الاتصال)؛ لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر؛ كأنه قيل: فماذا قال لهم؟ حينئذ أجيب بأنه قال: سلام، وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن، والحديث وكلام العرب.

(٥) فصل بين الشطر الثاني والأول؛ لأن بينهما (كمال الاتصال)؛ إذ الشطر الثاني مؤكد للأول.

(٦) سورة البقرة: ٨-٩، فصل جملة: يخادعون عما قبلها؛ لأن بينهما (كمال الاتصال)؛ لأن هذه المخادعة ليست شيئًا غير قولهم: آمنا -دون أن يكونوا مؤمنين؛ فهي إذًا توكيد معنوي للأولى.

(٧) سورة لقمان: ٧، فُصِلت جملتا: كأن لم يسمعها، وكأن في أذنيه وقرا، عما قبلهما؛ لأ نما كالتوكيد له؛ إذ المقصد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تلي عليه من الآيات؛ فهما من (كمال الاتصال).

(٨) فصل الشطر الثاني عن الأول؛ لاختلافهما خبرا وإنشاءً؛ فبينهما (كمال الانقطاع).

(٩) بين جملتي: آبوا وأبنا (توسط بين الكمالين) لاتفاقهما في الخبرية، مع وجود المناسبة.

فما الحداثة عـن حلـم بمانعـةٍ   قد يُوجـد الحلـمُ في الشـبان
يقولون: إني أحمل الضيم عنـدهم   أعوذ بربي أن يُضـام نظـيري[٢]
إِن الذِين كَفَرُوا سواءٌ عليهم أأنذَرتَهُم أم لَم تُنذِرهُم لا يُؤمِنُونَ [٣].
فيا موتُ، زُر إن الحيـاة ذميمـةٌ   ويا نفْسُ، جدي إن دهرك هازل[٤]
يسُومُونكُم سُوءَ العذَابِ يُذَبحُونَ أبناءَكُم [٥]، **وترى الجِبالَ تحسبُها جامِدةً** [٦]، **يُدبرُ الأمر يُفَصلُ الآياتِ** [٧]، **ومن يفْعلْ ذَلِك يلْق أثَاما *يُضاعف لَهُ العذَابُ** [٨].

---

(١) بين الشطر الثاني والأول (شبه كمال الاتصال)؛ إذ الثاني جواب سؤال مقدر.
(٢) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ما قبله. على حد قوله: وتظن سلمى إلخ.
(٣) سورة البقرة: ٦، لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد؛ لأ ا مبينة لحال الكفار، وما قبلها مبين لحال المؤمنين، وأن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته؛ بل ذُكِر استتباعا لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.
(٤) لم يعطِف قوله: إن الحياة. على ما قبله؛ لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: لماذا تطلب زيارة الموت؟ فأجاب: إن الحياة ذميمة.
(٥) سورة البقرة: ٤٩، لم يعطف قوله: يذبحون. على: يسومون: لكونه بيانا له.
(٦) سورة النمل: ٨٨، فجملة: تحسبها جامدة. بدل اشتمال.
(٧) سورة الرعد: ٢، فجملة: يفصل الآيات، بدل بعض.
(٨) سورة الفرقان: ٦٨، ٦٩، فجملة: يلق آثاما، بدل كل، وقد أنكر بدلَ الكل علماءُ البيان خِلافًا للنحاة.

الباب التاسع: في الإيجاز والإطناب والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني، ويخطُر ببالك معنى منها، لا يعدو التعبير عنه طريقًا من طُرقٍ ثلاث:

أولا: إذا جاء التّعبير على قدر المعنى؛ بحيث يكون اللفظ مساويا لأصل ذلك المعنى؛ فهذا هو المُساواة وهي الدستور الذي يقاس عليه.

ثانيا: إذا زاد التعبير على قدر المعنى؛ فذاك هو الإطناب.

ثالثًا: إذا نقص التعبير عن قَدر المعنى؛ فذلك هو الإيجاز(١).

لهذا يختار البليغ للتعبير عما في نفسه طريقًا من هذه الطرق الثلاث؛ فهو تارة يوجِز، وتارة يسهب، وتارة يأتي بالعبارة بين بين، وذلك على حسب ما يقتضيه حال المخاطب، ويدعو إليه مواطن الخِطاب.

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

---

(١) قال الإمام علي: «ما رأيت بليغا قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة». وقالت بنت الحطيئة لأبيها: «ما بالُ قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأ ا بالآذان أولج، وبالأفواه أعلق». وقيل لشاعر: لم لا تطيل شِعرك؟ فقال: حسبك من القِلادة ما أحاط بالعنق.

المبحث الأول: في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز: هو جمع المعاني المُتكاثِرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض، مع الإبانة والإفصاح. يعني أن الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من متعارف الأوساط[1] مع وفائها بالغرض كقوله تعالى: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** [2] فهذه الآية القصيرةُ جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وكقوله تعالى: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** [3] وكقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات».

فإذا لم تفِ العبارةُ بالغرض سمي «إخلالا وحذفًا رديئًا» كقول اليشكُرِيّ:

والعـيشُ خـيرٌ في ظِـلا ل النـوك ممـن عـاش كـدا

(مراده أن العيش النّاعم الرغد في حال الحمق والجهل خير من العيش الشاق في حال العقل)، لكن عبارته لا تفيد ذلك؛ فيضرب به عرض الحائط.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قِصر[4] وإيجاز حذْف:

---

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة، مع وفائه بالمراد؛ فإنْ لم يفِ كان الإيجاز إخلالاً وحذفًا رديئًا -كقول عروة بن الورد:

عجبتُ لهم إذ يقتلون نُفوسهم ومقتلُهم عند الوغى كان أعذَرا

يريد: إذ يقتلون نفوسهم في السلْم لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. ومثله قول بعضهم نثرا: فإن المعروف إذا زجا كان أفضلَ منه إذا وفر وأبطأ" ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول: إذا قلّ وزجا.

واعلم أن متعارف الأوساط هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء، ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فهو الدستور الذي يقاس عليه كل من الإيجاز والإطناب.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤.

(٤) وإيجاز القصر: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ. وللقرآن الكريم فيه المنـزل التي لا تسامي، والغاية التي لا تدرك؛ فمن ذلك قوله تعالى: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** [الأعراف: ١٩٩] فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل؛ إذ في العفو الصفح عمن أساء، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام، ومنع اللسان عن الكذب، وغضّ الطرف عن كُل المحارم. وقوله عز اسمه **وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ** [البقرة: ١٦٤] استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد، وقوله: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** [الأعراف: ٥٤] هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء -وقوله عليه السلام: «المعدةُ بيت الداء والحمية رأس الدواء. وعوّدوا كُل جسم ما =

أ - فإيجاز القصر يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كقوله تعالى: **ولَكُم فِي الْقِصاصِ حياةٌ** [(١)] فإنّ معناه كثير، ولفظه يسير؛ إذ المراد: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتِلَ؛ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره؛ لأن (القتل أنفى للقتل)[(٢)] وبذلك تطولُ الأعمار، وتكثر الذرية، ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمرانُ.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم؛ حتّى إن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي «إيجاز القِصر». وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب: «البلاغة الإيجاز».

ب- وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، مع قرينة تعين المحذوف. وذلك المحذوف إما أن يكون:

١- حرفًا، كقوله تعالى: **ولَم أَكُ بغِيا** أصله ولم أكُن[(٣)].

=

اعتان». فقد تضمّن ذلك من المعاني الطيبة شيئًا كثيرا.

وقول علي كرم الله وجهه: «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ».

وقول بعض الأعراب «اللهم، هب لي حقك وأرض عني خلقَك».

فسمعه علي عليه السلام فقال: «هذا هو البلاغة». ومنه قول السموءل:

وإنْ هو لم يحمِلْ على النفْس ضيمها ... فليس إلــى حُسن الثنــاءِ سبيــلُ

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره؛ إذ كل هذه مما تضيم النفس؛ لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء.

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة؛ ولذا قال محمد الأمين: «عليكم بالإيجاز؛ فإن له إفهاما، وللإطالة استبهاما»، وقال آخر: «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) لقد أُثر ونقل عن العرب قولهم: «الْقتلُ أنفى للقتل» وأين هذا المثَل من هذه الآية الشريفة التي تمتاز بوجوه: منها أ ا كلمتان، وما نقِل عنهم أربع، ومنها أنه لا تكرار فيها، وفيما قالوه تكرار، ومنها أنه ليس كل قتلٍ يكون نافيا للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القِصاص، ومنها حسن التأليف وشدةُ التلاؤم المدركان بالحِس في الآية الكريمة التي بلغت حد الإعجاز، لا فيما قالوه في مثَلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الأوساط.

(٣) سورة مريم: ٢٠. وكحذف «لا». في قول عاصم المنفري:

رأيت الخمر جامدة وفيها ... خِصالٌ تفسد الرجلٌ الحليما

=

٢- أو اسما مضافًا، نحو **وجاهِدُوا فِي اللهِ حق جِهادِهِ** [1] أي في سبيل الله.

٣- أو اسما مضافًا إليه، نحو: **وواعدنا مُوسى ثَلاثين لَيلةً وأتممناها بِعشرٍ** [2] أي بعشر ليال.

٤- أو اسما موصوفًا، نحو: **إلا من تاب وآمن وعمِلَ صالِحا** [3] أي عملا صالحًا.

٥- أو اسما صفة، نحو: **فَزادتهُم رِجسا إلى رِجسِهِم** [4] أي مضافًا إلى رجسهم.

٦- أو شرطًا، نحو **فَاتبِعُوني يُحبِبكُمُ اللهُ** [5]أي: فإن تتبعوني.

٧- أو جواب شرطٍ، نحو: **ولَو ترى إذْ وُقِفُوا على النارِ** [6] أي: لرأيت أمرا فظيعا.

٨- أو مسندا، نحو: **ولَئِن سأَلْتَهُم من خلَق السماواتِ والأرض لَيقُولُن اللهُ** [7] أي: خلقهنّ الله.

٩- أو مسندا إليه، كما في قول حاتم:

أماوي ما يُغنِي الثراءُ عن الفـتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدرُ

أي: إذا حشرجت النفس يوما.

١٠- أو متعلقًا، نحو: **لا يُسأَلُ عما يفْعلُ وهُم يُسأَلُونَ** [8] أي: عما يفعلون.

=

فلا والله أشربُها حيـاتي ... ولا أسقي بها أبدا نديمـا

يريد: لا أشربها. ويشترط في إيجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف؛ وإلا كان الحذف رديئًا، والكلام غير مقبول.

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٣) سورة مريم: ٦٠.

(٤) سورة التوبة: ١٢٥.

(٥) سورة آل عمران: ٣١.

(٦) سورة الأنعام: ٢٧.

(٧) سورة الزمر: ٣٨.

(٨) سورة الأنبياء: ٢٣.

١١- أو جملة، نحو: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** (١) أي: فاختلفوا فبعث.

١٢- أو جملاً، كقوله تعالى: **فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** (٢) أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبِره الرؤيا؛ فأرسلُوه فأتاه وقال له: يا يوسف.

واعلم أن دواعي الإيجاز كثيرة: منها الاختصار، وتسهيلُ الحِفْظ، وتقريب الفهم، وضِيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير إلخ.

ويستحسن الإيجاز في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعِتاب، والوعِدِ، والوعيدِ، والتوبيخ، ورسائل استخراج الخراج وجباية الأموال ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاةِ، والأوامر والنواهي الملكية، والشكْرِ على النعم.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سورة يوسف: ٤٥، ٤٦، فأرسلون: حكاية عن أحد الفَتيين الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه. واعلم أنه لابد مِن دليل يدل على المحذوف وهو: إما العقل وحده نحو **وجاءَ ربك** [الفجر: ٢٢] وإما العقل مع غيره نحو: **حُرمت عليكُمُ الميتةُ** [المائدة: ٣] أي تناولُها، وإما العادة نحو: **فَذَلِكُن الذِي لُمتُنِني فِيهِ** [يوسف: ٣٢] أي في مراودته. وإما الشروع فيه نحو: **بِسمِ اللهِ الرحمن الرحِيمِ** [الفاتحة: ١] أي أُؤلِّف مثلا. وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج: «بالرفاء والبنين» أي: أعرست متلبسا بالاتفاق والبنين.

تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل؛ إذ هو الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة.

المبحث الثاني: في الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط؛ لفائدة تقويته وتوكيده، نحو: **رب إني وهن العظمُ مني واشتعلَ الرأسُ شيبا** (١) أي: كبرت.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمى «**تطويلا**» إن كانت الزيادة غير متعينة، ويسمى «**حشوا**» إن كانت الزيادة متعينة.

فالتطويل، كقول عدي العبادي في جذيمة الأبرش:

وقـــددتِ الأديم لراهشــيه وألفَى قولهـا كـذبا ومينـا(٢)

فالمين والكذب بمعنى واحد، ولم يتعيّن الزائد منهما؛ لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيبا، ولا تعقيبا، ولا معية.

والحشو، كقول زهير بن أبي سلمى:

واعلمُ عِلْم اليومِ والأمس قبلـه ولكنني عن عِلم ما في غدٍ عمي(٣)

وكل من الحشو والتطويل معيب في البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

واعلم أن دواعي الإطناب كثيرة: منها تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ورفع الإ ام، وإثارة الحمية - وغير ذلك.

---

(١) سورة مريم: ٤.

(٢) وقدّدت: أي قطعت. والضمير فيه يعود على الزّباء. وهي امرأة ورثت الملك عن أبيها. والأديم: الجلد، ولراهشيه: أي إلى أن وصل القطع للراهشين، وهما عِرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع، والضمير في ألفي: يعود على المقطوع راهشاه، وهو جذيمة الأبرش. والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباءُ، وقطعت راهشية، وسال منها الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه ا كذبا. وكقول الشاعر:

ألا حبذا هِند وأرض بـها هِند وهند أتى من دو ا النأيُ والبُعدُ

فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعين أحدهما للزيادة.

(٣) الشاهد في قوله: «قبله». لأنه معلوم من قوله «أمس»، وكقول الآخر:

ذكرتُ أخي فعاودني صُداعُ الرأس والوصبُ

فإن الصّداع لا يكون إلا في الرأس؛ فذِكْر الرأس لا فائدة فيه.

وأقسام الإطناب كثيرة[١]**:**

١- منها ذِكْر الخاص بعد العام ، كقوله تعالى : **حافظوا على الصلوات والصلاة** [٢].

وفائدته التنبيه على فضل الخاص؛ حتى كأنه لفضله ورفعته جزءٌ آخر مغاير لما قبله.

٢- ومنها ذِكْر العام بعد الخاص، كقوله تعالى[٣]: **رب اغْفِر لي ولوالدي ولمن دخلَ بيتي مُؤمنا وللمُؤمنين والمُؤمنات** [٤] وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانيا في عنوان عام، بعد ذكره أولا في عنوان خاص.

٣- ومنها الإيضاح بعد الإ ام؛ لتقرير المعنى في ذهن السامع بذِكْره مرتين: مرة على سبيل الإ ام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: **وقضينا إليه ذَلك الأمر أن دابر هؤلاء مقْطُوع مُصبحين** [٥] فقوله: أن دابر هؤلاء: تفسير وتوضيح لذلك الأمر، وفائدته تفخيم شأن المُبين، وتمكينه في النفس زيادة تمكن.

٤- ومنها التوشيع وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين؛ ليرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو: «العلم عِلمان: علم الأبدان، وعلم الأديان».

٥- ومنها التكرار -وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر -لأغراض:

الأول: التأكيد كقوله تعالى: **كلا سوف تعلمُونَ * ثُم كلا سوف تعلمُونَ * كلا لَو تعلمُونَ عِلْم اليقين** [٦] وكقوله تعالى: **فَإن مع العُسر يُسرا * إن مع العُسر يُسرا** [٧].

الثاني: طول الكلام؛ لئلا يجيء مبتورا ليس له طلاوة، كقوله:

وإن امرأ دامت مواثيـق عهـدِه   على مِثْل هـذا إنـه لكـريمُ[٨]

---

(١) ومنها الحروف الزائدة. وتكثير الجمل - نحو **فَبما رحمةٍ من اللهِ لِنت لَهُم** [آل عمران:١٥٩].

(٢) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

(٤) سورة نوح: ٢٨.

(٥) سورة الحجر: ٦٦.

(٦) سورة التكاثر : ٣-٥، أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر.

(٧) سورة الشرح: ٥-٦.

(٨) الشاهد في تكرير (إن) في أول البيت، وتكريرها في آخره.

الثالث: قصد الاستيعاب نحو: «قرأت الكتاب بابا بابا، وفهمته كلمة كلمة».

الرابع: زيادة الترغيب في العفو، كقوله تعالى: **﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإنْ تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾**(١).

الخامس: استمالة المخاطب لقبول الخطاب، كقوله تعالى: **﴿وقالَ الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيلَ الرشادِ * يا قوم إنما هذه الحياةُ الدنيا متاع﴾**(٢).

السادس: التنويه بشأن المخاطب، نحو: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم».

السابع: التّرديد- وهو تكرار اللفظ متعلقًا بغير ما تعلق به أولا، نحو: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة».

الثامن: التّلذذ بذكره، نحو قول مروان بن أبي حفصة:

سقى الله نجدا والسلام على نجدِ ... ويا حبذا نجدُ على القُرب والبُعدِ

التاسع: الإرشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: **﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾**(٣).

٦- ومنها الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محل لها من الإعراب(٤).

وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ، غير دفع الإيهام:

أ - كالدعاء نحو: إني «حفظك الله» مريض.

---

(١) سورة التغابن: ١٤.

(٢) سورة غافر: ٣٨، ٣٩.

(٣) سورة القيامة: ٣٤، ٣٥.

(٤) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئي جملة ولا بين كلامين؛ بل جوّز وقوعه آخر الكلام مطلقًا سواء وليه ارتباط بما قبله أو لا- كقوله تعالى: **﴿وقالوا حسبُنا اللهُ ونعم الوكيلُ﴾** [آل عمران: ١٧٣] فجملة: ونعم الوكيل. معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها؛ حتى لا يلزم عطف الإنشاء على الخبر.

وكقول عوف بن محلم الشيباني:

إنّ الثمـــانين وبُلغتهـــا قد أحوجت سمعي إلى **ترجمـان**[١]

ب- والتنبيه على فضيلة العلم، كقول الآخر:

واعلـم فعلـمُ المـرء ينفعـه أن سوف يأتي **كُـل مـا قُـدِرا**

ج- والتنـزيه كقوله تعالى: **ويجعلونَ لِلهِ الْبناتِ سُبحانهُ ولَهُم ما يشتهُونَ**[٢].

د- وزيادة التأكيد، كقوله تعالى: **ووصينا الإنسانَ بِوالِديهِ حملتْهُ أمهُ وهنا على وهنٍ وفِصالُهُ فِي عامينِ أنِ اشكُر لِي ولِوالِديك إليَّ الْمصِيرُ**[٣].

هـ- والاستعطاف، كقول الشاعر:

وخفوق قلبٍ لو رأيـت لهيبـه يـا جنتي لرأيـت فيـه جهنمـا

و- والتهويل، نحو **وإنهُ لَقَسم لَو تعلَمُونَ عظِيم**[٤].

٧- ومنها الإيغال -وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. كالمبالغة في قول الخنساء:

وإن صخرا لتـأتم الهُـداة بـه كأنـه علـم في **رأسـه نـار**

فقولها: «كأنه علم» واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها: «في رأسه نار»؛ لزيادة المبالغة، ونحو **اللهُ يرزُقُ من يشاءُ بِغيرِ حِسابٍ**[٥].

٨- ومنها التذييل - وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها؛

---

(١) بلغتها بفتح التاء: أي بلغك الله إياها -وترجمان: كزعفران، ويجوز ضم التاء مع الجيم. واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره، وأن يعيش مثله ثمانين سنة، واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض، كقوله تعالى: **فَلا أقْسِمُ بِمواقِعِ النجُومِ * وإنهُ لَقَسم لَو تعلَمُونَ عظِيم * إنهُ لَقُرآنٌ كَرِيم * فِي كِتابٍ مكْنُونٍ** [الواقعة: ٧٥-٧٨].

(٢) سورة النحل: ٥٧.

(٣) سورة لقمان: ١٤.

(٤) سورة الواقعة: ٧٦.

(٥) سورة آل عمران: ٣٧.

تأكيدا لها[١] نحو: **وقُلْ جاءَ الْحق وزهق الْباطِلُ إن الْباطِلَ كَانَ زهُوقًا** [٢] ونحو **ذَلِك جزيناهُم بِما كَفَرُوا وهلْ نُجازِي إلا الْكَفُور** [٣].

والتذييل قسمان:

جار مجرى الأمثال؛ لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله، كقول طرفة:

كل خليلٍ كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلبٍ ما أشبه الليلة بالبارحة

وغير جار مجرى الأمثال؛ لعدم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد، كقول النابغة.

لم **يُبق جودك** لي **شيئًا أؤمله** **تركتني أصحبُ الدنيا بلا أمل**

فالشطر الثاني مؤكد للأول، وليس مستقلا عنه؛ فلم يجر مجرى المثل.

٩- ومنها الاحتراس -ويقال له التكميل- وهو أن يؤتى بعد كلام يوهم خِلافِ المقصود بما يدفع ذلك الإيهام.

يعني أن الاحتراس يوجد حينما يأتي المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك، ويأتي بما يخلصه، سواء وقع في وسط الكلام، نحو:

فسقى ديارك غير مُفسدِها صوبُ الربيع وديمة تهمي

فقوله: غير مفسدها. للاحتراس -أو وقع في آخره، نحو: **ويُطْعِمُونَ الطعام على حُبِهِ** [٤] أي مع حب الطعام واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم.

وكقول أعرابية لرجل: «أذَل الله كل عدو لك إلا نفسك».

١٠- ومنها التتميم -وهو زيادة كلمة أو أكثر توجِد في المعنى حسنا؛ بحيث لو

---

(١) التأكيد ضربان: التأكيد المنطوق كما في هذه الآية -التأكيد المفهوم، كقوله:

ولست بمستَبقٍ أخا لا تلُمه على شعثَ أي الرجال المهذبُ

دل بمفهومه على نفي الكمال مِن الرجال، فأكده بقوله «أي الرجال المهذب»؟

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

(٣) سورة سبأ: ١٧.

(٤) سورة الإنسان: ٨.

حذِفت صار الكلام مبتذلا، كقول ابن المعتز يصف فرسا:

صببنا عليهـا ظـالمين سِـياطَنا فطارت بها أيدٍ سِـراعٌ وأرجُـلُ

إذ لو حذَف «ظالمين» لكان الكلام مبتذلاً، لا رِقة فيه ولا طَلاوة، وتوهم أنها بليدة تستحق الضرب.

ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح والثناء، والذم والهجاء، والوعظ والإرشاد والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة، ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكُتب الولاة إلى الملوك لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

واعلم أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجّته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع. وأفضل الكلام أبينه.وأبينه أشده إحاطة بالمعاني. ولا يحاط بالمعان إحاطة تامة إلا بالاستقصاء.

والمختار أن الحاجة إلى كل ماسة، ولكل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر فيه. وللذوق السليم القول الفصل في هذه الشئون.

المبحث الثالث: في المُساواة

المُساواة: هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له[١] -بأن تكونَ المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني؛ لا يزيد بعضها على بعض. وهي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يعتمد عليه.

كقوله تعالى: **وما تُقدمُوا لأنفُسِكُم مِن خيرٍ تجِدُوهُ عِند اللهِ** [٢] فإن اللفظ فيه على قدر المعنى؛ لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه.

وكقول طرفة بن العبد:

ستُبدي لك الأيامُ ما كُنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُـزودِ

---

(١) المساواة: هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر - وهي نوعان:

الأول: مساواة مع الاختصار وهي أن يتحرّى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف، الكثيرة المعاني، كقوله تعالى: **هلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ** [الرحمن:٦٠] وكقوله تعالى: **ولا يحِيقُ المكْرُ السيئُ إلا بِأهلِهِ** [فاطر: ٤٣].

والثاني: مساواة بدون اختصار (ويسمى المتعارف) وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: **حُور مقْصُورات فِي الْخِيامِ** [الرحمن: ٧٢] والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة -غير أن الأول أدخلُ فيها وأدل عليها.

والمساواة فن مِن القول عزيز المنال تشرئبّ إليه أعناق البلغاء، لكن لا يرتقي إلى ذُراه إلا الأفذاذ؛ لصعوبة المرتقى، وجلالة المقصد، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطًا بين الإيجاز والإطناب، وبعضهم يدمجها، ولا يعدها قِسما ثالثًا للإيجاز والإطناب.

(٢) سورة البقرة: ١١٠.

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة يطلب أجوبتُها

ما هي المساواة؟ ما هو الإيجاز؟ ما هو الإطناب؟ كم قِسما الإيجاز؟ ما هو إيجاز القصر؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قِسما الإطناب؟ ما هو ذِكْر الخاص بعد العام؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإ ام؟ ما هو التكرار؟ ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التذييل؟ ما هو التكميل؟ ما هو التتميم؟ ما هو الاحتراس؟ ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قِسما التذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

(درست الصرف). فيه مساواة؛ لأن اللفظ على قَدر المعنى.

وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبِهِ مِسكِينا ويتيما وأسِيرا [(١)] فيه إطناب بالتتميم؛ فإن على حبه: فضله لزيادة التحسين في المعنى.

ولا يحِيقُ المكْرُ السيئُ إلا بأهلِهِ [(٢)] (فيه مساواة).

«المرء بأدبه» (فيه إيجاز قصر)؛ لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة.

تاللهِ تفْتأ تذْكُرُ يوسُف [(٣)] فيه إيجاز حذف، وهو «لا».

فَأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفَلَق [(٤)] فيه إيجاز حذف جملة أي: فضرب فانفلق.

«ألا كل شيء ما خلا الله باطل» (فيه إطناب بالاحتراس).

إذا أنت لم تشرب مِـرارا علـى القذى ... ظمِئْت وأي الناس تصفو مشارِبُه؟

(فيه الإطناب بالتذييل). والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

«**جُوزِي المذنبُ بذنبه وهل يجازى إلا المذنب**». فيه إطناب بالتذييل، وليس جاريا

---

(١) سورة الإنسان: ٨.

(٢) سورة فاطر: ٤٣.

(٣) سورة يوسف: ٨٥.

(٤) سورة الشعراء: ٦٣.

مجرى المثل.

فَمن يعملْ ِمن الصاِلحاتِ وهُو مُؤِمن فَلا كُفْرانَ ِلسعِيِه [(١)] فيه إطناب بالاحتراس.

«البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة» فيه إطناب بالترديد.

ولَِكن الِْبر من اتقَى [(٢)] فيه إيجاز حذف مضاف، أي: ذا البر.

واهتم للسـفر القريـب فإنـه أنأى ِمن السفَر البعيـِد وأشـنعُ

فيه إطناب بالإيغال؛ فإن «أشنع» مزيدة للترغيب في الاهتمام.

خلَطُوا عملا صاِلحا وآخر سيئًا [(٣)] فيه إيجاز حذف -أي: خلطوا عملاً صالحًا بسيئ، وعملاً سيئًا بصالح.

والليل ِإذَا يسر [(٤)] فيه إيجاز بحذف الياء. وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سار وإنما يسري من فيه؛ نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جريا على عادة العرب في مثل ذلك.

ِلُيحِق الْحق وُيبِطلَ الْباِطلَ ولَو كَِره الْمُجِرمُونَ [(٥)] فيه إيجاز بحذف جملة -أي: فَعلَ ذلك.

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٤.
(٢) سورة البقرة: ١٨٩.
(٣) سورة التوبة: ١٠٢.
(٤) سورة الفجر: ٤.
(٥) سورة الأنفال: ٨.

تمرين

بين الإيجاز والإطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتي:

إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفعُ الناس وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كُل دابةٍ وتصريفِ الرياح والسحابِ المُسخر بين السماءِ والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقِلُونَ (١).

خُذِ العفْو وأمُر بالعُرفِ وأعرِض عن الجاهِلِين (٢)، **يأخُذُ كُل سفِينةٍ** (٣).

أنا ابنُ جلا(٤) **وطـلاّع الثّنايـا** متى **أضـع العِمامـةَ تعرفُـوني**

فاللهُ هُو الولي (٥)، **وإنْ يُكذِّبُوك فقَد كُذبت رُسُلٌ من قبلِك** (٦).

فقلت:

يمـينُ اللـه أبـرحُ قاعـدا(٧) **ولو قطعوا رأسِي لديك وأوصالِي**

شيخ يرى الصلواتِ الخمس نافِلةً ويستحل دم الحُجاج في **الحرمِ**(٨)

تطمئِن قُلوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تطمئِن القُلُوبُ (٩).

ومن أراد الآخِرةَ وسعى لها سعيها وهُو مُؤمِن فأولئِك كانَ سعيُهُم مشكُورا (١).

---

(١) سورة البقرة: ١٦٤، في هذه الآية الإطناب بتكثير الجمل. وهذا خلاف الأنواع السابقة؛ وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة؛ ليكون دليلا على القدرة الباهرة -وذلك بدل أن يقال (إن في وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء).

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩، فيه إجازة القصر؛ لأنه قد جمع مكارم الأخلاق.

(٣) سورة الكهف: ٧٩، أي سفينة سالمة.

(٤) أي: أنا ابن رجل جلا.

(٥) سورة الشورى: ٩، الشرط محذوف، أي: إن أرادوا وليا فالله هو الولي.

(٦) سورة فاطر: ٤ أي: فاقتد واصبر.

(٧) أي: لا أبرح.

(٨) في الحرم: إيغال للزيادة في المبالغة.

(٩) سورة الرعد: ٢٨، فيه التذييل.

مشكُورا [١].

لله لّذة عيش بالحبيب مضت ... ولم تدُم لي وغيرُ الله لم يدُم[٢]

وأدخِلْ يدك فِي جيبك تخرُج بيضاءَ مِن غَير سُوءٍ [٣]، ويُؤثِرُونَ على أنفُسِهم ولو كانَ بِهم خصاصةٌ [٤]، فَلا أُقْسِمُ بِمواقِعِ النجُومِ * وإنهُ لَقَسم لو تعلمُونَ عظِيم [٥].

حِليم إذا ما الحِلمُ زين لأهلِهِ ... مع الحِلم في عين العدُو مهيبُ[٦]

أتى الزمانَ بنُوه في شبيبتِهِ ... فَسرهُم وأتيناهُ على هرم[٧]

وألفيتهُ بحرا كثيرا فُضُولهُ ... جوادا متى يُذْكَر له الخير يزدد[٨]

فإن كُنت لا تستطيعُ دفع منيتي ... فَذَرني أبادِرها بما ملكت يدِي

ما أحسن الأيام إلا أنها ... يا صاحِبي إذا مضت لم ترجِع

ولست بِمستبق أخا لا تلمهُ ... على شعث أي الرجال المُهذبُ؟

تأمل من خِلال السجفِ وانظرْ ... بعينك ما شربتُ ومن سقانِي

تجِد شمس الضحى تدنُو بشمس ... إلي مِن الرحيق الخُسروانِي

---

(١) سورة الإسراء: ١٩، احترس بقوله: وهو مؤمن. عن توهم الإطلاق.
(٢) فيه تذييل جار مجرى الأمثال.
(٣) سورة النمل:١٢، في قوله: مِن غَير سُوءٍ احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه.
(٤) سورة الحشر: ٩.
(٥) سورة الواقعة: ٧٥، ٧٦، فيه الاعتراض.
(٦) في البيت احتراس.
(٧) في البيت إيجاز -أي: وأتيناه على هرم (فساءنا).
(٨) في البيت إطناب؛ فإن قوله: «متى يذكر له الخير يزدد»، تكميل.

خاتمة

الأصول والمقتضيات المذكورة في هذا الفن ليست مسوقة على سبيل الحصر؛ وإنما هي نموذج ينبه الطالب على اعتبار ما يحسن في الذوق اعتباره، ويعينه على استخراج ما في الكلام من وجوه البلاغة[(١)].

والقاعدة أنه متى وجد الكلام الصادر عمن يعتد بكلامه مستعملاً في غير معناه الأصلي المعروف له وضعا؛ طُلِب المراد بالتأمل الصادق، مستعينا بالقرائن وسياق المقال؛ حتى ينجلي له وجه العدول، وقد تقدم كثير من ذلك العدول (المسمى بإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر) في الأبواب السابقة.

وبقي من هذا القبيل أنواع أخرى:

الأول: الالتفات، وهو: نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى حالة أخرى من ذلك، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، وتلوينا للخطاب؛ حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة؛ فإن لكل جديد لذة، ولبعض مواقعه لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم.

واعلم أن صور العدول إلى الالتفات ست:

١- عدول من التكلم إلى الخطاب، كقوله تعالى: **وما لي لا أعْبُدُ الذِي فَطَرني وإليه تُرجعُونَ** [(٢)].

٢- عدول من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: **يا عِبادِي الذِين أسرفُوا علَى أنفُسِهم لا تقْنطُوا مِن رحمةِ اللهِ إن الله** [(٣)].

٣- عدول من الخطاب إلى التكلم، كقوله تعالى: **واستغفِرُوا ربكُم ثُم تُوبُوا إليهِ إن ربي رحِيم ودُود** [(٤)].

(١) علمت أن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورأيت في ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه، مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام؛ لاعتبارات يراها المتكلم.

(٢) سورة يس: ٢٢.

(٣) سورة الزمر: ٥٣.

(٤) سورة هود: ٩٠.

٤- عدول من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: **ربنا إنك جامعُ الناس ليومٍ لا ريب فيه إن الله لا يُخلِفُ الميعاد** [١].

٥- عدول من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: **وهُو الذي أرسلَ الرياح بُشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماءِ ماءً طهُورا** [٢].

٦- عدول من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: **وإذْ أخذْنا ميثاق بني إسرائيلَ لا تعبُدُونَ إلا الله** [٣].

الثاني: تجاهل العارف، وهو سوق المعلوم مساق ا هول (بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلة به)، وذلك لأغراض:

١- كالتعجب، نحو قوله تعالى: **أفَسِحر هذَا أم أنتُم لا تُبصِرُونَ** [٤].

٢- والمبالغة في المدح، نحو: «وجهك بدر أم شمس».

٣- والمبالغة في الذم، كقول الشاعر:

وما أدري وسوف إخـالُ أدري ... أقـوم آلُ حِصـنٍ أم نسـاءُ؟

٤- والتوبيخ وشدة الجزع، كقول الشاعر:

أيا شجر الخابور، ما لك مُورقاً؟! ... كأنك لم تجزع على ابن طريفِ![٥]

٥- وشدة الوله، كقول الشاعر:

باللهِ يا ظبياتِ القاعِ قُلْـن لنـا ... ليلاي منكُن أم ليلى من البشـرِ؟

٦- والفخر، كقوله:

أينـا تعـرفُ المواقـفُ منـهُ ... وثبـاتٍ علـى العِـدا وثَباتـا

الثالث: القلب[٦] وهو جعل كل من الجزأين في الكلام مكان صاحبه، لغرض

---

(١) سورة آل عمران: ٩.

(٢) سورة الفرقان: ٤٨.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) سورة الطور: ١٥.

(٥) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر؛ لشدة التحير والتضجر.

(٦) ويستدل عليه بالتأمل في المعنى؛ فنحو: عرضت الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم في أصبعي - أصله «عرضت الحوض على الناقة»؛ لأن العرض يكون على ماله إدراك. وأصله: أدخلت أصبعي

كالمبالغة، نحو، قول رؤبة بن العجاج:

ومهمهٍ مُغبرةٍ أرجاؤُها كأن لونَ أرضِهِ سماؤُهُ(١)

أي: كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغة في وصف لون السماء بالغبرة؛ حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض.

ونحو: «أدخلت الخاتم في إصبعي، وعرضت الناقة على الحوض».

الرابع: التعبير عن المضارع بلفظ الماضي -وعكسه.

(أ) فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي:

أ - التنبيه على تحقيق وقوعه، نحو **أتى أمرُ اللهِ** (٢) أي: يأتي.

ب- وقرب الوقوع، نحو: «قد قامت الصلاة» أي: قرب القيام لها.

ج- والتفاؤل، نحو: «إن شفاك الله تذهب معي».

د- والتعريض، نحو: **لَئِن أشركْت ليحبطَن عملُك** (٣).

فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبِطَت أعمالهم.

(ب) ومن أغراض التعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

(أ) حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة في الخيال، نحو **واللهُ الذِي أرسلَ الرياح فتُثِيرُ سحابا** (٤) بدل فأثارت.

(ب) وإفادة الاستمرار فيما مضى، نحو **لَو يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِن الأمرِ لَعنِتم** (٥) أي: لو استمر على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل».

=

في الخاتم؛ لأن الظرف هو الخاتم، والنكتة أن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه، وتحريك المظروف نحو الظرف. ولما كان ما هنا بالعكس؛ قلبوا الكلام؛ رعاية لهذا الاعتبار، وإنما يقبل حيث يتضمن اعتبارا لطيفًا.

(١) والمهمة: المفازة البعيدة، وأرجاؤه: نواحيه.

(٢) سورة النحل: ١.

(٣) سورة الزمر: ٦٥.

(٤) سورة فاطر: ٩.

(٥) سورة الحجرات: ٧.

نحو: **وإن الدين لواقع** [١].

أو المفعول، نحو: **ذَلك يوم مجمُوع لهُ الناسُ** [٢].

وذلك لأن الوصفين المذكورين حقيقة في الحال، مجاز فيما سواه.

السادس: التغليب.

وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه -وذلك:

١- كتغليب المذكر على المؤنث في قوله تعالى: **وكَانت مِن القَانِتين** [٣]. وبالعكس، نحو: «الأبوين». (للأب والأم).

٢- وكتغليب الأخف على غيره، نحو: الحسنين في (الحَسن والحُسين).

٣- وكتغليب الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: **لُنخرجنك يا شُعيبُ والذِين آمَنُوا معك مِن قَريتنا أو لتعُودُن فِي مِلتِنا** [٤].

أدخل (شعيب) في العود إلى ملتهم، مع أنه لم يكن فيها قط، ثم خرج منها وعاد، تغليبا للأكثر.

٤- وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: **الحمدُ لِلهِ رب العالمِين** [٥]، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم عِلمُ المعاني وبليه علمُ البيان والله المستعان

(١) سورة الذاريات: ٦.

(٢) سورة هود: ١٠٣.

(٣) سورة التحريم: ١٢.

(٤) الأعراف: ٨٨.

(٥) الفاتحة: ٢.

علم البيان

تعريفه:

(أ) البيان(١) معناه في اللغة: الكشف، والإيضاح.

(ب) وفي اصطلاح البلغاء: أصول وقواعد يعرف(٢) ا إيراد المعنى الواحد، بطُرقٍ يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى.

(ولابدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما).

فالمعنى الواحد «ككرم سعد» يدل عليه تارة بطريق التشبيه بأن يقال: «سعد كحاتم»، ومرة بطريق ا از. بأن يقال: «رأيت بحرا في دار سعد»، وأخرى بطريق الكناية. بأن يقال: «سعد كثير الرماد».

ولا يخفى أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض كما ستعرفه.

(ب) وموضوع هذا العلم: الألفاظ العربية من حيث ا از والكناية. وأما التكلم عن الحقيقة والتشبيه فليس مقصودا بالذات في علم البيان.

(ج) وواضعه: أبو عبيدة الذي دونَ مسائل هذا العِلْم في كتابه المسمى «مجاز القرآن»، وما زال ينمو شيئًا فشيئًا؛ حتى وصل إلى الإمام «عبد القاهر»، فأحكم أساسه،

---

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير؛ حتى يفضِي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

واعلم أن المعتبر في علم البيان دِقةُ المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها. فالبيان هو المنطق الفصيح المعرِب عما في الضمير.

(٢) أي يعرف من حصل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض؛ فعلم البيان علم يتمكن به من إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح؛ فالمحيط بفن البيان، الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه؛ إذا أراد التعبير عن أي معنى يجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصِلُ الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له؛ فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جود قوله، وسحرهم ببديع بيانه.

وشيد بناءه، ورتب قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المعتز، وقدامة، وأبو هلال العسكري.

(١) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة، لا من ناحية الوضوح والخفاء؛ فلا تدخل حينئذ في مباحث فن البيان.

وهي خمسة أنواع:

(١) الحقيقة العقلية[1]: وهي إسناد الشيء إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، نحو «أنبت الله الشجر».

(٢) الحقيقة اللغوية: وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وضِعت له عند أهل اللغة، نحو: أسد «للحيوان المفترس».

(٣) الحقيقة الشرعية: وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وضِعت له عند أهل الشرع، (كالصلاة) فإ ا موضوعة للأقوال والأفعال المخصوصة.

(٤) الحقيقة الاصطلاحية الخاصة: وهي الكلمة المستعملة في ما وضِعت له في اصطلاح خاص (كالفاعل) فإنه موضوع في اصطلاح النحاة للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه.

(٥) الحقيقة الاصطلاحية العامة: وهي الكلمة المستعملة في ما وضعت له في الاصطلاح العام، نحو «دابة»؛ فإ ا موضوعة في العرف العام «لذوات الأربع: كالفرس والحِمار».

(د) وثمرته: الوقوف على أسرار كلام العرب «منثوره ومنظومه»، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل ا إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجن والإنس في محاكاته، وعجزوا عن الإتيان بمثله.

---

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة:

الأول: ما يطابق الواقع والاعتقاد معا، كقول المؤمن: أنبت الله الزرع.

الثاني: ما يطابق الاعتقاد فقط، كقول الجاهل: أنبت المطر الزرع.

الثالث: ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله، وهو يخفيها: خلق الله الأفعال كلها.

الرابع: ما لا يطابق شيئًا منهما، كقولك: «جاء فريد».، وأنت تعلم أنه لم يجيء «دون المخاطب».

مقدمة

اللفظ إن عين بإزاء معنى ليدل عليه سمي موضوعا، والمعنى موضوعا له، والتعيين وضعا. ثم إنه بعد ذلك إما ألا يتصرف فيه عند الاستعمال، أو يتصرف فيه عنده.

فالأول: وهو الذي لا يتصرف فيه عند الاستعمال يسمى (حقيقة).

والثاني: وهو الذي يتصرف فيه عند الاستعمال:

فإن كان التصرف بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه، سمي «مجازا عقليا - أو إسنادا مجازيا - ». نحو: بنى الأمير المدينة.

وإنْ كان ينقُله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة:

(أ) فإنْ منعت قرينته إرادة المعنى الموضوع له «فمجاز بالاستعارة» إن كانت العلاقة المشا ة -ومجاز مرسل إن كانت العلاقة غيرها.

(ب) وإن لم تمنع القرينة - فإن كان بالكاف وكأن ونحوهما؛ «فتشبيه»، وإلا فكناية.

ولهذا انحصر عِلْم البيان في التشبيه، وا از، والكناية.

الباب الأول: في التّشبيه[١]

التّشبيه: أولُ طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى، وهو في اللغة: التمثيل، وعند علماء البيان: مشاركة أمر لأمر في معنى[٢] بأدوات[٣] معلومة[٤]، كقولك: «العلم كالنور في الهداية..» فالعلم مشّبه، والنور مشبه به، والهداية وجه الشّبه، والكاف أداة التشبيه؛ فحينئذ أركان التشبيه أربعة: مشبه، ومشبه به «ويسمّيان طرفي التشبيه»، ووجه شبه، وأداة تشبيه «ملفوظة أو ملحوظة» - وفي هذا الباب مباحث:

---

(١) اعلم أن للتشبيه موقعا حسنا في البلاغة؛ وذلك لإخراجه الخفيّ إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رِفْعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا، ويكسوها شرفًا ونبلاً؛ فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسك، غامض المدرك، دقيق ا رى، غزير الجدوى.

(٢) فالتشبيه: هو الدلالة على أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه، وبتعريف التشبيه بذلك؛ خرجت المشاركة في عين نحو: «اشترك زيد وبكر في الدار»؛ فإنه لا يسمّى تشبيها.

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمني في بعض صور التجريد؛ «وهو ما لم يكن تجريد الشيء عن نفسه»؛ لأنه حينئذ لا تشبيه نحو **لَهُم فِيها دارُ الخُلْدِ** [فصلت: ٢٨]؛ فإنه لانتزاع دار الخلد من جهنم، وهي عين دار الخلد لا شبيهة ا، بخلاف نحو: «لقيت بزيدٍ أسدا»؛ فإنه لتجريد أسد من زيد. وأسد مشبه به لزيد لا عينه؛ ففيه تشبيه مضمر في النفس؛ فكل من الاستعارة والتشبيه الضمني المذكور لا يسمّى تشبيها اصطلاحا، وليس التشبيه مجرد الاشتراك في معنى؛ بل لابد فيه من ادعاء مماثلة أحد أمرين لآخر في معنى، ومساواته إياه؛ ولذلك نفاه الشاعر:

ما أنت مادحها يا مـن تُشـبهها ... بالشمس والبدر لا بلْ أنت هاجيها

من أين للشمس خال فوق وجنتها ... ومبسِم كِنظـام الـدر في فيهـا؟

(٤) وهي الكاف وكأن ومثل ونحوها، وكذا ماثَلَ وشابه، وما اشتق منهما، أو يرادِفهما في المعنى، مما سيأتي.

المبحث الأول: في تقسيم طرفي التّشبيه إلى حِسِّي وعقْلي

طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به»:

١- إمّا حِسيان[١] «أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة»، نحو: «أنت». كالشمس في الضياءِ. وكما في تشبيه الخد بالورد.

٢- وإما عقليان: أي مدركان بالعقل، نحو: «العِلْم كالحياة». ونحو: «الضلال عن الحق كالعمى» ونحو: «الجهل كالموت».

٣- وإما المشبه حِسي، والمشبه به عقلي، نحو: «طبيب السوءِ كالموتِ».

٤- وإما المشبه عقلي، والمشبه به حِسي، نحو: «العِلْم كالّنور».

---

(١) اعلم أن من الحسي: ما لا تدركه الحواس الخمس وهي (البصر، والسّمع، والشّم، والذّوق، واللمس) ولكن تدرك مادته فقط، ويسمى هذا التشبيه «بالخيالي»، كقوله:

كأنّ الحباب المستدير برأسها … كواكب دُر في سماءِ عقيق

فإن هذه الكواكب، والسماء لا يدركها الحس؛ لأ ا غير موجودة، ولكن يدرك ماد ا، التي هي الدر والعقيق على انفراد، والمراد بالحباب: ما يعلو الماء من الفقاقيع، والضمير للخمر.

ومنه أيضا قول الآخر:

وكأنّ محمر الشقـ … ـيق إذا تصوب أو تصعدُ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِـ … ـرنَ على رماحٍ من زبرجـد

فإن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة؛ لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجودا ولا محسوسا.

والمراد بالعقلي: ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة؛ بل إدراكه عقلاً؛ فيدخل فيه الوهمي: وما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركًا ا، ويسمى هذا التشبيه «بالوهمي» كقوله:

أيقتُلنـي والمشرفي مُضاجِعي … ومسنُونة زُرق كأنياب أغوال؟

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا ماد ا؛ وإنما اخترعها الوهم، لكن لو وجِدت لأدركت بالحواس. والمشرفي: السيف. والمسنونة: السهام. والأغوال: يزعمون أ ا وحوش هائلة المنظر، ولا أصل لها، والوجدانيات: كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلي. ثم التضاد بين الطرفين قد ينـزل منـزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء؛ كما في تشبيه شخص ألْكن بقُس بن ساعدة، أو رجل بخيل بحاتم، والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن؛ فإنْ كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة، وإلا فاستهزاء.

المبحث الثاني: في تقسيم طرفي التَّشبيه باعتبار الإفراد والتركيب

طرفا التشبيه: «المشبه، والمشبه به»: إما مفردان «مطلقان» نحو: «ضوءُه كالشمس»؛ أو مقيدان[1] نحو: «السّاعي بغير طائل كالراقم على الماء»؛ أو مختلفان نحو: «ثَغره كاللؤلؤ المنظوم»، ونحو: «العين الزرقاء كالسّنان». وإما مركبان تركيبا لم يمكن إفراد أجزائهما، كقوله[2]:

كـأن سُـهيلاً والنجـومُ وراءَهُ صُفُوف صلاةٍ قام فِيهـا إمامُهـا

(إذ لو قُلْت: كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة؛ لَذهبت فائدةُ التشبيه).

أو مركبان تركيبا إذا أُفردت أجزاؤه؛ زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى في قول الشاعر الآتي؛ حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء، بدر منتثر على بساط أزرق:

وكأن أجرام النجوم لوامِعا دُرر نُثِرنَ على بساطٍ أزرق

(إذا لو قُلْت: كأن النجوم درر - وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا؛ لكنه قد زال منه المقصود يئة المشبه به).

٣- وإما مفرد بمركب، كقول الخنساء[3]:

أغـر أبلـجُ تـأتمّ الهُـداةُ بِـهِ كأنـه علـم فِـي رأسـهِ نـارُ

٤- وإما مركب مفرد، نحو «الماءُ المالح كالسم»[4].

---

(١) وتقييده: بالإضافة، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال، أو الظرف، أو بغير ذلك. ويشترط في القيد: أن يكون له تأثير في وجه الشبه، ولهذا جعِل في قوله تعالى: **هُن لِباس لكُم وأنتم لِباس لهُن** [البقرة: ١٨٧] من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيدٍ. ونحو: «التّعلم في الصغر كالنقْش في الحجر».

(٢) ومنه قول الآخر:

كأن مُثار النقْع فوق رءوسِنا وأسيافَنا ليـل تهاوي كواكبُه

فإنه شبّه هيئة الغبار (وفيه السيوف مضطربة) يئة الليل وفيه الكواكب تتساقطُ في جِهات مختلفةٍ. وكقول الشاعر:

كأنّ الدموع على خدها بقية طَـل على جلنـار

فالمشبه مركب من الدموع والخد، والمشبه به مركب من الطّلّ والجلنار.

(٣) وكقوله:

وحدائق لبس الشقيق نبأتها كالأرجـوان منقطًا بالعنبر

(٤) وكقوله:

=

المبحث الثالث: في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعدُّدِهما

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به» باعتبار تعدّدهما إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع:

١- فالتشبيه الملفوف، هو جمع كل طرف منهما مع مِثْله؛ كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به؛ بحيث يؤتى بالمشبهات أولاً، ثم بالمشبهات ا ثانياً.

كقوله:

ليـلٌ وبدر وغُصن **شعر ووجـه وقَـد**

وكقوله:

تبسم وقُطوب في **نـدى ووغًـى** **كالغيثِ والبرق تحت العارض البردِ**

وكقوله:

وضوء الشهبِ فوق الليل بـادٍ **كأطراف الأسِنة** في **الـدروع**[1]

٢- **والتشبيه المفروق**: هو جمع كل مشبه مع ما شبه به، كقوله[2]:

النشر مِسـك والوجـوهُ دنـا نـير **وأطـرافُ الأكُـف عـنم**

٣- وتشبيه التسوية: هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به، كقوله:

صُـدغُ الحبيـب وحـالى **كلاهـ ـ ـا كاللّيـ ـ ـ**الي

وثغـ ـ ـرُهُ في **صـ ـ ـفاء** **وأدمعـ ـ ـي كـ ـ ـاللآلئ**

سمي بذلك؛ للتسوية فيه بين المُشبّهات.

=

لا تعجبوا من خاله في **خده** **كُل الشقيق بُنقْطةٍ سـوداءِ**

فالمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق.

(١) أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه ما.

(٢) ومنه قوله:

إنما النفسُ كالزجاجةِ والعِلْـ **ـمُ سراجُ وحِكْمة الله زيتُ**

فإذا أشرقت فإنـك حي **وإذا أظلمت فإنك ميـتُ**

٤- **وتشبيه الجمع:** هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله:

كأنما يبسمُ عن لُؤلؤٍ منضد أو برد أو أقاح(*)

سمي بتشبيه الجمع؛ للجمع فيه بين مشّبهات ا ثلاث.

وكقوله:

مرت بنا رأد الضحى تحكي الغزالةَ والغزالا

تمرين

اذكر أحوالَ طرفي التشبيه فيما يأتي:

«علم لا ينفع كدواء لا ينجع»، «الصديق المنافق، والابن الجاهلُ، كلاهما كجمر الغضا» «الحق سيف على أهل الباطل»، «الحِمية من الأنام كالحمية من الطعام».

(*) أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالأقاح، فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء: اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم)، والبرد (وهو حب الغمام) والأقاح: جمع أُقحوان بضم الهمزة، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه:

أولا- إلى: حسيين وعقلّيين، ومختلفين. فالحسيان يشتركان:

(١) في صفة مبصرة: كتشبيه المرآة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد، في قول الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ مـن قيـامٍ شـعرها وتغيـبُ فيـه وهـو ليـلٌ أسـحَمُ

فكأنهـا فيـهِ نهـار مُشـرق وكأنّـه ليـلٌ عليهـا مُظلِـمُ[1]

(٢) أو في صفة مسموعة: كتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج، في قول الشاعر:

كـأنّ أصـوات مِـن إيغـالهن بنـا أواخِرِ المَـيس إنقـاضُ الفـراريج[2]

(١) امرأة فرعاء: كثيرة الشعر. أسحم: أسود من سحِم كتِعب.

(٢) الميس: الرحل. الإنقاض: قِيل: صوت الفراريج الضئيل. وقيل: صوت الحيوان. والنقض: صوت الموتان كالرحل. والفراريج: جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت: كأن أصوات أواخر =

....

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن بالمزامير.

(٣) أو في صفة مذوقة: كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل، وكتشبيه الريق بالخمر، في قول الشاعر:

كــأن المُــدام وصــوب الغمــامِ وريــح الخزامــى وذَوب العســلْ

يعــــل بــــه بــــردُ أنيابهــــا إذا النجمُ وسط السـماء اعتـدلْ[1]

(٤) أو في صفة ملموسة: كتشبيه الجسم بالحرير، في قول ذي الرمة:

لهــا بشــر مثــل الحريــر ومنطــق رخِيمُ الحواشي لا هُـراءٌ ولا نــزْرٌ[2]

(٥) أو في صفة مشمومة: كتشبيه الريحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يدركا «هما ولا مادتهما» بإحدى الحواس، «كتشبيه السفَر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار». والمختلفان: إما أن يكونَ المشبه عقليا والمشبه به حِسيا «كتشبيه الغضب بالنار من التلظي والاشتعال» وكتشبيه الرأي بالليل، في قول الشاعر:

الــرأيُ كالليــل مُســود جوانِبُــهُ والليــلُ لا ينجلــي إلا بإصــباح

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا «كتشبيه الكلام بالخلق الحسن»، وكتشبيه العِطْر بخلُقٍ كريمٍ في قول الصاحب بن عبّاد:

أهديتُ عِطْـرا مِثْـلَ طِيـب ثنائـهِ فكأنمــا أهــدِي لــه أخلاقَــهُ[3]

وثانيا: إلى مفردين مطلقين. أو مقيدين. أو مختلفين - وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان: كتشبيه السماء بالدهان في الحمرة. في قوله تعالى: **فَإِذَا انشقتِ السماءُ فكانت وردةً كالدهان** [4].

=

الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج.

(١) المدام: الخمر. الصوب: من صاب المطر يصوب؛ إذا انصب ونزل. الخزامى: نبت طيب الرائحة. والعلل: الشرب الثاني، يقال: علَلٌ بعد نهل.

(٢) رخيم الحواشي: مختصر الأطراف، الهراء (بضم الهاء): المنطق الكثير، وقيل: المنطق الفاسِد الذي لا نِظام له.

(٣) الثناء يشبه بالعطر، لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس، وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغةً، وتخّيله شيئًا له رائحة، وشّبه العِطْر به.

(٤) سورة الرحمن: ٣٧، الدهان: الجلد الأحمر.

وكتشبيه الكَشح بالجَدِيل، والسابق بالأنبوب، في قول امرئ القيس:

وكشحٍ لطيــف كالجَــدِيل مخصــر وساقٍ كــأنبوب الســقِي المــذلل[(١)]

والمقيدان: بوصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو: «كالراقم على الماء» فالمشبه: هو الساعي على هذه الصفة. والمشبه به: هو الراقم ذا القيد. ووجه الشبه: التسوية بين الفِعل والترك في الفائدة. وكقوله:

والشمسُ مِن بين الأرائك قد حكَــت ســيفًا صــقِيلاً في يــدٍ رعشــاء[(٢)]

والمختلفان، والمشبه به هو المقيد: كما في قول ذي الرّمة:

قِفِ العيس في أطــلال ميــةَ فاســأل رُسوما كأخلاق الــرداءِ المسلســل[(٣)]

أو المشبه هو المقيد. كما في قول الشاعر:

كأنّ فِجاج الأرض وهــي عريضــة على الخائف المطلوب كُفةُ حابِــل[(٤)]

والمركبان: كقول الشاعر:

البــــدرُ مُنتقــــب بغــــيمٍ أبــــيض هُــــو فيــــه بــــين تفجــــر وتــــبلج

كتــــنفس الحســــناء في المــــرآة إذْ كمُلَــــت محاســــنُها ولم تتــــزوج

والمختلفان، والمشبه مفرد، كقوله تعالى: **مثَلُ الذِين كفَرُوا بِربهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت بِهِ الريحُ**

---

(١) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع (أقصر الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرة إلى المتن. والجديل: الزمام المجدول من آدم. وقيل: حبل من آدم، أو شعر في عنق البعير. مخصر: دقيق. السقي: البردي واحده سقية. المذلل: الذي ذُلّل بالماء حتى طاوع كل من مد إليه يده. قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرئ القيس: شبه كشح المرأة بالزمام في اللين والتثني واللطافة، وشبه ساقها ببردي قدنبت تحت نخل، والنخل تظله من الشمس. والوجه البياض.

(٢) الأراك: شجر من الحمض يستاك بقُضبانه، واحده أراكة وجمعها أرائك.

(٣) العيس: كِرام الإبل، وقيل: الإبل البيض يخالِط بياضها شقرة أو ظلمة خفية. والأطلال: جمع طلل، وهو الشاخص من آثار الديار. الرسم: ما كان لاصقًا بالأرض من آثار الديار. أخلاق: جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي. المسلسل: الرقيق؛ من تسلسل الثوب لبس حتى رق.

(٤) الفجاج: جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين. الكفة: ما يصاد به (الشبكة) الحابل: الصياد.

في يومٍ عاصِفٍ[1]، وكقول الشاعرة:

....

- -

أغَــر أبلــجُ تــأتم الهُــداةُ بــه كأنــهُ علــم في رأسِــهِ نــارُ

أو المشبه به مفرد. كقول أبي الطيب المتنبي:

تشــرق أعراضُــهم وأوجُههــم كأ ـ ـــا في نُفوســـهم شِـــيمُ

شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فإشراق الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها، وكقول أبي تمام يصف الربيع:

يــا صــاحبي، تقصــيا نظريكمــا تريا وُجُوه الأرض كيــف تُصــور[2]

تريــا ــارا مُشمِســا قــد شــابهُ زهــر الربــا فكأنمــا هــو مُقْمــرُ

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد، ونقص من ضوء الشمس حتى كأنه ليل مقمر. فشبه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الربا بالليل المقمر. والأول مركب، والثاني مفرد مقيد.

وثالثًا - إلى (١) ملفوف: وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطْفِ، أو غيره، ثم بالمشبهات ا كذلك، كقول الشاعر:

ليــــلٌ وبــــدر وغصــــن شــــعر ووجــــه وقــــد

خمــــــــــــر ودر ووردُ ريــــق وثغــــر وخــــد

شبه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد، في البيت الأول. والخمر بالريق، والدر بالثغر، والورد بالخد، في البيت الثاني؛ وقد ذكر المشبهاتِ أولاً، والمشبهات ا ثانيا، كما ترى.

(٢) مفروق: وهو ما أتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر. كقول أبي نواس:

تبكي فتــذْري الــدر مِــن نــرجس وتمســـحُ الـــورد بعنــــاب[3]

شبه الدمع بالدر لصفائه. والعين بالنرجس؛ لما فيه من اجتماع السواد بالبياض، والوجه بالورد.

ورابعا: إلى (١) تشبيه التسوية. وهو ما تعدد فيه المشبه، كقول الشاعر:

صُــدغُ الحبيــب وحــالي كِلاهُمــــا كاللّيــــالي

---

(١) سورة إبراهيم: ١٨.

(٢) تقصيا: من تقصيت الشيء بلغت أقصاه أي اجتهدا في النظر. تصور: تتصور. شابه: خالطه. الربا: جمع ربوة وهي المكان المرتفع، وخص زهر الربا؛ لأنه أنضر وأشد خضرةً.

(٣) العناب: شجر له حب كحب الزيتون، وأحسنه الأحمر الحلو.

وثغـرهُ في صفاءٍ … وأدمُعِي كاللآلئ[1]

يا شبيه البدر حُسنا … وضياءً ومنالاً

وشبيه الغُصنِ لِينا … وقواما واعتدالاً

أنت مثْلُ الوردِ لونا … ونسيما وملالا

زارنا حتى إذا ما … سرنا بالقُرب زالا

فكم معنى بديع تحت لفظٍ … هناك تزاوج كلّ ازدواجِ

كراحٍ في زُجاجٍ أو كروُحٍ … سرت في جسمِ مُعتدل المزاج

الخد ورد والعذار رياض … والطرفُ ليلٌ والبياض نهارُ

العمرُ، والإنسان، والدنيا هو … كالظلّ في الإقبال والإدبار

الخد ورد والصدغ غالية … والريق خمر والثغرُ مِن برد

ليلٌ وبدر وغُصن … شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد … ريق وثَغر وخد

العمرُ مِثْلُ الضيفِ أو … كالطّيفِ ليس له إقامة

العيشُ نوم والمنيةُ يقظةٌ … والمرءُ بينهما خيالٌ ساري

شبه في الأول صدغَ الحبيب وحاله هو بالليالي في السواد، وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلئ في القدر والإشراق.

(٢) تشبيه الجمع: وهو ما تعدد في المشبه به، كقول البحتري:

بات نديما لي حتى الصباح … أغْيدُ مجدُولُ مكان الوشاح

كأنما يبسِمُ عن لُؤلُؤ … مُنضدٍ أو برد أو أقاحُ[2]

---

(١) الصدع: (بضم الصاد) ما بين العين والأذن. والشعر المتدلي على هذا الموضع هو المراد هنا. والثغر تطلق على الفم، وعلى الأسنان في منابتها، والمراد الثاني.

(٢) ففيه التشبيه الملفوف؛ حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير، ومعرفته، وهما متلازمان، ثم أتى في =

شبه ثغره بثلاثة أشياء: باللؤلؤ، والبرد، والأقاح.

العلم في الصدر مثل الشمس في ... والعقلُ للمرءِ مِثلُ التاج للمِلك

عزماتُه مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثّاقبات أفُولُ

وكأن أجرام النجوم لوامعا ... دُرر نُثِرن على بساط أزرق

كأنما النارُ في تلهبها ... والفحمُ من فوقها يُغطيها

زنجية شبكت أناملها ... من فوق نارنجة لتخفيها

يا صاحِبي، تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تُصورُ

تريا نهارا مُشمسا قد شابهُ ... زهرُ الربى فكأنما هو مُقمِرُ[1]

وكأن محمر الشقيـ ... ـق إذا تصوب أو تصعد

أعلامُ ياقوتٍ نُشِر ... نَ على رِماحٍ من زبرجد[2]

كأن مُثار النقْع فوق رُءوسنا ... وأسيافَنا ليل تهاوى كواكبُه[3]

=

الشطر الثاني بالمشبه بهما (أعني وقود الشمع، والنظر إلى نوره).

(١) الأغيد: الناعم البدن، المجدول: المطوي غير المسترخي - والمراد لازمه (وهو ضامر البطن والخصرتين). الوشاح: شِبه قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة في وسطها أو على المنكب الأيسر معقودا تحت الإبط الأيمن للزينة. المنضد: المنظم. البرد: حب الغمام. الأقاح: نبات له زهر أبيض، في وسطه كتلة صغيرة صفراء، وأوراق زهره مفلجة صغيرة، واحدته قُحوانة (بضم القاف).

(٢) أي قد خالط هذا النهار زهر الربا؛ فكأنما هو ليل مقمر.

(٣) فكل من: الأعلام، والياقوت، والزبرجد، والرمح محسوس على انفراده؛ لكن المركب الذي مادته هذه الأمور ليس بمحسوس؛ لأنه غير موجود -والحِس خاص بالموجودات -فالمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رءوس أجرام خضر مستطيلة.

خـــود كـــأن بنانهـــا في **خُضــرة الــنقش المــزرد**[(١)]
ســمك مِــن البلّــور في **شــبكٍ تكــون مِــن زبرجــد**
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا[(٢)] **لدى وكرها العُنابُ والحشفُ البالي**
من يصنع الخير مع من ليس يعرفُه **كوافدِ الشمع** في **بيتٍ لعُميـان**[(٣)]

---

(١) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونـزولها بسرعة في وسط الغبار - يئة كواكب تتساقط في ليل مظلم.

(٢) أي أن أصابعها (المُعبر عنها بالبنان) قد نقِش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدي، أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور؛ فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس، والمركب غير موجود.

(٣) يريد الشاعر: وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور؛ فشبّه الطري من قلوب الطير بالعناب، واليابس منها بالحشف البالي.

المبحث الرابع: في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

وجه الشّبه هو الوصف الخاص[1] الذي يقصد اشتراك الطّرفين فيه. كالكرم في

---

(١) إمّا حقيقة كالبأس في قولك: «زيد كالأسد»، وإما تخييلاً كما في قوله:

يا من له شعر كحظي أسودُ جِسمِي نحيلٌ مِن فِراقك أصفَرُ

فإن وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه -لكنه يوجد في المشبه تحقيقًا، ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخييل؛ لأنه ليس من ذوات الألوان.

ثم اعلم أن وجه الشبه: إما داخل في حقيقة الطرفين؛ وذلك كما في تشبيه ثوب بآخر في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما، كقولك: «هذا القميص مِثْلُ ذلك في كو ما كتانا أو قطنا»، وإما خارج عن حقيقتهما، وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد، أو (إضافية) وهي ما ليست هيئة متقررة في الذات؛ بل معنى متعلقًا ا كالجلاء في تشبيه البينة بالصبح.

ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحدا، وقد يكون بمنـزلة الواحد (لكونه مركبا من متعدد)، وقد يكون متعددا- وكل من ذلك قد يكون حسيا، وقد يكون عقليا. أما الواحد -فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة، وأما المركب فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين، كما في قوله:

وقَد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقـود مُلاحِية حِيـن نورا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم، وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريا والعنقود. وقد يكون مركب الطرفين كما في قوله:

والبدر في كبدِ السماءِ كدرهمٍ مُلقًى على دِيباجـةٍ زرقـاءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طُلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة، وكِلا الطرفين مركّب: أولهما من البدر والسماء - والثاني من الدرهم والديباجة.

وقد يكون مختلف الطرفين كقوله:

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان مُنقّطًا بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثورا عليها، والمشبه مفرد وهو الشقيق، والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله:

لا تعجبوا مِن خالِهِ في خدهِ كُل الشقيق بنقطةٍ سـوداءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق. والعقلي من المركب =

نحو: «خليل كحاتم».

وينقسم التشبيه باعتبار (وجه الشبه) إلى:

١- تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، كقوله:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضـوئه ... يُوافي تمام الشـهر ثُـم يغيـبُ

فوجه الشبه «سرعة الفناء» انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة؛ إذ يبدو هلالاً، فيصير بدرا، ثم ينقص، حتى يدركه المحاق.

(ويسمى التشبيه تمثيلاً).

٢- وغير تمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد. نحو «وجهه كالبدر» وكقول الشاعر:

لا تطلُبن بآلـة لـك رُتبـة ... قَلمُ البليغ بغـير حـظٍ مغـزلُ

=

كما في قوله:

المستجيرُ بعمرو عند كُربتِه ... كالمستجير مِن الرمضاء بالنارِ

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء مِن الضارّ إلى ما هو أضر منه طَمعا في الانتفاع به، ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع. والرمضاء: الأرض التي أسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد بعمرو هنا: هو جساس بن مرّة البكري، يقال إنه لما رمى كُليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له: يا عمرو، أغثني بشربة ماء- فأتم قتله.

وأما المتعدد: فالحسي منه، كما في قوله:

مُهفْهف وجنتـاه ... كالخمر لونا وطَعما

والعقلي كالنفع والضرر في قوله:

طلْق شديدُ البأس راحتُهُ ... كالبحر فيه النفعُ والضررُ

فإن وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول، والنفع والضرر في الثاني -وقد يجيء المتعدد مختلفًا كما في قوله:

هذا أبو الهيجاءِ في الهيجاءِ ... كالسيف في الرونق والمضاءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي -والمضاء وهو عقلي. وأبو الهيجاء: لقب عبد الله بن حمدان العدوي، والهيجاء: من أسماء الحرب.

واعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين، وأما العقلي فلا يلزمه كو ما عقليين؛ لأن الحسي يدرك بالعقل، خِلافًا للعقلي؛ فإنه لا يدرك بالحس.

فوجه الشبه «قِلّة الفائدة»، وليس منتزعا من متعدد.

٣- ومفصل: وهو ما ذُكر فيه وجه الشبه نحو: «طَبع فريدٍ كالنسيم رِقة»، «ويده كالبحر جوادا»، «وكلامه كالدر حسنا»، وكقول ابن الرّومي:

شبيهُ البدر حُسنا وضِياءً ومنالا وشبيهُ الغُصن لِينا وقَواما واعتدالا

٤- ومجمل: وهو ما ليس كذلك، نحو: «النحو في الكلام كالملح في الطعام»، وكقوله:

إنما الدنيا كبيتٍ نسجُه من عنكبوت

٥- وقريب مبتذلٌ: وهو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمل؛ لظهور وجهه بادئ بدءٍ.

وذلك: كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق والاستدارة.

وقد يتصرّف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة: كقول الشاعر:

لم تلْق هذا الوجه شمسُ نهارنا إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذَلٌ، ولكن حديثَ الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقَد يخرج مِن الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدة تشبيهات، كقول الشاعر:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ مُنضدٍ أو بَردٍ أو أقاح

أو باستعمال شرط، كقوله:

عزماته مثْلُ النجومِ ثَواقبا لو لم يكُن للثّاقبات أفُولُ

٦- وبعيد غريب: وهو ما احتاج (في الانتقال من المشبه إلى المشبه به) إلى فكر ودِقّة نظر؛ لخفاء وجهه في بادئ الرأي، كقوله:

والشمسُ كالمِرآة في كف الأشل

(فإن الوجه فيه: هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق؛ حتى ترى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض).

وحكْم وجه الشبه: أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه؛ وإلا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس: في أدوات التشبيه

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدل على معنى المشا ة، كالكاف، وكأنّ، ومثل، وشِبه، وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه «كالمضاهاة والمحاكاة، والمشا ة، والمماثلة، ونحو، وكذا ما يشتق من لفظي ماثَلَ وشابه، أو ما يرادفهما في المعنى».

وهي قد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه.

والأصل في (الكاف، ومثل، وشبه) أن يليها المشبه به(١).

والأصل في كأن، وشابه، وماثل -وما يرادفها) أن يليها المشبه، كقوله:

كأن الثريا راحةٌ تشـبرُ الـدجى ... لِتنظُر طال اللّيلُ أم قد تعرضـا

وكأن، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا نحو: «علي كالأسد»، وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقًا، نحو: «كأنّك فاهم» وكقوله:

كأنك مِن كل النفوس مركـب ... فأنت إلى كل النفـوس حبيـبُ

وقد يغني عن أداة التشبيه «فعلُ» يدل عليه، ولا يعتبر أداة؛ فإن كان الفعل لليقين؛ أفاد قُرب المشابهة، نحو: **فَلَما رأوهُ عارضا مُستقْبِلَ أودِيتهم قالُوا هذَا عارض مُمطِرُنا** (٢)، ونحو: «رأيت الدنيا سرابا غرارا».

وإن كان الفعلُ للشك؛ أفاد بعدها، نحو: **إِذَا رأيتهُم حسِبتهُم لُؤلُؤا منثُورا** (٣)، ونحو: «حسبت الفِيلَ جبلا»، وكقوله:

قَوم إذا لبسوا الدرُوع حسِـبتها ... سُـحُبا مـزردة علـى أقمـار

(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته إلى:

(أ) **التشبيه المؤكد:** وهو ما حذفت أداته، كقول الشاعر:

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركّبا، كقوله تعالى: **واضرب لَهُم مثَلَ الْحياةِ الدنيا كَماءٍ أنزلناهُ مِن السماءِ فَاختلَطَ بِهِ نباتُ الأرض فَأصبح هشِيما تذرُوهُ الرياحُ** [الكهف: ٤٥]، فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضار ا و جة روائها في المبدأ، وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئًا فشيئًا في الغاية، بحال النبات الذي يحسن من الماء، فتزهو خضرته، ثم ييبس شيئًا فشيئًا، ثم يتحطم فتطيره الرياح، فيصير كأنْ لم يكن شيئًا مذكورا.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٤.

(٣) سورة الإنسان: ١٩.

أنت نجـم في رفعـةٍ وضـياءٍ تجتليك العيونُ شـرقًا وغربـا

(ب) **التشبيه المرسل**[١]: وهو ما ذُكِرت فيه الأداة، كقول الشاعر:

إنمـا الـدنيا كبيـتٍ نسـجُه مـن عنكبـوت

ومن المؤكد (ما أُضِيف فيه المشبه به إلى المشبه)، كقول الشاعر:

والريح تعبثُ بالغُصون وقد جرى ذَهبُ الأصيل[٢] **على لُجينِ المـاء**

أي: أصيلٌ كالذهب على ماء كاللجين.

(ج) **التشبيه البليغ:** وهو ما حذِفَت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه[٣] كما في قوله:

فاقْضُوا مـآربكم عِجـالاً إنمـا أعمارُكم سـفر مـن الأسـفار

---

(١) وسمي مرسلاً؛ لإرساله عن التأكيد.

(٢) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، واللجين: الفِضّة.

(٣) ومن التشبيه البليغ: المصدر المضاف المبين للنوع، نحو: «راغَ روغان الثعلبِ»، ومنه أيضا: إضافة المشبه به للمشبه، نحو: «لبس فلان ثوب العافية»، كما ذكرناه.

المبحث السادس: في فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود «في أكثر المواضع» إلى المشبه - وهي إمّا:

١- **بيان حاله:** وذلك حينما يكونُ المشبه غير معروفِ الصفة قبل التشبيه؛ فيفُيده التشبيه الوصف، كقول الشاعر:

إذا قامــت لحاجتــها تثَنــت كــأنّ عِظامهــا مِــن خيــزُران

(شبه عِظامها، بالخيزران؛ بيانا لما فيها من اللين).

٢- **أو بيان إمكان حاله:** وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب؛ لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، كقوله:

ويلاهُ إنْ نظرت وإنْ هي أعرضت وقْعُ الســهام ونــزعُهن ألــيمُ

(شبه نظرها، بوقْعِ السهام، وإعراضها بنــزعها؛ بيانا لإمكان إيلامها بهما جميعا).

٣- **أو بيان مقدار حاله قوة وضعفًا:** وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة، كقوله:

كأن مِشيتها من بيــتِ جارتــها مر السحابِ لا ريثٌ ولا عجــلُ

وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة - وكقوله:

فيها اثنتــان وأربعــون حلوبــةً سُودا كخافيةِ الغُراب الأســحُمِ

(شبه النياق السود، بخافية الغراب؛ بيانا لمقدار سوادها).

٤- **أو تقرير حاله في نفس السامع:** بإبرازها فيما هي فيه أظهر؛ كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال، كقوله:

إن القُلــوب إذا تنــافَر وُدهــا مِثْلَ الزجاجةِ كَسرُها لا يُجبــرُ

(شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاجة؛ تثبيتا لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودّة).

٥- **أو بيان إمكان وجوده:** (وأنه ممكن الحصول)، كقوله:

فإنْ تفُق الأنــام وأنــت مِنــهُم فإنّ المِسك بعضُ دمِ الغــزال[1]

---

(١) أي أنه لا استغراب في فوقانك للأنام مع أنك واحد منهم؛ لأن لك نظيرا وهو المسك؛ فإنه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء -ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا -
=

٦- أو مدحه وتحسينه: كقول الشاعر:

كأنك شمس والملوكُ كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

٧- أو تشويهه وتقبيحه، كقول الآخر:

وإذا أشار محدثًا فكأنه قرد يُقهقهُ أو عجوز تلطم

٨- أو استطرافه (أي عدّه طَريفًا حديثًا) إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادة؛ كما في تشبيه فحم فيه جمر متّقد؛ ببحر من المسك موجه الذهب.

وإما لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه، كقوله:

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر[1]

=

والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة؛ بل يلمحان في التركيب؛ لإفادة أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن، نحو: والمؤمن مرآة المؤمن.

(١) الحمولة: ما يحمل فيه ويوضع. والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

تشبيه على غير طرقه الأصلية

(١) قد يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به، ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كقول المتنبي:

من يَهُن يسهُل الهوانُ عليهِ ... ما لجُرحٍ بميتٍ إيلامُ

(أي أن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم).

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

(٢) قد يعكس التشبيه؛ فيجعل المشبه مشبها به وبالعكس[1] فتعود فائدته إلى المشبه به؛ لادعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه، ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب)[2] أو المعكوس، نحو: «كأن ضوءَ النهار جبينه». ونحو: «كأنَ نشر الرّوض حسن سيرته»، ونحو: «كأنّ الماء في الصفاء طباعه»، وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصباح كأن غُرتَه ... وجهُ الخليفة حين يُمتدحُ

(١) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس: هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به؛ وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص، ويلحق الأصلُ بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جارٍ على خِلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور.

وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف، كقول البحتري:

في طَلْعة البدر شيء مِن محاسِنها ... وللقضيب نصيب مِن تثَنيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور، والقامات بالقضب، في الاستقامة والتثني، لكنه عكس ذلك مبالغة- هذا إذا أريد إلحاق كامل بناقص في وجه الشبه؛ فإنْ تساويا حسن العدولُ عن التشبيه إلى المشا ة؛ تباعدا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر.

(٢) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب (حسن التوسل) وسماه «تشبيه التفضيل»، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظًا أو تقديرا، ثم يعدل عن التشبيه؛ لادعاء أن المشبه أفضلُ مِن المشبه به، كقوله:

حسبتُ جمالها بدرا مُنيرا ... وأين البدرُ مِن ذاك الجمال؟

....

تنبيهات

(الأول) بعض أساليبِ التشبيه أقوى من بعض في المبالغة، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاث:

(أ) أعلاها وأبلغها: ما حذِف فيها الوجه والأداة نحو: «علي أسد»؛ وذلك إنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة، والتشابه في كل شيء بحذف الوجه، ولذا سمي هذا تشبيها بليغا[1].

(ب) المتوسطة: ما تحذف فيها الأداةُ وحدها، كما تقول: «علي أسد شجاعةً»، أو يحذف وجه الشبه، فتقول «علي كالأسد»، وبيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه، فلم تدع للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات، كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به، ولم تترك بابا للمبالغة.

(ج) أقلها ما ذُكر فيها الوجه والأداة؛ وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين.

(الثاني) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلاً، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء، وقد أتوا فيه بكل حسنٍ بديع، كقول ابن نباتة في وصف فرس أغرّ محجل.

وكأنما لطَمَ الصباحُ جبينَه ... فاقتص منهُ فخاض في أحشائهِ

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، وما أخلق مثل هذا بالاستكراه، وأحقه بالذم؛ لما فيه من القبح والشناعة؛ بحيث ينفر منه الطبع السليم.

(الثالث) علم مما سبق أن:

١- التشبيه المرسل - ما ذُكرت فيه الأداةُ.

٢- التشبيه المؤكد - ما حذفت فيه الأداة.

٣- التشبيه ا مل - ما حذف منه وجه الشبه.

٤- التشبيه المفصل - ما ذُكِر فيه وجه الشبه.

٥- التشبيه البليغ - ما حذفت منه الأداةُ، ووجه الشبه.

---

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب؛ فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر؛ كان ذلك أفعل في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التي يوضع فيها؛ فأضعف تلك الصور في المبالغة ما ذُكرت فيه أركان التشبيه جميعها نحو: «علي كالأسد شجاعةً»، وأقواها فيها ما حذِف فيه وجه الشبه وأداته مع ذِكْر المشبه، ويتوسط بين هذين الطرفين ما حذِفت فيه الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده.

(شبه غرة الصباح، بوجه الخليفة؛ إيهاما أنه أتم منها في وجه الشبه. وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع)، وكقوله تعالى حكاية عن الكفار **﴿إنما الْبيعُ مِثْلُ الربا﴾** [1] في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك؛ لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع؛ لأن الغرض الربح، وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع؛ فيكون أحق بالحِل عندهم.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

٦- التشبيه الضمني -تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة؛ بل يلمحان في التركيب.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن[2].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) كقوله:

لا تُنكري عطلَ الكريمِ من الغِنى ... فالسيلُ حرب للمكان العالي

أي لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى؛ فإن ذلك ليس عجبا؛ لأن قمم الجبال (وهي أعلى الأماكن) لا يستقر فيها ماء السيل «فها هنا يلمح الذكي تشبيها». ولكنه لم يضع ذلك صريحا؛ بل أتي بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان؛ فيكون هذا التشبيه على غير طُرقه الأصلية بحيث يورد التشبيه ضِمنا؛ من غير أن يصرح به، ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق شرحه.

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان في وجه الشبه؛ فيترك التشبيه ادعاءً بالتساوي دون الترجيح.

المبحث السابع: في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى: حسنٍ مقبولٍ، وإلى قبيحٍ مردود:

١- **فالحسنُ المقبول**: هو ما وفّى بالأغراض السابقة؛ بأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه، إذا كان الغرض بيانَ حال المشبه أو بيانَ المقدار. أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه، إذا قُصِد إلحاق الناقص بالكامل. أو أن يكونَ في بيان الإمكان مسلّم الحكم، ومعروفًا عند المخاطب، إذا كان الغرض بيانَ إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات؛ إذ هي جارية على الرشاقة سارية على الدقة والمبالغة.

٢- **والقبيحُ المردودُ**: هو ما لم يفِ بالغرضِ المطلوبِ منه؛ لعدم وجود وجهٍ بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

أسئلة يُطلب أجوبتُها

ما هو عِلْم البيان لغةً واصطلاحا؟ ما هو التشبيه؟ ما أركانُ التشبيه؟ طرفا التشبيه حِسيان أم عقليان؟ ما المراد بالحسي؟ ما هو التشبيه الخيالي؟ ما المراد بالعقلي؟ ما هو التشبيه الوهمي؟ ما وجه الشبه؟ ما هي أدوات التشبيه؟ الأصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه أم المشبه به؟ متى تفيد كأن التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ ما هو التشبيه الضمني؟ ما هو التشبيه المرسلُ؟ كم قسما التشبيه باعتبار طرفيه؟ كما قسما التشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسما التشبيه باعتبار وجه الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه ا مل؟ كم قسما التشبيه باعتبار الغرض منه؟

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد: في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصلٌ -المشبه «ثوبا» والمشبه به «الورد» وهما حسيان مفردان. والأداة «الكاف» ووجه الشبه «الحمرة» في كل، والغرض منه بيان حال المشبه.

ما الدهرُ إلا الربيعُ المســتنيرُ إذا   أتى الربيعُ أتاك النـورُ والنـورُ

فالأرضُ ياقوتـةٌ والجـو لؤلـؤةٌ   والنبتُ فـيرُوزج والمـاء بلـورُ

«**الأرض ياقوتة**» تشبيه بليغ مجمل. المشبه «الأرض». والمشبه به «ياقوتة»، وهما حسيان مفردان، ووجه الشبه محذوف، وهو «الخضرة». في كل. والأداة محذوفة.

والغرض منه تحسينه، «والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج، والماء بلور» كذلك، وفي البيت كُلّه تشبيه مفروق؛ لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر.

العُمر، والإنسانُ، والـدنيا هـو   كالظـل في الإقبـال والإدبـار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل. المشبه «العمر، والإنسان، والدنيا»، والمشبه به «الظل» والمشبه بعضه حسي وبعضه عقلي. والمشبه به حسي. والكاف الأداة، ووجه الشبه الإقبال والإدبار. والغرض تقرير حاله في نفس السامع.

كم نِعمةً مـرت بنـا وكأنهـا   فَرس يُهرول أو نسـيم سـاري

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه «نعمة»، والمشبه به «فرس يهرول، أو نسيم ساري»، وهما حسيان، «وكأن» الأداة، ووجه الشبه «السرعة في كل». والغرض منه بيانُ مقدار حاله.

ليـــلٌ وبـــدر وغُصـــن   شـــعر ووجـــه وقَـــد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف. المشبه «شعر» وهو حسي، والمشبه به «ليل» وهو عقلي، والأداة محذوفة، ووجه الشبه «السواد في كل»، والغرض منه بيان مقدار حاله.

وفي الثاني: المشبه «وجه» والمشبه به «بدر» وهما حِسيان. ووجه الشبه «الحسن في كل»، والأداة محذوفة، والغرض تحسينه.

وفي الثالث: المشبه «وقد» والمشبه به «غصن». وهما حسيان. ووجه الشبه «الاعتدال

في كل»، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره، هذا وإن شئت فقل: هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبها، والمشبه مشبها به؛ لغرض المبالغة؛ بأن تجعل الليل مشبها، والشعر مشبها به.

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى　　كعُنقودِ مُلاَّحِيـة حِـين نـورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه: هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة، والمشبه به: هيئة عنقود العنب المنور، والجامع: الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل، والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله.

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

الوردُ في أعلا الغُصـون كأنـهُ … مِلك تحف بـه سـراةُ جُنـودِهِ
إذا ارتجلَ الخِطاب بـدا خلـيج … بِفِيـه يمـده بحـرُ الكـلامِ
كَلام بـلْ مُـدام بُـلْ نِظـام … مِن الياقوتِ بلْ حـب الغمـامِ
يا صاحبي، تيقظـا مِـن رقـدةٍ … تُزري على عقْل اللبيبِ الأكْيس
هذِي ا ـرةُ والنجـومُ كأنهـا … نهر تـدفّق في حديقـةِ نـرجس
وكـأنّ الصـبح لمّـا … لاح مِـن تحـتِ الثريـا
مِلـك أقْبـلَ في التـا … جِ يُفـدى ويُحيـا
إنما النفسُ كالزجاجـة والعِلْـ … ـمُ سِراج وحِكمةُ اللـهِ زيـتُ
فـإذا أشـرقْت فإنـك حـي … وإذا أظلمـت فإنـك ميـتُ
وغير تقي يأمر النـاس بـالتقى … طبيب يُداوي الناس وهُو مريضُ
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشـفت … لهُ عن عدُو في ثيـابِ صـديق
جمرةُ الخَد أحرقَت عنـبر الخـا … ل فمِن ذلـك العـذارُ دخـانُ
كالبدر مِن حيثُ التفـت رأيتـهُ … يهدي إلى عينيك نُـورا كافيـا
وأشرق عن بِشرٍ هو النور في الضحى … وصافي بأخلاقٍ هي الطّل في الصبح

بلاغةُ التشبيه
وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثينَ

تنشأُ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله، وكلّما كان هذا الانتقال بعيدا قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال؛ كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجا ا واهتزازها.

فإذا قلت: «فلان يشبه فلانا في الطول»، أو : «إن الأرض تشبه الكرة في الشكل»، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة؛ لظهور المشا ة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهد أدبي، ولخلوها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح، وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذُك روعةُ التشبيه؛ حينما تسمع قول المعري يصف نجما:

يُسرِعُ اللمح في احمِرارٍ كما تُسـ ـرِعُ في اللمح مُقْلَةُ الغضـبان

فإن تشبيه لمحاتِ النجم وتألقِهِ مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان، من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

وكـأن النجُـوم بـين دُجاهـا سُـنن لاح بيـنهُن ابتِـداعُ

فإن جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر، وحذْقِه في عقد المشا ة بين حالتين -ما كان يخطر بالبال تشا هما، وهما: حالة النجوم في رقعة الليل، بحال السنن الدينية الصحيحة متفرقةً بين البِدعِ الباطلة.

ولهذا التشبيه روعة أخرى، جاءت من أن الشاعر تخيلَ: أن السنن مضيئة لماعة، وأن البدع مظلمةٌ قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بُليتُ بِلى الأطلال إنْ لم أقِف بِها وقُوف شحِيح ضاع في الترب خاتمُه

يدعو على نفسه بالبلى والفناء، إذ هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا ا، ثم أراد أن يصور لك هيئةَ وقوفه؛ فقال: كما يقف شحِيح فَقَد خاتمه في التراب، من كان يوفق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة، بحال شحيح فقد في التراب خاتمًا ثمينا؟

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافته، وبعد مرماه، ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها فمتفاوتة أيضا؛ فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذُكِرت أركانه جميعها؛ لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه عين المشبه به، ووجود الأداء، ووجه الشبه معا، يحولان دون هذا الادعاء؛ فإذا حذِفت الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلاً؛ لأن حذف أحد هذين يقوي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية. أما أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ»؛ لأنه مبني على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا، وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشهم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنـزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأماني الكاذبة بالأحلام، والوجه الصبيح بالدينار، والشعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللجين، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخيل بالريح والبرق، والنجوم بالدرر والأزهار، والأسنان بالبرد واللؤلؤ، والسفن بالجبال، والجداول بالحيّات الملتوية، والشّيب بالنهار، ولمَع السيوف وغُرة الفرس بالهلال، ويشبهون الجبان بالنعامة والذبابة، واللئيم بالثعلب، والطائش بالفراش، والذليل بالوتد، والقاسي بالحديد والصخر، والبليد بالحمار، والبخيل بالأرض ا دبة.

وقد اشتهر رجال من العرب بِخِلال محمودة؛ فصاروا فيها أعلاما؛ فجرى التشبيه م؛ فيشبه الوفي بالسموَءل[١]؛ والكريم بحاتم، والعادل بعمر[٢]، والحليم بالأحنف[٣]، والفصيح بسحبان، والخطيب بقس[٤]، والشجاع بعمرو بن معدِيكرِب، والحكيم بلقمان[٥]؛ والذكي بإياس.

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودي. يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق. هـ.

(٢) هو أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، وأحد السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.

(٣) هو الأحنف بن قيس. من سادات التابعين، كان شهما حليما عزيزا في قومه؛ إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون: لماذا غضب؟ توفي سنة ٦٧ هـ.

(٤) هو قس بن ساعدة الإيادي. خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٥) حكيم مشهور، آتاه الله الحكمة، أي: الإصابة في القول والعمل.

واشتهر آخرون بصفات ذميمة ، فجرى التشبيه م أيضا ؛ فيشبه الْعي بباِقِل[١] والأحمـق بِهبّنقَةَ[٢] والنادم بالكُسعِي[٣] البخيـل بمادر[٤] ، والهجاء بالحُطَيئَةِ[٥] والقاسي بالحجاج[٦].

(١) رجل اشتهر بالِعي؛ اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهمًا فسئل عن ثمنه؛ فمد أصابع كفيه يريد عشرة، وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال؛ فضرب به المثل في العي.

(٢) هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

(٣) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ؛ فغضِب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه، وعضّ على إ امه فقطعها.

(٤) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهورا بالبخل واللؤم.

(٥) شاعر مخضرم كان هجاء مرا، ولم يكد يسلم من لسانه أحد؛ هجا أمه وأباه ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٥ هـ.

(٦) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب، وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها، توفي بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ. عن البلاغة الواضحة.

الباب الثاني: في المجاز[١]

ا از مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه - سمّوا به اللفظَ الذي يعدلُ به عما يوجبه أصلُ الوضع - لأ م جازوا به موضعه الأصلي.

وا از من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى؛ إذ به يخرج المعنى متصفًا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع؛ لهذا شغفت العرب باستعمال ا از لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير؛ فيحصل للنفس به سرور وأريحية، ولأمر ما كثر في كلامهم؛ حتى أتوا فيه بكل معنى رائق؛ وزينوا به خطبهم وأشعارهم. وفي هذا الباب مباحث.

المبحث الأول: في المجاز وأنواعه

تعريفه:

ا از: هو اللفظُ المستعمل في غير ما وضِع له لعلاقة، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

والعلاقة[٢] بين المعنى الحقيقي والمعنى ا ازي قد تكون «المشا ة»، وقد تكون غيرها؛ فإذا كانت المشا ة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل.

والقرينة قد تكون «لفظية» وقد تكون «حالية» كما سيأتي.

وينقسم إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة، ومجاز مركب مرسل، ومجاز مركب بالاستعارة.

---

(١) أقول: إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل ا عليها؛ ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس، وهذا يقع ضرورة لابد منها؛ فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له؛ فإذا نقل إلى غيره صار مجازا.

وأنواع ا از كثيرة: أهمها «ا از العقلي». وقد تقدم الكلام عليه، وا از المرسل، وهو المقصود بالذات في هذا الباب.

(٢) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه، سميت بذلك؛ لأن ا يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول؛ فينتقل الذهن من الأول للثاني، وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك: «خذ هذا الكتاب» مشيرا إلى فرس مثلاً؛ إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

المبحث الثاني: في المجاز المفرد المرسل

ا از المرسل: هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة[١] غير المشا ة مع قرينة[٢] دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. وله علاقات كثيرة أهمها:

١- السببية: هي كون الشيء المنقول عنه سببا، ومؤثرا في غيره، نحو: «رعت الماشية الغيثَ»، أي النبات؛ لأن الغيث (أي المطر) سبب فيه[٣] وقرينته لفظية، وهي رعت؛ لأن العلاقة تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه.

٢- والمسببية: هي أن يكون المنقول عنه مسببا، وأثرا لشيء آخر، نحو: **وَيُنزِلُ لَكُم مِن السماءِ رِزقًا** [٤] أي مطرا يسبب الرزق.

---

(١) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ما وضِع له - وبتقييد القرينة بمانعة إلخ خرجت الكناية؛ فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي - والقرينة إما لفظية، أو حالية. فاللفظية هي التي يلفظ ا في التركيب، والحالية هي التي تفهم من حال المتكلم، أو من الواقع.

وأما القرينةُ التي تعين المراد من ا از فليست شرطًا.

(٢) سمي مرسلاً لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة؛ بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة -وليس المقصِد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة؛ فالفطن يرى ما يناسب كُل مقام. وقيل: سمّي مرسلا؛ لأنه أُرسِل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

(٣) كقول الشاعر:

لـه أياد على سابغة　　　أعد منها ولا أعددها

وكقوله:

قامت تُظللني من الشمس　　　نفس أحب إلـي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب　　　شمس تُظللني من الشمس

فائدة: القصد من العلاقة إنما هو تحقق الارتباط، والذكي يعرف مقال كل مقام. ثم إن العلاقة قيل: تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي، وقيل: تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه؛ لأنه المراد، وقيل: تعتبر من جهتها؛ رعاية لحقيهما.

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحًا بالنسبة إلى معنى واحد، لأن يكون مجازا مرسلاً، واستعارة باعتبارين.

(٤) سورة غافر: ١٣.

٣- والكُلية: هي كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره.

نحو: **يجعلُونَ أصابِعهُم فِي آذَانِهم** [١] أي أناملهم ، والقرينة حالية ، وهي استحالة إدخال الأصابع في الأُذُن.

ونحو: «شربت ماء النيل». والمراد بعضه، بقرينة: شربت.

٤- والجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر. نحو: «نشر الحاكم عيونه في المدينة»، أي الجواسيس؛ فالعيون مجاز مرسل، علاقته الجزئية، لأن كل عين جزء من جاسوسها- والقرينة: الاستحالة. وكقوله تعالى: **فَتحرِيرُ رقَبةٍ مُؤمِنةٍ** [٢].

٥- واللازمية: هي كون الشيء يجب وجوده، عند وجود شيء آخر. نحو: «طلع الضوء»، أي الشمس؛ فالضوء مجاز مرسل. علاقته اللازمية؛ لأنه يوجد عند وجود الشمس. والمعتبر هنا اللزوم الخاص، وهو عدم الانفكاك.

٦- والملزومية: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: «ملأت الشمس المكانَ»، أي الضوء؛ فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزومية؛ لأ ا متى وجدت وجد الضوء، والقرينة «ملأت».

٧- والآلية: هي كون الشيء واسطة لإيصال اثر شيء إلى آخر، نحو: **واجعلْ لِي لِسانَ صِدقٍ فِي الآخِرِين** [٣] أي ذِكْرا حسنا؛ فلسان بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل، علاقته الآلية؛ لأن اللسان آلة في الذكر الحسن.

٨- والإطلاق: هو كون الشيء مجردا من القيود، نحو قوله تعالى: **فَتحرِيرُ رقَبةٍ مُؤمِنةٍ** [٤] أي عتق رقبة مؤمنة؛ فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق؛ فإن المراد منها المؤمنة، وإطلاق الرقبة على جميع الجسم مجاز مرسل، علاقته الجزئية.

٩- والتقييد: هو كون الشيء مقيدا بقيد أو أكثر. نحو: «ما أغلظ جحفلة زيد» أي شفته. فجحفلة زيد: مجاز مرسل، علاقته التقييد؛ لأ ا مقيدة بشفة الفرس.

١٠- والعموم: هو كون الشيء شاملا لكثير، نحو قوله تعالى: **أم يحسُدُونَ**

(١) سورة البقرة: ١٩.
(٢) سورة النساء: ٩٢.
(٣) سورة الشعراء: ٨٤.
(٤) سورة ا ادلة: ٣.

الناس [١] أي «النبي ج» فالناس مجاز مرسل، علاقته: العموم، ومثله قوله تعالى: **الذين قالَ لَهُمُ الناسُ** [٢] فإن المراد من الناس واحد، نعيم بن مسعود الأشجعي.

١١- والخصوص: هو كون اللفظ خاصا بشيء واحد؛ كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو: «ربيعة، وقريش».

١٢- واعتبار ما كان: هو النظر إلى الماضي. نحو: **وآتوا الْيتامى أموالَهُم** [٣]، أي الذين كانوا يتامى، ثم بلغوا؛ فاليتامى مجاز مرسل، علاقته: اعتبار ما كان. ومثل هذا قول من شرب القهوة: «خذ الملئآن».

١٣- واعتبار ما يكون: هو النظر إلى المستقبل. نحو: «طحنت خبزا» أي حبا يؤول أمره إلى أن يكون خبزا؛ فخبزا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما يؤول إليه. ومثله **إني أراني أعصِرُ خمرا** [٤] أي عصيرا يؤول أمره إلى خمر؛ لأنه حال عصره لا يكون خمرا؛ فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.

ونحو: **ولا يلِدُوا إلا فاجِرا كفارا** [٥] والمولود حين يولد لا يكون فاجرا، ولا كفاراً؛ ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة؛ فأُطلق المولود الفاجر، وأُريد به الرجل الفاجر، والعلاقة: اعتبار ما يكون.

١٤- والحالية: هي كون الشيء حالاً في غيره. نحو: **فَفِي رحمةِ اللهِ هُم فِيها خالِدُونَ** [٦] المراد من الرحمة: الجنةُ التي تحل فيها الرحمة؛ فرحمة: مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله: «فلان جالس في سرور».

١٥- والمحلية: هي كون الشيء يحل فيه غيره، كقوله تعالى: **فَلْيدعُ نادِيَهُ** [٧] أي أهل ناديه، وكقوله تعالى: **يقُولُونَ بِأفْواهِهِم** [٨] والقول بالألسنة.

(١) سورة النساء: ٥٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.
(٣) سورة النساء: ٢.
(٤) سورة يوسف: ٣٦.
(٥) سورة نوح: ٢٧.
(٦) سورة آل عمران: ١٠٧.
(٧) سورة العلق: ١٧.
(٨) سورة آل عمران: ١٦٧.

١٦- والبدلية: هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاةَ﴾ (١) والمراد: الأداء.

١٧- والمبدلية: هي كون الشيء مبدلا منه شيء آخر، نحو: «أكلت دم زيد»، أي ديته؛ فالدم مجاز مرسل، علاقته المبدلية؛ لأن الدم مبدل عن الدية.

١٨- والمجاورة: هي كون الشيء مجاورا لشيء آخر، نحو: «كلّمت الجدار والعامود» أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان، علاقتهما المجاورة.

١٩- والتعلق الاشتقاقي: هو إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك:

أ - كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنع اللهِ الذي أتقَن كُل شيءٍ﴾ (٢) أي: مصنوعة.

ب- وكإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿ليس لِوقعتِها كاذِبةٌ﴾ (٣) أي: تكذيب.

ج- وكإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لا عاصِم اليوم مِن أمر اللهِ﴾ (٤) أي: لا معصوم.

د- وكإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجابا مستُورا﴾ (٥) أي: ساترا.

والقرينة على مجازية ما تقدم هي: ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

---

(١) سورة النساء: ١٠٣.

(٢) سورة النمل: ٨٨.

(٣) سورة الواقعة: ٢.

(٤) سورة هود: ٤٣.

(٥) سورة الإسراء: ٤٥.

نموذج

أبا المسك، أرجو منك نصرا على العدا وآمُلُ عِزا يخضب البيض بالدم(١)

ويوما يغيظ الحاسدين وحالة أقيمُ الشقا فيها مُقَام التنعم(٢)

(٢) قال الله تعالى: **لا عاصِم الْيوم مِن أمر اللهِ إلا من رحِم** (٣).

(٣) «ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء».

(٤) بنى إسماعيل كثيرا من المدارس بمصر.

تكادُ عطاياهُ يُجن جُنونُها إذا لم يُعوذْها بِرُقْيةِ طالب(٤)

الإجابة

(١) «عزا يخضب البيض بالدم».

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي؛ لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنه سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم؛ ففي العبارة مجاز عقلي علاقته السببية.

(٢) «ويوما يغيظ الحاسدين».

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي؛ غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ؛ ففي الكلام مجاز عقلي علاقته الزمانية.

(٣) **لا عاصِم الْيوم مِن أمر اللهِ** .

---

(١) أبو المسك: كنية كافور الإخشيدي، والبيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزا أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٢) يقول: وأرجو أن أبلغ بك يوما يغتاظ فيه حسّادي؛ لما يرون من إعظامك لقدري، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعم بشقائي في حر م.

(٣) سورة هود: ٤٣.

(٤) يعوذها: يحصنها، والرقية : العوذة، جمعها رقًى.

المعنى: لا معصوم[1] اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله؛ فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

(٤) «ذهبنا إلى حديقة غَنّاء».

غناء: مشتقة من الغن، والحديقة لا تغنّ، وإنما الذي يغن عصافيرها أو ذبا ا؛ ففي الكلام مجاز عقلي علاقته المكانية.

(٥) «بنى إسماعيل كثيرا من المدارس».

إسماعيل (أمير مصر) لم يبن بنفسه؛ ولكنه أمر؛ ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية.

(٦) «تكاد عطاياه يجن جنو ا».

إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي، علاقته المصدرية.

(١) يجوز أن تكون عاصم مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى: لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم؛ فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

إذا تأملت أنواع ا از المرسل والعقلي رأيت أ ا في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز؛ فإذا قلت: «هزم القائد الجيش» أو «قَرر ا لس كذا»؛ كان ذلك أوجز من أن تقول: «هزم جنود القائدِ الجيش»، أو «قرر أهل ا لس كذا» ولا شك أن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين ا ازين، هو المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصل والمعنى ا ازي، بحيث يكون ا از مصورا للمعنى المقصود خير تصوير، كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثر بالوشاية، والخُف والحافر على الجمال والخيل (في ا از المرسل). وكما في إسناد الشيء إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه (في ا از العقلي)؛ فإن البلاغة توجِب أن يختار السبب القوي، والمكان والزمان المختصان.

وإذا دققت النظر رأيت أن أغلب ضروب ا از المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثرٍ في جعل ا از رائعا خلابا؛ فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فَم»، تريد أنه شرِه يلْتقِم كل شيء، أو «فلان أنف»، عندما تريد أن تصفه بِعِظَمِ الأنف، فتبالِغَ فتجعله كله أنفًا.

ومما يؤثر عن بعض الأُدباء في وصف رجل أُنافِي[1] قوله: «لَست أدري: أهو في أنفِهِ، أم أنفه فِيهِ؟».

(١) الأنافي: عظيم الأنف، عن البلاغة الواضحة.

المبحث الثالث: في المجاز المفرد بالاستعارة

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في **اللغة من قولهم:** استعار المالَ إذا طلبه عاريةً.

وفي **اصطلاح البيانيين:** هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشا ة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا؛ لكنها أبلغُ منه[1] كقولك: «رأيت أسدا في المدرسة». فأصلُ هذه الاستعارة: «رأيت رجلاً شجاعا كالأسد في المدرسة»؛ فحذفت المشبه «رجلاً» والأداة «الكاف» ووجه التشبه الشجاعة وألحقته بقرينة المدرسة؛ لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا.

وأركان الاستعارة ثلاثة:

١- مستعار منه - وهو المشبه به.

٢- ومستعار له - وهو المشبه. ويقال لهما الطرفان.

٣- ومستعار - وهو اللفظ المنقول.

ولابد فيها من عدم ذِكْرِ وجه الشبه، ولا أداة التشبيه؛ بل ولابد أيضا من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي «بأن يكون اسم جنس أو علم جنس» ولا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي[2]؛ لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية؛ لأنّ

---

(١) فأصلُ الاستعارة تشبيه حذِف أحد طرفيه، ووجه شبهه وأداته -ولكنها أبلغ منه؛ لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة؛ فلابد فيه من ذكر المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما، وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني؛ فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة؛ ففيهما دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا يصدق عليهما لفظ واحد، فالاستعارة مجاز علاقته المشا ة.

واعلم أنّ حسن الاستعارة غير التخيلية لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه؛ وذلك بأن يكون وافيا بإفادة الغرض منه؛ لأ ا مبنية عليه؛ فهي تابعة له حسنا وقبحا.

(٢) يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به؛ ولذلك لا تكون علما؛ لأن الجنس =

نفس تصور الجزئي يمنع من تصور الشّركة فيه، إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفًا به يصحّ اعتباره كليا فتجوز استعارته؛ كتضمن «حاتم» للجود و«قُس» للفصاحة، فيقال: «رأيت حاتمًا وقسا» بدعوى كلية حاتم وقس، ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة؛ لأ ا تجدي الكلام قوة، وتكسوه حسنا ورونقًا، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

=

يقتضي العموم، والعلم ينافِي ذلك بما فيه من التشخص، إلا إذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر ا؛ (كسحبان) المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك؛ لأنه يستفيد الجنسية من الصفة، نحو: «سمعت اليوم سحبان». أي خطيبا فصيحا -وهلم جراً.

المبحث الرابع: في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكَرُ من الطرفين

إذا ذُكِر في الكلام لفظ المشبه به فقط؛ فاستعارة تصريحية أو مصرحة[١] نحو:

فأمطرت لؤلؤا من نرجِس وسقت ... وردا وعضت على العُناب بالبردِ

فقد استعار: (اللؤلؤ، والنّرجس، والورد، والعناب، والبرد)، (للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان).

وإذا ذُكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذِف فيه المشبه به، وأُشِير إليه بذكر لازمه المسمى تخييلا؛ فاستعارة مكنية[٢] أو بالكناية، كقوله:

---

(١) معنى تصريحية: أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه. ومعنى مكنية: أي مخفى فيها لفظ المشبه به؛ استغناء بذكر شيء من لوازمه؛ فلم يذْكَر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

(٢) أي: وهذا مذهب السلف، وصاحب الكشاف، وأما مذهب السكاكي: فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه -أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان». المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك: أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع - ندعي أن المشبه عين المشبه به؛ وحينئذ يصير للمشبه به فردان: أحدهما حقيقي، والآخر ادعائي. فالمنية مراد ا السبع؛ بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئًا آخر غير السبع، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع - وأنكر السكاكي التبعية بمعنى أ ا مرجوحة عنده، واختار ردها إلى قرينة المكنية ورد قرينتها إلى نفس المكنية؛ ففي «نطقت الحال» مثلا يقدر القوم أن نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها، وهو يقول: إن الحال استعارة بالكناية، ونطقت قرينتها.

وفي كلامه نظر من وجهين:

(الأول) أن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي؛ فلا يكون استعارة.

(الثاني) أنه قد صرح بأن (نطقت) مستعارة للأمر الوهمي، أي: المتوهم إثباته للحال، تشبيها بالنطق الحقيقي؛ فيكون استعارة، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية؛ فيلزمه القول بالتبعية - وأُجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات- وأما مذهب الخطيب: فإنه يقول: إن الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر أركانه، سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه، ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة؛ لأن الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضِع له لعلاقة المشا ة -أو استعمال اللفظ المذكور- والتشبيه غير ذلك؛ بل هو فعل في من أفعال النفس.

وإذا المنيــة أنشــبت أظْفَارهــا ... أَلفَيــت كــل تميمــة لا تنفَــعُ

فقد شبه المنية بالسّبع؛ بجامع الاغتيال في كل، واستعار السبع للمنّية، وحذفه، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار، على طريق الاستعارة المكنية الأصلّية، وقرينتها لفظه «أظفَار» ثم أخذ الوهم في تصوير المنية بصورة السبع؛ فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة «أظفار»: استعارة تخييلية؛ لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية، وقرينتها إضافتها إلى المنية.

ونظرا إلى أن الاستعارة التخييلية قرينةُ المكنية؛ فهي لازمة لها، لا تفارقها؛ لأنه لا استعارة بدون قرينة.

وإذًا تكون أنواع الاستعارة ثلاثة: تصريحية، ومكنية، وتخييلية.

=

(تنبيه) المشبه في مواد الاستعارة بالكناية؛ لا يجب أن يكون مذكورا بلفظ المشبه به -فيجوز ذِكْره بغير لفظه؛ كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون بأمرين: كاللباس والطعم المر البشع، ويستعمل لفظُ أحد الأمرين فيه، ويثبت له شيء من لوازم الآخر، كما في قوله تعالى: **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾** [النحل: ١١٢]. فإنه شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون، باللباس؛ لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه- وشبه ما غشي الإنسان عند الجوع «أي ما يدرك من أثر الضرر والألم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية» بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة؛ فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظرا إلى الأول، والمكنية نظرا إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلاً بالنسبة للمكنية، وتجريدا بالنسبة إلى المصرحة؛ لأ ا تلائِم المشبه وهو النحافة والاصفرار لأ ا مستعارة للإصابة، وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة، ويقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس، بجامع الاشتمال في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وطريق إجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر، بالطعم المر البشع، بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظُ المشبه به للمشبه، ثم حذِف وأُثبت له شيء من لوازمه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات الإذاقة تخييل. وطريق إجراء الثالثة أن يقال: شبهت الإذاقة المتخيلة بالإذاقة المتحققة، واستعيرت المتحققة للمتخيلة، على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكاكي.

المبحث الخامس: في الاستعارة باعتبار الطَّرفين(١)

إن كان المستعار له محققًا حسا؛ «بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن

(١) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة:
(الأول) مذهب السلف والخطيب وهو: أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوز إنما هو في الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية؛ فهما متلازمان، وهي من ا از العقلي.
(الثاني) مذهب السكاكي وهو: أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية (أي مستعارة لأمر وهمي) كأظفار المنية؛ وتارة تكون تحقيقية (أي مستعارة لأمر محقق) كقوله تعالى: **ابلَعِي ماءَكِ** [هود: ٤٤] وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل». فلا تلازم بين التخييلية والمكنية؛ بل يوجد كل منهما دون الآخر، وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله:

لا تسقنــي ماء الملام فإنني صب قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

فإنه قد توهم أن للملامة شيئًا شبيها بالماء، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية، وردّه العلامة الخطيب بأنه لا دليل له فيه؛ لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية؛ فيكون قد شبه الملام بشيء مكروه له ماء، وطوى لفظ المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الماء، على طريق التخييل. وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه والأصل: لا تسقني الملام الشبيه بالماء. وأيضا: لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف (أي الخروج عن الطريق الجادة)؛ لما فيه من كثرة الاعتبارات؛ وذلك أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي، واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي؛ فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.
(الثالث) مذهب صاحب الكشاف وهو: أن تكون تارة تحقيقية (أي مصرحة)، وتارة تكون تخييلية (أي مجازا في الإثبات).
(الرابع) مذهب صاحب السمرقندية وهو: مثلُ مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما: أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه، وعند صاحب السمرقندية على الإمكان وعدمه.
(تنبيه) الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلاً على مذهب السكاكي أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد - وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك - أو إثباته تخييلا على مذهب السلف وصاحب الكشاف في بعض المواد - وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، وبين ما يجعل زائدا عليها: قوة الاختصاص (أي الارتباط بالمشبه به)؛ فأيهما أقوى ارتباطًا به فهو القرينةُ، وما سواه ترشيح، وذلك كالنشب في قولك: «مخالب المنية نشبت بفلان»؛ فإن المخالب أقوى اختصاصا وتعلقًا بالسبع من النشب؛ لأ ا ملازمة له دائما بخلاف النشب.

يشار إليه إشارة حسية» كقولك: «رأيت بحرا يعطي».

أو كان المستعار له محققًا عقلا؛ بأن يمكن أن ينص عليه، ويشار إليه إشارة عقلية، كقوله تعالى: **اهدِنا الصراطَ المُستقيم** [1] أي: الدين الحق؛ (فالاستعارة تحقيقية).

وإنْ لم يكن المستعار له محققًا، لا حسا ولا عقلاً (فالاستعارة تخييلية)، وذلك كالأظفار في قولك: «أنشبت المنية أظفارها بفلان»؛ فإنه لما شبهت المنية بالسبع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنية صورة شبيهة بالأظفار؛ فشبهت الصورة المتخّيلة بالصورة المحققة، واستعير لفظ الأظفار من الصورة المحققة إلى الصورة المتخيلة، على طريق الاستعارة التخييلية، (وسميت تخييلية لأن إثبات الأظفار للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به) وحينئذ التخييلية لا تفَارق المكنية؛ لأ ا قرينتها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق. هذا إذا كان لازم المشبه في المكنية واحدا، أما إذا كانت اللوازم متعددة؛ فيكون أقواها لزوما قرينة لها، وما عداه ترشيح وتقوية لها، كما سيأتي.

(١) سورة الفاتحة: ٦.

المبحث السادس: في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١- إذا كان اللفظ المستعار «اسما جامدا لذات» كالبدر إذا استعير للجميل، «أو اسما جامدا لمعنى». كالقتل إذا استعير للضرب الشديد؛ سميت الاستعارة «أصلية».كقوله تعالى: **كِتاب أنزلناهُ إليك لِتخرج الناس مِن الظلُماتِ إلى النورِ** (١) وكقوله تعالى: **واخفِض لَهُما جناح الذل مِن الرحمةِ** (٢) وسميت أصلية؛ لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبرٍ أولاً.

٢- وإذا كان اللفظ المستعار فعلاً(٣)، أو اسم فعلٍ، أو اسما مشتقًا، أو حرفًا، أو

---

(١) إبراهيم: ١، يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى: شبهت الضلالة بالظلمة، بجامع عدم الاهتداء في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة، للمشبه وهو الضلالة، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

(٢) الإسراء: ٢٤، ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية: شبه الذل بطائر، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح.

(٣) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل: «نطقت الحال بكذا». وتقريرها أن يقال: شبهت الدلالة الواضحة، بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ونحو **ويُحيِي الأرض بعد موتِها** [الروم: ١٩] يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة، بالإحياء، بجامع الحسن أو النفع في كل، ويستعار الإحياء للتزيين، ويشتق من الإحياء (بمعنى التزيين) يحيي بمعنى يزين، استعارة تبعية؛ لجريا ا في الفعل تبعا لجريا ا في المصدر -هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث.

وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: **أتى أمرُ اللهِ** [النحل:١] فتقريرها أن يقال: شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي، بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل، واشتق منه أتى بمعنى يأتي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: **ونادى أصحابُ الجنةِ** [الأعراف: ٤٤] أي ينادى -شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي، بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي، ونحو قوله تعالى: **من بعثَنا مِن مرقَدِنا** [يس:٥٢] إن قدر المرقد للرقاد مستعارا للموت؛ فالاستعارة أصلية، وإن قدر لمكان الرقاد مستعارا للقبر؛ فالاستعارة تبعية؛ لأ ا في اسم المكان؛ فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت. ومثال الاستعارة في اسم الفاعل، «زيد قاتلٌ عمرا»، إذا كان عمرو مضروبا ضربا شديدا. ومثالها =

في اسم المفعول: «عمرو مقتول لزيد»: إذا كان زيد ضاربا لعمرو ضربا شديدا. وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول، بمعنى ضارب أو مضروب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثالها في الصفة المشبهة: «هذا حسن الوجه» مشيرا إلى قبيحه، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه القبح بالحسن، بجامع تأثر النفس في كل واستعير الحسن للقبح تقديرا، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية. ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل: «هذا أقتلُ لعبيده من زيد» أي أشد ضربا لهم منه. ومثال اسم الزمان والمكان: «هذا مقتلُ زيد» مشيرا إلى مكان ضربه، أو زمانه. ومثال اسم الآلة: «هذا مِفتاح الملك». مشيرا إلى وزيره، وإجراؤها أنْ يقال: شبهت الوزارة، بالفتح للأبواب المغلقة، بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير. ومثال اسم الفعل المشتق: «نزال» بمعنى انزل. تريد به ابعد؛ فتقول شبه معنى البعد بمعنى النــزول، بجامع مطلق المفارقة في كل، واستعير لفظ النــزول لمعنى البعد، واشتق منه نزال بمعنى ابعد. ومثال اسم الفعل غير المشتق: «صه» بمعنى اسكت عن الكلام. تريد به اترك فعل كذا؛ فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، وعبر بدل اسكت بصه. ومثال المصغر «رجيلٌ». لمتعاطي ما لا يليق. ومثال المنسوب قُرشِيّ للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم. ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرعونَ لِيكُونَ لَهُم عدُوا وحزنا** [القصص: ٨] وإجراؤها أن يقال: شبهت المحبة والتبني بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط، بجامع مطلق الترتيب، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة؛ لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا، وإنما استعملت مجازا لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوا؛ فاستعيرت العلة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مرتب على الالتقاط، ثم استعيرت اللام تبعا لاستعار ا؛ فالمستعار منه «العلة»، والمستعار له العاقبة، والترتب على الالتقاط هو الجامع، والقرينة على ا از استحالة التقاط الطفل ليكون عدوا وقوله تعالى: **ولأصلبنكُم فِي جُذُوع النخل** [طه: ٧١] وإجراؤها أن يقال: شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية، بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ (في) الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى (على) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق: يعجبني إراقة الضارب دم الباغي. وإجراء الاستعارة أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا، ثم حذف وأُثبت له شيء من لوازمه، وهو الإراقة، على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: أنت مطلوب

اسما مبهما، فالاستعارة «تصريحية تبعية».

٣- وإذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقًا، أو اسما مبهما «دون باقي أنواع التبعية المتقدمة» فالاستعارة «تبعية مكنية».

وسميت تبعية؛ لأن جريا ا في المشتقات، والحروف تابع لجريا ا أولاً في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف -يعني أ ا سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أُخرى؛ لأ ا في المشتقات تابعة للمصادر، وفي معاني الحروف تابعة لمتعلق معانيها؛ إذ معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كُلّي مستقل بالمفهومية؛ ليتأتى كو ا مشبها ومشبها ا، أو محكوما عليها، أو ا، نحو: «ركب فلان كتفي غريمه»[1] أي لازمه ملازمة شديدة.

وكقوله تعالى **أولئك على هُدى مِن ربهم** [2] أي: تمكنوا من الحصول على الهداية التامة ونحو: «أذقته لباس الموت»[3] أي: ألبسته إياه.

=

منك أن تسير إلينا الآن. شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب؛ فسرى التشبيه للجزئيات، واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناءً على ذلك. ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذُكِر المخاطب، ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه، وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخييل. واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة (أعني الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات) تبعية؛ لأ ا ليست باسم جنس لا تحقيقًا ولا تأويلا، ولأ ا لا تستقل بالمفهومية؛ لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء؛ ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم ا -كالإشارة الحسية والصلة والمرجع -فلابد أن تعتبر التشبيه أولا في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة -مثلا في استعارة لفظ (هذا) لأمر معقول، يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز، فيسري التشبيه إلى الجزئيات، فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئي، للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه؛ فهي تبعية. والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه ا، أو عكسه، فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق، فيسري التشبيه، فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

(١) يقال في إجرائها: شبه اللزوم الشديد، بالركوب، بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب، للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) البقرة: ٥، يقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط -بين مهدي وهدى- بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلًى عليه، بجامع التمكن في كل؛ فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات، ثم استعيرت (على) من جزء من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه، على طريق الاستعارة التصريحية التبيعة.

(٣) يقال في إجرائها: شبهت الإذاقة، بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة، واشتق منه ألبس بمعنى أذاق، =

تنبيهات

الأول: كل تبعية قرينتها مكنية.

الثاني: إذا أجريت الاستعارة في واحدة منهما؛ امتنع إجراؤها في الأخرى.

الثالث: تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في كل من الاستعارة التصريحية، والمكنية.

=

على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اللباس.

المبحث السابع: في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى: عنادية، ووفاقية

فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد؛ لتنافيهما.

والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد؛ لعدم التنافي.

مثالهما قوله تعالى: **أومن كانَ ميتا فَأحييناهُ** (١) أي ضالاً فهديناه؛ ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى: في قوله: «ميتا» شبه الضلال بالموت، بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل، واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال «ميتا» بمعنى «ضالا» وهي عنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية، وهي وفاقية؛ لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

ثم العنادية قد تكون تمليحية؛ أي المقصود منها التمليح والظّرافة، وقد تكون تهكمية؛ أي المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يستعمل اللفظ في ضد معناه، نحو: «رأيت أسدا» تريد جبانا، قاصدا التمليح والظّرافة، أو التهكم والسخرية، وهما اللتان نزّل فيهما التضاد منـزلة التناسب، نحو: **فَبشرهُم بِعذَابٍ أَلِيمٍ** (٢) (استعيرت البشارة التي هي الخبر السار) للإنذار (الذي هو ضده) بإدخال الإنذار في جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٢١.

المبحث الثامن: في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان[١]:

(١) ينقسم الجامع إلى داخل، وخارج فالأول: ما كان داخلاً في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: **وقطعناهُم في الأرض أمما** [الأعراف: ١٦٨] فاستعير التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض، لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض، والجامع إزالة الاجتماع، وهي داخلة في مفهومها، وهي في القطع أشد، والثاني: وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين، نحو: «رأيت أسدا» أي رجلا شجاعا؛ فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد، لا داخل في مفهومه. وتنقسم أيضا باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام؛ لأن الطرفين إما حسيان أو عقليان (أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس)، والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسيا، وتارة يكون عقليا، وأخرى مختلفًا، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقليا. مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى: **فأخرج لهُم عِجلا جسدا لهُ خُوار** [طه: ٨٨]، فإن المستعار منه وهو «ولد البقرة»، والمستعار له وهو المصوغ من حلي القبط بعد سبكها بنار السامري وإلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه، والجامع الشكل، فإنه كان على شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر. «وبحث بعضهم بأن إبدال جسدا من عجلاً يمنع الاستعارة». ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلي، قوله تعالى: **وآيةٌ لهُمُ الليلُ نسلخُ مِنهُ النهار** [يس: ٣٧] فإن المستعار منه أعني «السلخ» وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها، والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل، وهو: موضع إلقاء ظله: حسيان، والجامع: ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه، كترتب ظهور اللحم على الكشط، وترتب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل، والترتيب عقلي، وإجراء الاستعارة: شبه كشف الضوء عن الليل، بكشط الجلد عن لحم الشاة، بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو السلخ، للمشبه وهو كشف الضوء، واشتق منه نسلخ. بمعنى نكشف، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي، قولك: «رأيت بدرا يتكلم»؛ تريد شخصا مثل «البدر» في حسن الطلعة، وعلو القدر، فحسن الطلعة حسيّ، وعلو القدر عقلي. ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين، ولا يكون الجامع فيه إلا عقليا كباقي الأقسام، قوله تعالى: **من بعثنا مِن مرقدِنا** [يس: ٥٢]. فإن المستعار منه «الرقاد» أي النوم، والمستعار له «الموت»، والجامع بينهما «عدم ظهور الفعل»، والجميع عقلي، وإجراء الاستعارة: شبه الموت بالنوم، بجامع عدم ظهور الفعل في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. وقال بعضهم: عدم ظهور الفعل في الموت أقوى، وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى؛ فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر، وقرينة الاستعارة: أن هذا الكلام كلام الموتى، مع قوله **هذا ما وعد الرحمنُ وصدق**

الْمُرسلُونَ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال: شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل في كل، واستعير الرقاد للموت؛ واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا، والمستعار له عقليا، قوله تعالى: **فَاصدع بِما تُؤمَرُ** [الحج: ٩٤] فإن المستعار منه «كسر الزجاجة»، وهو أمر حسي، والمستعار له التبليغ جهرا، والجامع التأثير (أي أظهر الأمر إظهارا لا ينمحي، كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم). وإجراء الاستعارة: شبه التبليغ جهرا، بكسر الزجاجة، بجامع التأثير الشديد في كل، واستعير المشبه به وهو الصدع للمشبه وهو التبليغ جهرا واشتق منه «اصدع». بمعنى «بلغ جهرا» على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا، والمستعار له حسيا. قوله تعالى: **إنا لما طغى الماءُ حملْناكُم فِي الْجارِيةِ** [الحاقة: ١١] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي، والمستعار منه التكبر، والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان. وإجراء الاستعارة: شبهت كثرة الماء المفرطة، بمعنى الطغيان (وهو مجاوزة الحد) بجامع الاستعلاء المفرط في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة، واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(تنبيه) الاستعارة المكنية تنقسم أيضا إلى: أصلية، وتبعية. وإلى: مرشحة، ومجردة، ومطلقة، كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك.

فالمكنية الأصلية: هي ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق كالسبع المتقدم.

والتبعية: هي ما كان المستعار فيها اسما مشتقًا؛ فلا تكون في الفعل، ولا في الحرف، ومثالها في الاسم المشتق: يعجبني إراقة الضارب دم الظالم، فقد شبه الضرب الشديد، بالقتل، بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإراقة، على طريق الاستعارة المكنية التبعية- فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هي نفْس إثبات اللازم المستعمل في حقيقته وهي مِن ا از العقلي، وإنما سميت استعارة، لأنه استعير ذلك الإثبات من المشبه به للمشبه وسميت تخييلية، لأن إثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به، فقولنا: «أظفار المنية نشبت بفلان» لفظ «أظفار» في هذا التركيب مستعمل به حقيقته «وإنما التجوز في إثباته للمنية» أي أن ذلك الإثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له؛ فعند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية؛ لأ ا قرينتها.

والاستعارة المكنية المرشحة: هي ما قُرنت بما يلائم المشبه به فقط، نحو: «نطق لسان الحال بكذا» شبهت «الحال» بمعنى الإنسان، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان»، وإثبات اللسان للحال تخييل، وهو القرينة، والنطق ترشيح؛ لأنه يلائم المشبه به فقط.

والمكنية ا ردة: هي ما قُرنت بما يلائم المشبه فقط نحو: «نطقت الحال الواضحة بكذا»؛ فالوضوح تجريد؛ لأنه يلائم المشبه - الذي هو إنسان - فقط.

والمكنية المطلقة: هي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه، ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمها معا،

١- عامية: وهي القريبة المُبتذلة التي لاكتها الألسن؛ فلا تحتاج إلى بحث، ويكون الجامع فيها ظاهرا، نحو: «رأيت أسدا يرمي».

٢- خاصية: وهي الغريبةُ التي يكون الجامع فيها غامضا، لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص، كقول كُثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

غَمر الرداء إذا تبسـم ضـاحكًا غلقت لضحكته رقـابُ المـال

غَمر الرداء «كثير العطايا والمعروف» استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقَى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب؛ لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

وهذه الاستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلا ذوو الفِطَر السليمة والخبرة التامة.

=

نحو: «نطقت الحال بكذا» «ونطق لسان الحال الواضحة بكذا».

ففي الأول: شبهت الحال بإنسان، واستعير لها اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق، وإثبات النطق للحال تخييل، وهي مجردة؛ لأ ا لم تقترن بشيء يلائمها.

وفي الثاني: شبهت الحال بإنسان، واستعير له اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثباته للحال تخييل، وهو القرينة، والنطق ترشيح؛ لأنه يلائم المشبه به، والوضوح تجريد؛ لأنه يلائم المشبه، ولما تعارضا سقطا.

وتنقسم المكنية أيضا إلى: عنادية، نحو: «أنشبت المنية أظفارها بفلان»؛ لأنـه لا يمكـن اجتمـاع طرفيها في شيء واحد يكون منية وسبعا، ووفاقية، نحو: «نطقت الحال بكذا»؛ لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد كالحال مع الإنسان.

المبحث التاسع: في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلائِمات وعدم اتّصالها

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر «ملائم المستعار منه»، أو اعتبار ذكر «ملائم المستعار له»، أو عدم اقترا ا بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام: مطْلَقة، ومرشحة، ومجردة.

(أ) فالمطْلقة: هي التي لم تقترن بملائم أصلاً، نحو: **ينقُضُونَ عهد اللهِ** (١).

أو ذُكر فيها ملائمهما معا، كقول زهير:

لدي أسدٍ شاكي السلاح مُقذّفٍ ... له لبد أظفاره لم تُقلَّم

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذَكر ما يناسب المستعار له في قوله: «شاكي السلاح مقذّف» وهو التجريد، ثم ذَكر ما يناسب المستعار منه في قوله: «له لبد أظفاره لم تقلّم» وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما؛ فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء، وتكون في رتبة المطلقة.

(ب) والمُرشحة: هي التي قُرنت بملائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو: **أولئك الذين اشتروُا الضلالةَ بالهُدى فَما ربحت تجارتُهم** (٢).

استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة، ونحو: «من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته» وسميت مرشحة؛ لترشيحها وتقويتها بذِكْر المُلائِم.

(ج) وا ردة: هي التي قُرنت بملائم المستعار له (أي المشبه) نحو: رأيت بحرا على فرس يعطِي، فيعطي تجريد؛ لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم. ونحو: «اشتر بالمعروف عِرضك مِن الأذى» وسميت بذلك؛ لتجريدها عن بعض المبالغة؛ لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بعد؛ وذلك ببعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة.

ثم اعتبار الترشيح والتجريد: إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية؛ فلا تعد قرينة المصرحة تجريدا، ولا قرينة المكنية ترشيحا؛ بل الزائد

(١) سورة الرعد: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ١٦.

على ما ذُكر.

واعلم أن الترشيح أبلغُ من غيره؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه، لا شيء شبيه به، وكأنّ الاستعارة غير موجودة، والإطلاق أبلغ من التجريد؛ فالتجريد أضعف الجميع؛ لأن به تضعف دعوى الاتحاد، وإذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة؛ إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله.

وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضا في المكنية.

المبحث العاشر: في المجاز المرسل المركَّب

ا ـاز المُرسل المركب هو: الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشا ـة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

ويقع أولاً في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء، وعكسه؛ لأغراض كثيرة منها: التحسر وإظهار التأسف كما في قول الشاعر:

ذَهب الصـبا وتولـت الأيـامُ فعلى الصبا وعلى الزمان سـلامُ

فإنه وإن كان خبرا في أصل وضعه، إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسر والتحزن على ما فات من الشباب، والقرينة على ذلك الشطر الثاني؛ وكقول جعفر بن علبة الحارثي:

هواي مع الركب اليمانين مُصعدُ جنيب وجُثمـاني بمكـة مُوثـقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي ألم به من فراق الأحبة، ويتحسر على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك «حال المتكلم».

ومنها إظهار الضعف في قوله:

رب إني لا أسـتطيع اصـطبارا فاعفُ عني يا من يقبـلُ العِثـارا

ومنها إظهار السرور، نحو: «كُتِب اسمي بين الناجحين».

ومنها الدعاء، نحو: «نجّح الله مقاصِدنا» أيها الوطن، لك البقاء.

وثانيا في المركبات الإنشائية -كالأمر، والنهي، والاستفهام- التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستعملت في معان أُخر، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كَذَب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**».

إذ المراد «يتبوأ مقعده» والعلاقة في هذا السببية والمسببية؛ لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تتضمنه، فظاهره أمر، ومعناه خبر.

المبحث الحادي عشر: في المجاز المركَّب[١] بالاستعارة التمثيليّة

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية:

هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي؛ بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد؛ وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين (من أمرين أو أمور) بأخرى، ثم تدخِل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه، ويسمى بالاستعارة التمثيلية[٢] نحو: «الصيف ضيعتِ اللبن» يضرب لمن فرّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصولُ عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصولُ عليه[٣] فيه. ونحو: «إني أراك تقَدم رِجلاً وتؤخر أُخرى» يضرب لمن يتردد في أمر؛ فتارة يقدِم، وتارة يحجِم، ونحو: «أحشفًا وسوءَ كِيلة»، يضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله: أن رجلاً اشترى تمرا من آخر فإذا هو رديء، وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك. ومثل ما تقدم جميع الأمثال السائرة نثرا ونظما.

فمن الأول: قولهم لمن يحتال على حصول أمرٍ خفي، وهو متستر تحت أمرٍ ظاهر:

---

(١) المجاز المركب: هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة؛ للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا، إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد؛ لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات؛ ولذلك كانا غرض البلغاء.

(٣) أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل. وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يقال: شبهت هيئةُ من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن، ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء، بجامع التفريط في كل، استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال: شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله، بهيئة من يتردد في الدخول؛ فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها، بجامع الحيرة في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثالث: شبهت هيئةُ من يظلم من وجهين، بهيئة رجل باع آخر تمرا رديئًا وناقص الكيل، بجامع الظلم من وجهين في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به، للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

«لأمر ما جدع قَصير أنفَه»، وقولهم: «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها»، وقولهم لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه: «اليد لا تصفق وحدها»، وقولهم اهد عاد إلى وطنه بعد سفَر: «عاد السيف إلى قِرابه، وحل الليث منِيع غابه»، وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: «قَطَعت جهيزة قَولَ كل خطيبٍ».

ومن الثاني قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

إذا قالت حذَامِ فصدقوها فإن القولَ ما قالت حذَامِ

متى **يبلغُ البنيانُ يوماً** تمامَه **إذا كُنت تبنيهِ وغيرُك يهدمُ**[1]

وإذا فشت، وشاعت الاستعارة التمثيلية[2]، وكثُر استعمالها، تكون مثلا لا يغير مطلقًا؛ بحيث يخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإن لم يطابق المضروب له؛ ولذا كانت هذه الاستعارة محط أنظار

(١) وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شبهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية؛ لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

(٢) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية، وتخييلية -فالتحقيقية: هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا، كما في الأمثلة السابقة - والتخييلية: هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن؛ وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى: **إنا عرضنا الأمانةَ على السماواتِ والأرض والجِبال فَأبين أنْ يحمِلْنها وأشفَقْن مِنها** [الأحزاب: ٧٢]، على احتمال فيها؛ فإنه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقية؛ بل هذا تصوير وتمثيل؛ بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء ا، بحال أ ا عرضت علي هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها، فامتنعن وخِفْن من حملها، بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، استعارة تمثيلية، ونحو قوله تعالى: **فَقَالَ لَها وللأرض اِئْتِيا طَوعا أو كَرها قَالَتا أتينا طَائِعِين** [فصلت: ١١]، فإن معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد؛ فالغرض تصوير تأثير قُدرته فيهما وتأثرهما عنها، وتمثيل ذلك بحالة الأمر المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فرضا وتخييلاً من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشاف. فارجع إليه.

البلغاء، لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكا ا؛ فهي أبلغ أنواع ا از مفردا أو مركبا؛ إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة؛ ومن ثَمّ كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته؛ حتى كثُرا في القرآن كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه؛ لأ ا تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره، وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة (المرشحة)؛ لِذِكْر ما يناسب المستعار منه فيها، بناءً على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم تليها (المطلقة)؛ لترك ما يناسب الطرفين فيها، بناءً على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها (ا ردة)؛ لِذِكْر ما يناسب المستعار له فيها، بناءً على تشبيهه بالمستعار منه.

ولابد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه؛ كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافيا بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظًا. ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا؛ لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازا.

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ما هي الاستعارة؟ ما أركا ا؟ كم قِسما الاستعارة باعتبار ذِكْر الطرفين (المشبه به والمشبه)؟ ما أصلُ الاستعارة؟ ما هي الاستعارة التصريحية؟ كم قِسما الاستعارة التصريحية؟ كم قِسما الاستعارة باعتبار ذِكر ملائم المستعار له، والمستعار منه؟ ما هي الاستعارة المرشحة؟ ما هي الاستعارة ا ردة؟ ما هي الاستعارة المطْلقة؟ كم قِسما الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفَيها في شيء؟ ما هي الاستعارة الوِفاقية؟ ما هي الاستعارة العِنادية؟ كم قِسما الاستعارة باعتبار الجامع؟ ما هي العامية؟ ما هي الخاصية؟ ما هي التمليحية؟ ما هي التهكمية؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع حسي؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلي؟ ما مثال الطرفيين الحسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي؟ ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي؟ ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي؟ ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الكسائي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟ كم قسما الاستعارة بالكناية؟ ما هي المكنية الأصلية؟ ما هي المكنية التبعية؟ ما هي الاستعارة التخييلية عند الجمهور؟ لم سميت استعارة؟ لم سميت تخييلية؟ ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟ ما هي الاستعارة المكنية ا ردة؟ ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟ كم قِسما المكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ ما هي العنادية؟ ما هي الوفاقية؟ ما هو ا از المركب؟ ما هي الاستعارة التمثيلية؟ ما هو ا از المركب بالاستعارة؟ ما هي محسنات الاستعارة؟

تمرين على كيفية إجراء الاستعارات

فسمونا والفجرُ يضحكُ في الشر ... ق إلينا مُبشرا بالصباح[١]

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حلّ بنابه[٢]

لسنا وإنْ أحسابُنا كَرُمت ... يوما على الأحسابِ نتكلُ[٣]

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له ... إنّ الحياةَ دقائق وثوان[٤]

بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعي ... عقيقًا فصار الكُل في نحرها عِقدا[٥]

«إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب»[٦].

ذم أعرابي رجلاً فقال: «يقطع اره بالمنى، ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى»[٧].

إجابة التمرين

(١) شبه الفجر بإنسان يتبسم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة، والقدر المشترك بينهما: البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخييلية.

(٢) شبّه حوادث الدهر بالعض، بجامع التأثير والإيلام من كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر عض بمعنى آلم، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح.

(٣) في كلمة «على». استعارة تصريحية تبعية؛ فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كل، ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات الأول - لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية.

(٤) شبّه الدلالة بالقول، بجامع إيضاح المراد في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة «قائل» بمعنى دال، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

(٥) شبه المتساقط مِن فيها باللؤلؤ، بجامع البياض والاتساق في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق، بجامع الحمرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، والقرينة كلمتا بكت، وفاضت، وذكر العقد ترشيح.

(٦) شبه التواد بالتقارب، بجامع الألفة في كل منهما، ثم استعير التقارب للتواد، واشتق منه تقارب بمعنى تواد، والقرينة كلمة القلوب، وهي استعارة مطلقة.

(٧) شبه المنى بسكين قاطع، بجامع الإجهاز وإ اء المقطوع في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به =

قَوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهُـم طاروا إليه زرافاتٍ ووحـدانا[1]

جـاء الشـتاء واجثـأل القُبـرُ وطلعت شمس عليهـا مِغفَـرُ[2]

سـأبكيك للـدنيا وللـدين إن أبت يدُ المعروف بعدك شُـلّت[3]

وإنك لَعلى خُلُق عظِيمٍ [4].

سقَاهُ الردى سـيف إذا سُـل أو إليه ثَنايا الموت مِن كل مرقَـدِ[5]

=

للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو يقطع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصـلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية. وكذا شبه الهم بإنسان، واستعار اللفظ الدال على المشـبه بـه للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الذراع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصـلية المرشحة، والقرينة كلمة الذراع، ويتوسد ترشيح.

(١) شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر على أنيابه، بجامع الاستعداد للهجوم في كـل، واسـتعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان، على طريق الاستعارة المكنية المرشحة، والقرينة كلمة ناجذيه، وكلمة أبدى ترشيح، ثم شبه مشيهم بالطيران، بجامع السرعة في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة، والقرينة إسناد الطيران إليهم.

(٢) شبه السحاب الذي يستر الشمس، بالمغفر الذي يستر الرأس، بجامع الستر في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، والقرينة كلمة شمس.

(٣) شبه المعروف بإنسان له يد تعطي، والجامع الإعطاء في كل منهما، وحذفه ورمز إليه بشيء مـن لوازمه وهو اليد، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمـة اليـد، وهـي الاستعارة التخييلية، وشلت ترشيح.

(٤) القلم: ٤، شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها، بـتمكن من علا دابة يصرفها كيف شاء، بجامع التمكن والاستقرار في كل، فسرى التشبيه من الكليـات للجزئيات التي هي معاني الحروف؛ فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسـي، للارتبـاط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٥) شبه لحاق الموت به، بالسقي، بجامع الوصول في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقي «سقى» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك نسبة السقي

=

١٣- **سنفرُغُ لكُم أيها الثقَلان** [(١)].

١٤- **إنا لنراك في ضلالٍ مُبين** [(٢)].

فتى كُلما فَاضت عُيُـونُ قبيلـةٍ   دما ضحِكت عنه الأحاديث والذكرُ[(٣)]

=

إلى الردى، وأيضا قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء، والجـامع البريـق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والثنايا استعارة تخيلة، وأومض ترشيح.

(١) [الرحمن: ٣١] شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو «نفرغ» علـى سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة حالية.

(٢) [الأعراف: ٦٠] في كلمة في استعارة تصريحية تبعية؛ فقد شبهت (في) التي تدل على الارتبـاط (بفي) التي تدل على الظرفية، بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيـات، فاستعيرت (في) من الثاني للأول، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

(٣) شبه العيون بالنهر، بجامع الصب الكثير في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الأصلية المكنيـة، وفـاض قرينتها، وهي الاستعارة التخييلية، وكذا شبه السرور والأريحية، بالضحك، بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضـحك بمعـنى السرور ضحك بمعنى سر، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

«**رأيت أسدا** في **الحمام**» شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل، واستعير الأسد للرجل الشجاع، على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية.

«**رأيت قُسا اليوم**» شبه الرجل الفصيح «بقس بن ساعدة»، بجامع الفصاحة في كل، واستعير «قس» للرجل الفصيح، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

«رأيت حاتمًا اليوم» شبه الرجل الكريم «بحاتم الطائي»، بجامع الكرم في كل، واستعير «حاتم» للرجل الكريم، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

«**نطقت حالك بنجابتك**» شبهت الدلالة الواضحة بالنطق، بجامع الإيضاح في كل، واستعير «النطق» للدلالة الواضحة، واشتق من (النطق) بمعنى الدلالة الواضحة (نطقت) بمعنى دلت، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وسميت تصريحية، للتصريح فيها بلفظ المشبه به، وتبعية؛ لأن جريا ا في الفعل تابع لجريا ا في المصدر.

وُيحيِي الأرض بعد موتها (١) شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر، بالإحياء، بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع، واشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين، على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية.

قَلْـبي يُحـدثني بأنـك مُتلفـي ... رُوحي فِداك عرفت أم لم تعـرفِ

فيه استعارة تمثيلية؛ فإنه شبه هيئته القائمة به مِن الذوق الوجداني، يئة من جرى على لسانه ذلك مِن عشاق الأشباح، بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل، واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية:

تصرمت مِنـا أويقـاتُ الصـبا ... ولَم تجد مِـن المشـيب مهربـا

فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية؛ فإن هذا الكلام سبب في التحسر، أو الملزومية، لأن الإخبار ذا مستلزم للتحسر.

ولئن نطقتُ بشُكْرِ برك مُفصِحا ... فلسانُ حالي بالشـكاية أنطـقُ

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة «حال»؛ شبهت الحال بإنسان متكلم، بجامع الدلالة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحذف ورمز إليه بشيء من

---

(١) سورة الروم: ١٩.

لوازمه وهو «اللسان»، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات «اللسان» للحال تخييل، والنطق ترشيح، وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق؛ شبهت الدلالة بالنطق، واستعير لها اسمه، واشتق منه «أنطق» بمعنى أدل، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، واللسان ترشيح، وهي وفاقية؛ لإمكان اجتماع طرفَيها اللذين هما «النطق، والدلالة» في شيء واحد.

فإنْ تعـافُوا العـدلَ والإيمانـا فـ ـإنّ في أيمانِنـ ـا نيرانـ ـا

فيه استعارة مكنية أصلية في «العدل» و«الإيمانا»؛ فإنه شبه «العدل»، «الإيمان» بشيء كريه يعاف، بجامع كراهة النفس لكل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «تعافوا»، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات «تعافوا» للعدل و«الإيمان» تخييل، وفي «نيرانا» استعارة تصريحية أصلية؛ شبهت السيوف القاطعة بالنيران، بجامع الضرر في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وتسلطُ قوله: «تعافوا» على كل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف.

أومن كانَ ميتا فأحييناهُ (١) أي ضالاً فهديناه، فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان. الأولى عنادية، والثانية وفاقية.

ففي الأولى -شبه الموت بالضلال، بجامع عدم النفع في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، واشتق منه «ميتا» بمعنى «ضالا»، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي الثانية -شبه الهدى بالإحياء، بجامع النفع في كل، واستعير الإحياء للهدى، واشتق منه «أحيا» بمعنى «هدى»، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية؛ لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

ينقُضُونَ عهد اللهِ (٢) شبه إبطال العهد، بفك طاقات الحبل، بجامع عدم النفع في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو «النقض»، للمشبه وهو «الإبطال»؛ واشتق منه «ينقضون» بمعنى «يبطلون» على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة؛ لأ ا لم تقترن بشيء.

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.
(٢) سورة الرعد: ٢٥.

لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقذفٍ ... لــه لِبــد أظفــارهُ لم تُقلّــم

شبه الرجل الشجاع بالأسد، واستعار الأسد للرجل الشجاع، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة؛ لاقترا ا بما يلائم المشبه، وبما يلائم المشبه به؛ فإن شاكي السلاح يناسِب المشبه، وما بعده يناسب المشبه به، والقرينة حالية (أي أ ا تفهم من حالة المتكلم).

فــوق خــد الــوردِ دمــع ... مِن عُيـون السـحبِ يـذْرفُ

بِــرداء الشــمس أضــحى ... بعــد مــا أنْ ســال يُجفَــفُ

شبه الورد بإنسان جميل، بجامع الحسن في كل، وحذف المشبه به «إنسان» ورمز إليه بشيء من لوازمه «خد»، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة هي إضافة خد للورد، وشبه السحاب بإنسان، بجامع النفع في كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة إثبات العيون للسحب، وشبهت الشمس بامرأة حسناء، بجامع الجمال في كل استعارة مكنية أصلية مجردة، والقرينة هي إثبات رداء للشمس، ويقال للقرينة في الجميع: «استعارة تخييلية».

أثمــرت أغْصــانُ راحتِــه ... لجنــاة الحســن عُنابــا

شبهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة هي إثبات جناة للحسن، وهي استعارة تخييلية.

إِذَا نزلَ السماءُ بـأرض قَـومٍ ... رعينــاهُ وإنْ كَــانوا غِضــابا

«السماء» بمعنى المطر، مجاز مرسل، علاقته السببية، أو المحلية، والقرينة هي «نزل».

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين: الأولى: طريقة تأليف ألفاظه.

والثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعدادا سليما في تعرف وجوهِ الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قُدرة على ربط المعاني، وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين الناحيتين؛ فبلاغتها من ناحية اللفظ: أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمِلُك عمدا على تخيلِ صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفيٍ مستور.

انظر إلى قول البحتري في الفتح بن خاقان:

يسمُو بكَفٍ على العافِين حانيـةٍ ... تهمى وطَرفٍ إلى العلْياءِ طمـاحِ

ألست ترى كفه وقد تمثلت في صورة سحابة هتانة تصب وبلها على العافين والسائلين، وأن هذه الصورة قد تملّكت عليك مشاعرك، فأذهلتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيهٍ؟.

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قُتل غيلة:

صريع تقاضاهُ اللّيـالي حشاشـةً ... يجُودُ بِها والْموتُ حُمر أظافرُه(١)

فهل تستطيع أن تبعد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضرجت أظفاره بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ؛ لأنه وإنْ بني على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء؛ لا يزال فيه التشبيه منويا ملحوظًا، بخلاف الاستعارة، فالتشبيه فيها منسي مجحود، ومن ذلك يظهر أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة، وأن المطلقة أبلغ من المجردة.

---

(١) الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه: أصله تتقاضاه؛ حذفت إحدى التاءين، وهو من قولهم: تقاضى الدائن دينه إذا قبضه، والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح. يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدِثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق ا يدين من فرسان الكلام.

انظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: **تكَادُ تميزُ مِن الغيظِ كُلما أُلقِي فِيها فَوج سأَلَهم خزنتُها أَلم يأتِكُم نذِير** [(١)].

ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مكفهر الوجه، عابس يغلي صدره حِقدا وغيظًا. (عن البلاغة الواضحة).

(١) سورة الملك: ٨.

الباب الثالث: في الكناية

الكناية(١) لغة: ما يتكلّم به الإنسانُ، ويريد به غيره. وهي مصدر كَنيت، أو كنوت

---

(١) توضيح المقام: أنه إذا أطلق اللفظ، وكان المراد منه غير معناه، فلا يخلو، إما: أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا؛ ليكون وسيلة إلى المراد، وإما: ألا يكون مقصودا- فـالأول: الكناية، والثاني: المجاز.

فالكناية عند علماء البيان: لفظ أُطلق، وأُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى معه. كلفظ طويل النجاد المراد به طول القامة؛ فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد (أي علاقة السيف) أيضا؛ فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز، فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي؛ لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم: (كثير الرماد) يعنون به أنه كثير القِرى والكرم، وقول الحضرمي:

قد كان تُعجب بعضهن براعتي حتى رأين تنحُنحي وسُعالي

كني عن كبر السن بتوابعه وهي: التنحنح والسعال، وقولهم: «المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه» وقوله:

إنّ المروءة والسماحة والندى في قُبةٍ ضُربت على ابن الحشرج

وقوله:

وما يك فيّ من عيبٍ فإني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

فإن «جبان الكلب» كناية، وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم، وكل واحدة على حِدتها تؤدي هذا المعنى. وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهُمو طبخ القدور ولا غسلَ المناديل

ويروى أن خلافًا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة؛ فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم؛ فأُحضر، فوجد الخليفة مخطئًا؛ فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل: «نعته لا ينصرف» ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء.ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد، فقال: ما تجد فديتك؟ قال: أجده (يعني البرد). وإذا كان الرجل ملولا، قيل: هو من بقية قوم موسى. وإذا كان ملحدا، قيل: قد عبر (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيء الأدب في المؤاكلة، قيل: تسافر يده على الخوان، ويرعى أرض الجيران. ويقال عمن يكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه.وجاء في القرآن: **أَيُحِب أَحدُكُم أَنْ يأْكُلَ لَحم أَخِيهِ ميتا** [الحجرات: ١٢]، فإنه كني عن الغيبة بأكل الإنسان لحم الإنسان. وهذا شديد المناسبة؛ لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه. ومن أمثال العرب قولهم: لبست لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم -كناية عن العداوة. وكذلك قولهم: قلبت له ظهر المجن. كناية عن تغيير المودة. =

بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.

واصطلاحا: لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، نحو: «زيد طويل النجاد» تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم؛ فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعةُ عادةً، فإذًا المراد طول قامته وإن لم يكن له

=

ويقول القوم: فلان بريء الساحة، إذا برأوه من تهمة. ورحب الذراع: إذا كان كثير المعروف، وطويل الباع في الأمر. إذا كان مقتدرا فيه، وقوي الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك: أن المنصور كان في بستان له أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، فنظر إلى شجرة خلاف، فقال للربيع: ما هذه الشجرة؟ فقال: طاعة يا أمير المؤمنين، فتفاءل المنصور به، وعجب مِن ذكائه. ومثل ذلك: أن رجلاً مرّ في صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين وكره أن يقول: «الخيزران»؛ لموافقته اسم والدة الرشيد. ومن كلامهم: «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني حسن الحال. وعليه قول الحريري:

إن الغريب الطويلَ الذيل ممتهن … فكيف حال غريب ما له قُوتُ؟

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب - أي منزه عن السيئات. وفلان دنس الثوب. أي متلوث بها. قال امرؤ القيس:

ثيابُ بني عوف طهارى نقيةٌ … وأوجهُهم عند المشاهدِ غُرات

ويقولون: فلانٌ غِمر الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير:

غَمرُ الرداء إذا تبسم ضاحكًا … غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة: ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلان فترة؛ وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقمر ليله، ونور غصن شبابه، وفضض الزمان أبنوسه، وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبّى دواعي الحِجى، ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعده بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الكنايات أيضا أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن ﴿**وحملْناهُ على ذَاتِ أَلْواحٍ ودُسُرٍ**﴾ [القمر: ١٣]، يعني السفينة، فوضع صفتها موضع تسميتها.

كما ورد ﴿**إِذْ عُرِضَ عليهِ بِالعشِيِ الصافِناتُ الجِيادُ**﴾ [ص: ٣١]، يعني الخيل. وقال بعض المتقدمين:

سألت قُتيبَة عن أبيها صَحبه … في الروح هلْ ركب الأغر الأشقرا؟

يعني هل قتل؟ لأن الأغر الأشقر وصف الدم؛ فأقامه مقام اسمه.

نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يعلَم أن الفرق بين الكناية وا از: صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون ا از؛ فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادةُ المعنى الأصلي في الكناية؛ لخصوص الموضوع، كقوله تعالى: **والسماواتُ مطْويات بيمينِه** [1]، وكقوله تعالى: **الرحمنُ على العرش استوى** [2]، كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء.

أ - وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب ا إلى ثلاثة أقسام:

فإن المطلوب ا قد يكون صِفةً من الصفات، وقد يكون موصوفًا، وقد يكون نسبةً.

الأول: الكناية التي يطلب ا صفة من الصفات نوعان:

١- **كناية قريبة:** وهي ما يكون الانتقالُ فيها إلى المطلوب بغير واسطةٍ بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، نحو:

رفيــعُ العِمــادِ طَويــل النجــا د ســـاد عشِــيرتهُ أمــرداً

٢- **وكناية بعيدة:** وهي ما يكون الانتقالُ فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: «فلان كثير الرماد». كناية عن المِضياف، والوسائط هي: الانتقال مِن كثرة الرماد، إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو: المضياف الكريم.

الثاني: الكناية: التي يراد ا نسبةُ أمرٍ لآخر إثباتا أو نفيا، فيكون المكني عنه نسبةً، نحو:

إنّ السماحةَ والمُروءةَ والنــدى في **قُبةٍ ضُربت على ابن الحشرجِ**

فإن جعلَ هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به، يستلزم إثبا ا له.

واعلم أن الكناية المطلوب ا نسبة:

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها، كقول الشاعر:

الــيُمنُ يتبــعُ ظِلّــه وا دُ يمشــي في **ركابِــه**

وإما أن يكون غير مذكورٍ، كقولك: «خير الناس من ينفع الناس» كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم.

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة طه: ٥.

الثالث: الكناية التي لا يراد بها صفة ولا نسبة؛ بل يكون المكني عنه موصوفًا.

إما معنى واحدا «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

فَلَمَّا شربناها ودب دبيبُها ... إلى موطن الأسرار قُلْتُ لها قِفي

وإما مجموع معانٍ، كقولك: «جاءني حي مستوى القامة، عريض الأظفار».

(كناية عن الإنسان)؛ لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين مجامع الأضغان[1]

ويشترط في هذه الكناية: أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف، ولا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه.

ب- وتنقسم أيضا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز وإيماء.

(١) فالتعريض لغة: خلاف التصريح.

واصطلاحا: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق، نحو قولك للمؤذي: «المُسلم من سلِم المسلمونَ مِن لسانِه ويدِهِ» تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

إذا الجِرضُ لم يُرزق خلاصا من الأذى ... فلا الحمد مكْسُوبا ولا المالَ باقيا

(٢) والتلويح، لغة: أن تشير إلى غيرك من بعدٍ.

واصطلاحا: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو:

وما يكُ في من عيب فإني ... جبان الكلبِ مهزولُ الفصيل

كني عن كرم الممدوح بكونه جبانَ الكلب، مهزول الفصيل؛ فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

(٣) والرمز، لغة: أنْ تشير إلى قريبٍ منك خِفية، بنحو شفَة، أو حاجِبٍ.

واصطلاحا: هو الذي قلّت وسائطُه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض.

نحو: «فلان عريض القَفا، أو عريض الوسادة»، كناية عن بلادته وبلاهته.

---

(١) الضاربين: منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض: السيف والمخذم، بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين: القاطع، والأضغان: جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة، ولا نسبة، بل هي موصوف.

ونحو: «هو مكتنز اللحم»، كناية عن شجاعته، «ومتناسب الأعضاء»، كناية عن ذكائه، ونحو: «غليظ الكبد»، كناية عن القسوة، وهلم جرا.

(٤) **والإيماء أو الإشارة:** هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أوما رأيت المجد ألقى رحلهُ ... في آل طلْحة ثم لم يتحول

كناية عن كونهم أمجادا أجوادا بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

سألتُ الندى والجُود: ما لي ... تبدلْتما ذُلاً بعز مُؤبدِ؟
وما بالُ رُكن المجْدِ أمسى مُهُدما؟ ... فقالا: أُصبنا بابن يحيى محمد
فقلتُ: فهلا مُتما عند موتهِ ... فَقد كُنتما عبديهِ في كل مشهدِ
فقالا: أقمنا كي نُعزى بفقْدِه ... مسافة يومٍ ثم نتلوه في غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغُ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدعوى ببينة؛ فكأنك تقول في «زيد كثير الرماد»: زيد كريم؛ لأنه كثير الرماد، وكثرته تستلزم كذا إلخ. كيف لا وإنما تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذِكْرها، إمّا احتراما للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنيل مِن خصمه دون أن يدع له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

تمرين (١)

بين أنواع الكنايات الآتية وعين لازم معنى كل منها:

(١) قال البحتري يصف قتله ذئبا:

فَأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصـلَها بحيثُ يكُون اللب والرعبُ والحِقدُ(١)

(٢) وقال آخر في رثاء من مات بِعلّةٍ في صدره:

ودبت لَهُ فِي موطِنِ الحِلْم عِلـةٌ لَها كالصلال الرقْش شر دِبيبِ(٢)

(٣) ووصف أعرابي امرأة فقال: «ترخِي ذيلها على عرقُوبي نعامة».

إنّ في ثَوبكِ الـذّي ا ـدُ فيـه لَضـياءً يُـزري بكـل ضِـياءِ

تمرين (٢)

بين نوع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح:

(١) وصف أعرابي رجلا بسوء العشرة فقال: «كان إذا رآني قَرب من حاجبٍ حاجبا».

(٢) وقال أبو نواس في المديح:

فَما جازَهُ جُود ولا حـل دُونَـهُ ولَكِن يسِيرُ الجُودُ حيثُ يسِـيرُ

(٣) وتكنى العرب عمن يجاهر غيره بالعداوة بقولهم: «لبس له جِلْد النمِر، وجِلْد الأرقَم»(٣)، «وقلَب له ظهر المِجن»(٤).

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللـب: العقـل، والرعب: الفزع والخوف.

واعلم أن الكناية إما حسنة، وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة، وإما قبيحة وهي ما خلَت عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان، كقول المتنبي:

إني على شغفي بما في حمرها لأعِف عما في سراويلا ـا

كناية عن النـزاهة والعفة، إلا أ ا قبيحة، لسوء تأليفها وقبح تركيبها.

(٢) الصلال جمع صل بالكسر: ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغتـه، والـرقش: جمـع رقشاء: وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاءً.

(٣) الأرقم: الحية فيها سواد وبياض.

(٤) ا ن: الترس، وقلب له ظهر ا ن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٤) فلان عريض الوساد[١] أغم القفا[٢].

(٥) وقال الشاعر:

تجُولُ خلاخيلُ النســاءِ ولا أرى … لِرملةَ خلْخالا يجُولُ ولا قُلْبــا[٣]

(٦) وتقول العرب في المديح: «الكرم في أثناء حلّته»، ويقولون: «فلان نفخ شِدقَيه» أي تكبر، وورِم أنفُه -إذا غضب.

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة: «أشكو إليك قِلةَ الجرذَان»[٤].

(٨) وقال الشاعر:

بِيض المطابِخ لا تشكُو إمــاؤهُمُ … طَبخ القُدُور ولا غَسلَ المنادِيــل

(٩) وقال آخر:

مطْــبخُ داوُد في نظَافتِــه … أشبهُ شيءْ بِعرش بِلقيس[٥]
ثِيابُ طبّاخه إذا اتســخت … أنقَى بياضا مِن القَــراطِيس

(١٠) وقال آخر:

فَتــى مُختصــرُ الـــأكو … ل والمشــرُوب والعِطــر
نِقي الكــأس والقصــ ـ … ـعةِ والمنــديل والقِــدر

(١١) وقال آخر:

الــيُمنُ يتبــع ظِلّــهُ … وا دُ يمشي فِــي رِكابِــه

(١٢) وقال آخر: أصبح في قيدك السماحة وا د وفضل الصلاح والحسب.

فَلسنا على الأعقَابِ تدمي كُلومُنا … ولكِن على أقْدامِنا تقْطُرُ الدماءُ[٦]

ا د بين ثوبيك، والكرم ملء برديك.

---

(١) عريض الوساد: أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٢) الغمم: غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا، وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

(٣) رملة: اسم امرأة، والقلب بالضم: السوار.

(٤) الجرذان: جمع جرذ، وهو ضرب مِن الفأر.

(٥) بلقيس بكسر الباء: ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٦) الأعقاب: جمع عقِب، وهو مؤخر القدم، والكلوم: الجراح، يقول: نحــن لا نــولي فنجــرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا؛ فإنْ جرحنا قطــرت الدماء عن أقدامنا.

بلاغة الكناية

الكِناية مظْهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لَطُف طبعه، وصفَت قريحته، والسر في بلاغتها أ ا: في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضيةَ وفي طيها برها ا، كقول البحتري في المديح:

يغضون فَضلَ اللحظِ من حيثُ ما لَهُم عن مهيبٍ فِي الصدُورِ مُحبب

فإنه كني عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم إياه بِغض الأبصار، الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسنات، ولا شك أن هذه خاصة الفنون؛ فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس ـرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا.

فمثل «كثير الرماد» في الكناية عن الكرم، «ورسول الشر» في الكناية عن المزاح، وقول البحتري:

أو ما رأيت ا ـد ألقَـى رحلَـهُ فِي آل طَلْحة ثُم لَـم يتحـول

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كل أولئك يبرز لك المعاني في صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية أ ا تمكنك من أن تشفِي غُلَّتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلا، ودون أن تخدِش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح ا كافورا ويعرض بسيف الدولة:

رحلْتُ فَكم باكٍ بأجفان شـادِنٍ علي وكَم باكٍ بأجفان ضـيغم[1]

وما ربةُ القُـرطِ الملـيح مكَانُـهُ بأجزع مِن رب الحُسامِ المصمم[2]

فَلو كَانَ ما بي مِن حبِيبٍ مُقَنـعٍ عذَرتُ ولكِن مِن حبيبٍ مُعمـمِ

(١) الشادن: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم الرجل الشجاع، يقول: كم من نساء ورجال بكوا على فراقي، وجزعوا لارتحالي.

(٢) القُرط: ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام: السيف القاطع، والمصمم: الذي يصـيب المفاصـل ويقطعها، يقول: لم تكن المرأة الحسناء بأجذع على فراقي من الرجل الشجاع.

رمى واتقى رميي ومن دُون مـا اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وأسهُمي
إذا ساءَ فِعلُ المرءِ ساءَت ظُنونُــهُ وصدق ما يعتــادهُ مِــن تــوهمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولا بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شيمة النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن؛ لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله؛ لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديما يكسر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيئ الظن بأصدقائه؛ لأنه سيئ الفعل، كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعا مثله في سوء الفعل وضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفا!

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه؛ وأمثلة ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم، وكلام العرب؛ فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذِكْره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكْنونَ عن المرأة بالبيضة والشاة، ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخلــةً مِــن ذاتِ عِــرقٍ عليك ورحمةُ اللــهِ الســلامُ[1]

فإنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها. (عن البلاغة الواضحة).

---

(١) ذات عرق: موضع بالبادية، وهو مكان إحرام أهل العراق.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان: أنّ معنى واحدا يستطاع أداؤه بأساليب عِدةٍ، وطرائق مختلفة، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنسانا بالكرم فيقول:

يُريد الملوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعُون كما يصنعُ

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معرُوفَهُ أوسعُ

وهذا كلام بليغ جدا، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالا.

وقد يعمِد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر فيقول:

كالبحرِ يقْذِفُ للقريبِ جواهِرا جُودا ويبعثُ للبعيد سحائِبا

فيشبه الممدوح: بالبحر، ويدفع بخيالك إلى أنْ يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد. أو يقول:

هُو البحرُ مِن أي النواحي أتيتهُ فَلُجتُهُ المعرُوفُ والجُودُ ساحِلُه

فيدعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة، وادعاء المماثلة الكاملة. أو يقول:

علا فما يستقر المالُ في يدِهِ وكيف تُمسِكُ ماءً قُنةُ الجَبلِ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفي؛ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة، وليجعل لك من التشبيه الضمني دليلاً على دعواه؛ فإنه ادعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهانا فقال: «وكيف تمسك ماء قنة الجبل؟». أو يقول:

جرى النهر حتى خِلْتُهُ مِنك أنعُما تُساق بِلا ضن وتُعطى بِلا منّ(١)

فيقلب التشبيه؛ زيادة في المبالغة، وافتنانا في أساليب الإجادة، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفياض. أو يقول:

---

(١) الضن: البخل، والمن: الامتنان بتعداد الصنائع.

كأنهُ حين يُعطي المالَ مُبتسماً صوبُ الغمامة تهمي وهي

فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه. أو يقول:

جادت يدُ الفتح والأنواء باخلة وذاب نائلهُ والغيثُ قد جمدا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء، أو جمد القطر. أو يقول:

قد قُلتُ للغيم الركامِ ولج في إبرافه وألح في إرعادِهِ(٢)

لا تعرضن لجعفرٍ مُتشبهاً بندى يديهِ فلست من أندادِهِ

فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا؛ بل تراه ينهي السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه؛ لأنه ليس من أمثاله ونظرائه. أو يقول:

وأقبلَ يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة، فينزع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ. أو يقول:

دعوتُ نداهُ دعوةً فأجابني وعلّمني إحسانُهُ كيف آملُهُ

فيشبه ندى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه -وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها.

أو يقول: ومن قصد البحر استقَل السواقِيا.

فيرسل العبارة كأنها مثلٌ، ويصور لك أن من قَصد ممدوحه استغنى عمّن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهانا على صدق دعواه، وتؤيد الحال التي يدعيها.

أو يقول:

---

(١) تهمي: تسيل، وتأتلق: تلمع.

(٢) الغيم الركام، المتراكم، ولج وألح كلاهما بمعنى: استمر.

ما زلت تتبعُ ما تُولى يـداً بيـدٍ حتى ظننتُ حياتي مِن أياديكـا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة؛ لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

أعاد يومُـك أيـامي لنضـرتها واقتص جُودُك مِن فقْري وإعساري

فيسند الفعل إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

فما جازهُ جُود ولا حـل دُونـهُ ولكن يسير الجود حيث يسـير

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بإدعاء أن الجود يسير معه دائما؛ لأنه بدلَ أن يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار، ولهذه الكناية مِن البلاغة، والتأثير في النفس، وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام؛ فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوبا- كل له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هذا المعنى؛ فإن للشعراء ورجال الأدب افتنانا وتوليدا للأساليب والمعاني، لا يكاد ينتهي إلى حد؛ ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنا لم نقصد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربي والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهرا، وستدهش للمدى البعيد الذي وصل إليه العقلُ الإنساني في التصوير البلاغي، والإبداع في صوغ الأساليب. (عن البلاغة الواضحة).

تم **بحمد الله علم البيان**

ويليه علم البديع بعونه تعالى

علم البديع

تعريفه:

البديع لغةً: المُخترع المُوجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم: بدع الشيء، وأبدعه، اخترعه لا على مثال(١).

واصطلاحا: هو علم يعرف به الوجوه(٢)، والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه اءً ورونقًا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، وضوح دلالته على المراد.

وواضعه: عبد الله بن المُعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هجرية، ثم اقتفى أثره قُدامةُ بن جعفر الكاتب، ثم ألف فيه كثيرون: كأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلي، وابن حِجة الحَموِي، وغيرهم. وفي هذا العلم بابان، وخاتمة.

---

(١) البديع: فعيل بمعنى مفعل أو بمعنى مفعول - ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: **بــدِيعُ السماواتِ والأرضِ** [البقرة: ١١٧] أي مبدعها.

(٢) وجوه التحسين: أساليب وطُرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه. وتحسين الكلام بعلمـي المعاني والبيان (ذاتي)، وبعلم البديع (عرضي).

ووجوه التحسين إما معنوية وإما لفظية:

فالبديع المعنوي: هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ؛ فيبقى مع تغيير الألفاظ كقوله:

أتطلبُ صاحبا لا عيب فيهِ ... وأنت لكل ما وى ركوبُ؟

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ، كما لو قلت مثلا: كيف تطلب صديقًا منـزها عن كل نقص، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك؟!

والبديع اللفظي: هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى؛ فلا يبقى الشـكل إذا تغـير اللفظ - كقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هِبه ... فدعهُ فدولتــه ذاهبــةْ

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقط الشكل البديعي بسقوطها.

وملخص القول: أن المحسنات المعنوية: هي ما كان التحسين ا راجعا إلى المعنى أولاً وبالـذات، وإنْ حسنت اللفظ تبعا - والمحسنات اللفظية: هي ما كان التحسين ا راجعا إلى اللفظ بالأصالة، وإنْ حسنت المعنى تبعا.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصا اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسـن إلا إذا طلبها المعنى؛ فجاءت عفوا بدون تكلّف، وإلا فمبتذلةٌ.

الباب الأول: في المحسنات المعنوية

١- التورية[1]:

التورية لغة: مصدر ورّيت الخبر تورية؛ إذا سترته، وأظهرت غيره.

---

(١) التورية: أن يطلَق لفظٌ له معنيان: أحدهما قريب. والآخر بعيد؛ فيراد البعيد منهما، ويوري عنه بالقريب. وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام: مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومهيأة.

١- فالمجردة: هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين، كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته فقال: «هذه أختي» أراد أخوة الدّين، وكقوله: **وهُو الذِي يتوفاكُم بِالليل ويعلمُ ما جرحتُم بِالنهارِ** [الأنعام: ٦٠].

٢- والمرشحة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك؛ لتقويتها به، ولأن القريب غير مراد؛ فكأنه ضعيف فإذا ذُكِر لازمه تقوّى به نحو: **والسماءَ بنيناها بِأيدٍ** [الذاريات: ٤٧] فإنه يحتمل الجارحة وهو القريب، وقد ذَكَر من لوازمه البنيان، على جهة الترشيح، ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود، وهي قسمان: باعتبار ذِكْر اللازم قبلها أو بعدها.

٣- والمبينة: هي ما ذُكِر فيها لازم المعنى البعيد -سميت بذلك لتبيين المورى عنه بذكر لازمه؛ إذ كان قبل ذلك خفيا، فلما ذُكر لازمه تبيّن: نحو:

يا من رآني بالهموم مُطوقًا   **وظِللْتُ مِن فقدي غُصونا** في **شُجون**

أتلومني في **عظم نوحي والبكا**   **شأنُ المطّوق أنْ ينوح على غُصون**

وهي أيضا قسمان: باعتبار ذِكر اللازم قبل أو بعد.

٤- والمهيأة: هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها؛ فهي قسمان أيضا: فالأول: وهو ما يتهيأ بلفظ قبل، نحو قوله:

وأظهرت فينا مِن سماتك سُنة   **فأظهرت ذاك الفَرض من ذلك الندبِ**

فالفرض والندب معناهما القريب: الحكمان الشرعيان. والبعيد: الفرض معناه: العطاء، والندب: الرجلُ السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذِكر السنة لما تهيأتِ التوريةُ ولا فُهم الحُكمان.

والثاني: وهو ما تهيأ بلفظ بعد كقول الإمام علي رضي الله عنه في الأشعث بن قيس: إنه كان يحرك الشمالَ باليمين، فالشمال معناها القريب: ضد اليمين، والبعيد: جمع شملة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية، ومن المجردة قوله:

حملناهمو طُرا على الدهم بعدما   **خلعنا عليهم بالطعان ملابسا**

فإن الدهم له معنيان: قريب، وهو الخيل الدهم، وليس مرادا وبعيد، وهو القيود الحديد السود، وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى: **حتى يُعطُوا الجِزيةَ عن يدٍ وهُم صاغِرُونَ** [التوبة: ٢٨] فإن المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب وهو العضو.

واصطلاحا: هي أن يذكر المتكلم لفظًا مفردا له معنيان؛ أحدهما قريب ظاهر غير مراد، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة، ولكنه ورّي عنه بالمعنى القريب؛ فيتوهّم السامع لأول وهلة أنه مراد، وليس كذلك؛ كقوله تعالى: **وهُو الذِي يتوفاكُم بِالليل ويعلمُ ما جرحتُم بِالنهارِ** [1] أراد بقوله «جرحتم» معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب؛ ولأجل هذا سميت التورية «إيهاما وتخييلا» وكقول سراج الدين الوراق:

أصونُ أدِيم وجهي عن أنـاسٍ ... لقاءُ الموتِ عندهُمُ الأديـبُ

ورب الشعر عندهُمُ بغيض ... ولو وافى بِهِ لهُـمُ «حبيـبُ»

وكقوله: أبيـاتُ شِعـرِك ... ولا قُصـور بـا يعـوق

ومـن العجائـب لفظُهـا ... حُـر ومعناهـا «رقيـق»

٢- الاستخدام:

هو ذِكر لفظ مشترك بين معنيين يراد به أحدهما، ثم يعاد عليه ضمير، أو إشارةٌ بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما.

فالأول: كقوله تعالى: **فَمن شهد مِنكُمُ الشهر فَلْيصُمهُ** [2] أريد بالشهر الهلال، وبضميره: الزمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك:

إذا نزل السـماءُ بـأرض قـومٍ ... رعينـاهُ وإنْ كـانوا غِضـابا

أراد بالسماء: المطر، وبضميره في رعيناه «النبات»[3]، وكلاهما معنى مجازي للسماء.

(١) سورة الأنعام: ٦٠.
(٢) سورة البقرة: ١٨٥.
(٣) ملخص الاستخدام هو: أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر كقـول الشاعر:

وللغزالـة شـيءٌ مِـن تلفّتـه ... ونُورُها من ضِيا خديه مُكْتسـبُ

أراد الشاعر بالغزالة: الحيوان المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس، وكقوله:

رأى العقيق فـأجرى ذاك نـاظرُه ... مُتـيم لجّ في الأشـواق خـاطرُهُ

وكقوله:

إذا لم أبرقع بالحيا وجـه عِفـتي ... فـلا أشـبهتهُ راحـتي بـالتكرمِ

ولا كُنتُ ممن يكسر الجفن بالوغى ... إذا أنا لم أغضُضهُ عن رأي مُحـرمِ

=

والثاني: كقول البحتري:

فسقى الغضا والساكِنيه وإنْ هُمُ — شبوه بين جـوانحي وضُـلوعي

الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه: راجع إلى الغضا باعتبار المكان، وضمير شبوه: يعود إليه بمعنى: النار الحاصلة من شجر الغضا، وكِلاهما مجاز للغضا.

٣- الاستطراد:

هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر؛ لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى إتمام الأول. كقول السموءَل:

وإنا أناس لا نرى القَتـلَ سُـبةً — إذَا مـا رأتـهُ عـامر وسـلولُ

يُقرب حُب الموتِ آجالَنـا لنـا — وتكرهُـهُ آجـالُهم فتطـولُ

وما مات مِنا سيد حتـف أنفِـهِ — ولا طُل مِنا حيث كـانَ قتيـلُ

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه منتقِلا إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول، وهو الفخر بقومه - ومنه قول الآخر:

لنا نفوس لنيـل المـجدِ عاشـقة — فإنْ تسلت أسلْناها على الأسـل

لا ينـزلُ المـجدُ إلا في منازِلنـا — كالنومِ ليس لهُ مأوي سِوى المُقل

٤- الافتنان:

هو الجمع بين فنين مختلفين: كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتعزية والتهنئة - كقول عبد الله بن همّام السلولي، جامعا بين التعزية والتهنئة حين دخل على يزيد، وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو في الملك: «آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيما، وأُعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أُعطيت؛ واصبر على ما رزيت؛ فقد فقدت الخليفة، وأُعطيت الخلافة، ففارقت خليلاً ووهبت جليلاً».

=

وقال الآخر في الدعاء: أقرّ الله عين الأمير، وكفاه شرها، وأجرى له عذ ا، وأكثر لديه تبرهـ ا، وكقول الشاعر:

رحلـتُم بالغـداة فِبـت شـوقًا — أسـائل عـنكمُ في كُـل نـادِ

أراعي النجم في سـيري إلـيكُم — ويرعـاهُ مِـن البيـدا جـوادِي

اصبر يزيدُ، فَقَد فارقت ذا ثقـةٍ	**واشكر حباء الذي بالملك اصفاك**
لا رُزءَ أصبح في الأقوام نعلمـه	**كما رُزئْت ولا عُقـبى كُعُقبـاك**

وكقول عنترة يخاطب عبلةَ:

ولقد ذكرتُك والرمـاحُ نواهـلٌ	**مني وبيضُ الهند تقطُر مِن دمـي**
فوددتُ تقبيل السـيوف لأ ـا	**لمعت كبـارق ثغـركِ المُتبسـمِ**

٥- الطباق(١):

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهما قد يكونان اسمين، نحو **هُو الأولُ والآخِرُ** (٢) **وتحسبُهُم أيقاظًا وهُم رُقُود** (٣) أو فعلين، نحو **هُو أضحك وأبكَى** (٤) **ثُم لا يمُوتُ فِيها ولا يحيا** (٥) أو حرفين، نحو: **ولهُن مِثْلُ الذِي عليهِن بِالمعرُوفِ** (٦) أو مختلفين، نحو: **ومن يُضلِل اللهُ فَما لهُ مِن هادٍ** (٧). ونحو: **أومن**

(١) ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق- وهو: الجمع في الكلام بـين معنـيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين، أو النقيضين، أو الإيجاب والسلب، أو التضايف.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) سورة الكهف: ١٨.

(٤) سورة النجم: ٤٣.

(٥) سورة الأعلى: ١٣.

(٦) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٧) سورة الرعد: ٣٣، والطباق ضربان: أحدهما، طباق الإيجاب، وهو: ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، نحوه **تُؤتي المُلْك من تشاءُ وتنـزعُ المُلْك مِمن تشاءُ وتُعِز من تشاءُ وتُـذِل مـن تشاءُ** [آل عمران: ٢٦] وكقوله:

حُلْوُ الشمائل وهو مر باسل	**يحمِي الذمار صبيحةَ الإرهاق**

وثانيهما، طباق السلب، وهو: ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا بحيث يجمع بين فعلـين مـن مصدر واحد- أحدهما مثبت والآخر منفي، نحو **يستخفُونَ مِن الناس ولا يستخفُونَ مِن اللـهِ** [النساء: ١٠٨] ونحو **لا يعلمُونَ * يعلمُونَ ظاهِرا مِن الحياةِ الدنيا** [الروم: ٦، ٧] أو أحدهما أمر والآخر ي، نحو **اتبِعُوا ما أُنزِلَ إِليكُم مِن ربكُم ولا تتبِعُوا مِن دُونِهِ أولياءَ** [الأعراف: ٣] ونحو **فَلا تخشوُا الناس واخشون** [المائدة: ٤٤] ويلحق بالطباق ما بني على المضاد تـأويلاً في

كَانَ ميتا فَأحييناهُ (١).

٦- المقابلة:

هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: **فَأما من أعطَى واتقَى * وصدق ِبالْحُسنى * فَسنُيسرُهُ ِللْيسرى * وأما من بخِلَ واستغنى * وكَذب ِبالْحُسنى * فَسنُيسرُهُ ِللْعسرى** (٢) وكقوله تعالى: **يُحِل لَهُمُ الطيباتِ وُيحرمُ عليهِمُ الْخبائِثَ** (٣).

وقال ج للأنصار: «**إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع**» وقال خالد ابن صفوان يصف رجلا: «ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية» وقال: «وباسط خير فيكم بيمينه -وقابض شر عنكم بشماله»، وكقوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكُفْر والإفلاس بالرجـل!

٧- مراعاة النظير(٤):

هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، نحو **هُو السمِيعُ الْبصِير** (٥).

وإما بين أكثر، نحو **أُولَئِك الَّذِين اشتروُا الضلالَةَ ِبالْهُدى فَما ربِحت ِتجارتُهُم** (٦).

=

المعنى، نحو **يغفِرُ ِلمن يشاءُ وُيعذبُ من يشاءُ** [آل عمران: ١٢٩] فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحا؛ لكن على تأويل كونه صادرا عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة، أو تخييلا في اللفظ باعتبـار أصل معناه -نحو **من تولاَّهُ فَأَنهُ يُضِلُّهُ ويهدِيهِ ِإلَى عذَابِ السعِيرِ** [الحج: ٤]، أي يقوده فـلا يقابل الضلالة ـذا الاعتبار؛ ولكن لفظه يقابلها في أصل معناه. وهذا يقال له «إيهام التضاد».

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) سورة الليل: ٥- ١٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) وتسمى: بالتناسب، والتوافق، والائتلاف.

(٥) سورة الإسراء: ١.

(٦) سورة البقرة: ١٦.

ويلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام؛ يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو **لا تُدركُهُ الأبصارُ وهُو يُدرِكُ الأبصار وهُو اللطِيفُ الخبيرُ** (١)، فإن «اللطيف» يناسِب عدم إدراك الأبصار له، والخبير يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

أو ما بني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة، نحو: **الشمسُ والقمرُ بِحُسبانٍ * والنجمُ والشجرُ يسجُدان** (٢) فإن المراد بالنجم هنا النبات: فلا يناسب الشمس والقمر ولكن لفظه يناسبهما؛ باعتبار دلالته على الكواكب. وهذا يقال له «إيهام التناسب»، كقوله:

كأنّ الثّريا عُلقـت في **جبينـها** وفي **نحرها الشعري** وفي **خدها القمر**

٨- الإرصاد:

هو أن يذكر قبل الفاصلة (من الفقرة أو القافية من البيت) ما يدل عليها إذا عرف الرّوي، نحو: **وسبح بحمدِ ربك قبلَ طُلُوعِ الشمسِ وقبلَ الغُرُوبِ** (٣) ونحو: **وما كانَ اللهُ لِيظلِمهُم ولكِن كانُوا أنفُسهُم يظلِمُونَ** (٤) وكقول الشاعر:

أحلّت دمي مِن غير جُرمٍ وحرمت **بلا سببٍ عِند اللقـاء كلامـي**

فليس الـّذي حللتِـه بمحلّـلٍ **وليس الـّذي حرمتـه بحـرامٍ**

ونحو: **إذا** لم **تستطع شيئًا فدعـه** **وجـاوزه إلى مـا تسـتطيعُ**

وقد يستغنى عن معرفة الروي، نحو: **ولكُل أمةٍ أجلٌ فإذا جاءَ أجلُهُم لا يستأخِرُونَ ساعةً ولا يستقدِمُونَ** (٥).

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) سورة الرحمن: ٥، ٦.

(٣) سورة ق: ٣٩.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٠، فالسامع إذا وقف على قوله تعالى: «قبل طلوع الشمس» بعد الإحاطة بما تقدم؛ علم أنه «وقبل الغروب»، كذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الأول، علم أن العجز ليس إلا ما قاله الشاعر.

(٥) سورة الأعراف: ٣٤.

٩- الإدماج:

هو أن يضمن كلام سيق لمعنى آخر لم يصرح به، كقول المتنبي:

أقلــبُ فيــه أجفــاني كــأني أعُد بها علــى الــدهر الــذنوبا

ساق الشاعر الكلام أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول.

١٠- المذهب الكلامي:

هو أن يورد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعةً مسلمة عند المخاطب؛ بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب.

كقوله تعالى: **لو كانَ فِيهما آلِهةٌ إلا اللهُ لفَسدتا** (١)، واللازم وهو الفساد: باطل؛ فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل.

ونحو: **يا أيها الناسُ إنْ كُنتُم فِي ريبٍ مِن البعثِ فإنا خلقْناكُم مِن تُرابٍ** (٢).

ونحو قوله تعالى: **وهُو الذِي يبدأُ الخلْق ثُم يُعيدُهُ وهُو أهونُ عليهِ** (٣) أي: وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان؛ فالإعادة ممكنة.

١١- حسن التعليل:

حُسنُ التعليل: أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا عِلةَ الشيء المعروفةَ، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسِب الغرض الذي يرمي إليه.

يعني أن الشّاعر أو النّاثر يدّعي لوصف علةَ غير حقيقيةٍ مناسبةً له باعتبار لطيف، مشتمل على دقة النظر، كقول المعري في الرثاء:

وما كُلْفَة البــدر المــنير قديمــةً ولكنها في وجهــه أثَــر اللّطْــم

يقصد: أن الحزن على المرثي شمل كثيرا من مظاهر الكون؛ فهو لذلك يدعي أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي؛ وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فِراق المرثي، ومثله قوله:

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة الحج: ٥.

(٣) سورة الروم: ٢٧.

أما ذُكاء فلم تصفر إذا جنحت ... إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد أن الشمس لم تصفرّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف؛ ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح - ومثله قول الشاعر:

ما قصر الغيثُ عن مصر وتُربتها ... طبعا ولكن تعداكم مِن الخجل

ينكر هذا الشاعر الأسباب أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده؛ لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

ولابد في العلة أن تكون أدعائية.

ثم الوصف أعم من أن يكون ثابتا فيقصد بيان علته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

فالأول: أ - وصف ثابت غير ظاهر العلة، كقوله:

بين السيوفِ وعينيها مُشاركةٌ ... مِن أجلها قِيل للأجفان أجفانُ

وقوله: لم يحك نائلك السحابُ وإنما ... **حُمت به فصبيبها الرحضاء**(١)

وقوله: زعم البنفْسجُ أنه كعذاره ... حُسنا فسلّوا مِن قفاه لِسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخَلْف لا علة له؛ لكنه ادّعى أن علته الافتراءُ على المحبوبِ.

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العِلّة غير التي تذكر، كقول المتنبي:

ما بِهِ قتلُ أعاديه ولكِن ... يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فإن قتل الأعادي عادة للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرّهم، ولكنّ المتنبي

---

(١) أي: أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها؛ لأن إعطاءك المتتابع أكثر مِن مائها وأغزر، ولكنها حمت حسدا لك؛ فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى، فالرحضاء عرق الحمى- ومنه قول ابن رشيق:

سألتُ الأرض لِم كانت مُصلى ... ولم جُعِلت لنا طُهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لأني ... حويتُ لكل إنسان حبيبا

ومن حسن التعليل قوله:

ما زُلزلت مِصر مِن كيدٍ يُراد بها ... وإنما رقصت مِن عدلِهِ طربا

وكقول الآخر:

أرى بدر السماء يلوحُ حِينا ... ويبدو ثُم يلتحفُ السحابا

وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

اخترع لذلك سببا غريبا؛ فتخيل أن الباعثَ له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به (حتى لدى الحيوان الأعجم) من الكرم الغريزيّ ومحبته إجابة طالب الإحسان، ومن ثَم فتك م؛ لأنه عِلم أنه إذا غدا للحرب رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقُها، وتنالَ من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلبا.

والثاني: وصف غير ثابت، وهو إما ممكن، كقول مسلم بن الوليد:

يا واشيا حسُنت فينـا إسـاءتُهُ ... نجي حذارك إنساني ـهِـ ن الغـرق

فاستحسانُ إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه؛ عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه مِن البكاء؛ فسلم إنسان عينه مِن الغرق في الدموع.

وإما غير ممكن، كقول الخطيب القزويني:

لو لم تكن ِنية الجـوزاء خِدمتـه ... لما رأيت عليهـا عِقـد مُنتطـق

جعل الشاعر علة شد الجوزاء النطاق في وسطها خِدمةَ الممدوح، وهي صفة غير ممكنة، فقصد إثبا ا على خلاف الواقع(١).

١٢- التجريد:

هو لغة: إزالة الشيء عن غيره، واصطلاحا: أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها في المنتزع منه؛ حتى أنه قد صار منها بحيثُ يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر ا، وهو أقسام:

(أ) منها ما يكون بواسطة مِن التجريدية، كقولك: «لي مِن فلان صديق حميم».

(أي بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها).

ونحو:

ترى منهمو الأسد الغِضـاب إذا ... وتنظُر منهُم في اللقـاء بُـدورا

---

(١) ومثله قول ابن المعتز:

قالوا اشتكت عينُه فقلـت لهـم ... من كثرة القتـل نالهـا الوصـبُ

حُمر ا من دمـاءِ مـن قتلـت ... والدم في السيف شـاهد عجـب

وكقوله:

فلـئن بقيـت لأرحلـن بغـزوةٍ ... تحوي الغنـائم أو يمـوت كـريمُ

(ب) ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه. نحو قولهم: «لئن سألت فُلانا لتسألنّ به البحر» بالغَ في اتّصافه بالسماحة؛ حتى انتزع منه بحرا فيها.

(ج) ومنها ما لا يكون بواسطة، نحو **وإنْ نكثُوا أيمانهُم مِن بعدِ عهدِهِم وطعُنوا فِي دِينِكُم فقَاتِلُوا أَئِمةَ الْكُفْرِ** [١].

(د) ومنها ما يكون بطريق الكناية، كقول الأعشى:

يا خير مـن ركِـب المطـي ولا ... يشرب كأسا بكف من بخـلا[٢]

١٣- المشاكلة:

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى: **تعلمُ ما فِي نفْسِي ولا أعلمُ ما فِي نفْسِك** [٣] المراد: ولا أعلم ما عندك.

وعّبر بالنفس للمشاكلة، ونحو **نسُوا الله فَأنساهُم أنفُسهُم** [٤] أي: أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان؛ لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حكي عن أبي الرقمع: أن أصحابا له أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاما؟ وكان فقيرا ليس له كسوة تقيه من البرد، فكتب إليهم يقول:

أصحابُنا قصدوا الصبوح بسُحرةٍ ... وأتـى رسـولهُم إلي خصِيصـا

---

(١) سورة التوبة: ١٢.

(٢) أي يشرب الكأس بكف الجواد، انتزع منه جوادا يشرب هو بكفه علـى طريـق الكنايـة؛ لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم، وهولا يشرب إلا بكف نفسه، فإذا هـو ذلك الكريم. ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبي:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مـالُ ... فليُسعِد النطق إن لم تُسعد الحـالُ

أي الغني -فقد انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه، وهذا كثير في كلام الشعراء، وإنما سـمي هذا النوع تجريدا لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته، فتخـرج ذلـك المعنى إلى ألفاظها مجردا عن الإنسان كأنه غيره- وفائدةُ هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له.

(٣) سورة المائدة: ١١٦.

(٤) سورة الحشر: ١٩.

قالوا اقترح شيئًا نُجِد لك طبخهُ **قلتُ اطْبُخوا** لي **جُبةً وقميصـا**[1]

وكقوله:

من مُبلغٌ أفنـاءَ يعـرُب كلّهـا **أني بنيتُ الجار قبـلَ المنـزل؟**

وكقوله:

ألا لا يجهلَـن أحـد علينـا **فنجهلَ فـوق جهـل الجاهلينـا**

١٤- المزاوجة:

هي أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشّرط والجزاء؛ بأن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر، كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلج بي **الهـوى** **أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجرُ**

زاوج بين النهى والإصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

زاوج بين النهي والإصاخة في الشرط والجزاء؛ بترتيب اللجاج عليهما.

وكقوله:

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها **تذكرتِ القُربى ففاضت دموعُهـا**

زاوج الاحتراب (التّحارب) وتذكر القربى في الشرط والجزاء، بترتيب الفيض عليهما.

١٥- الطي والنشر:

الطي والنشر: أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكلّ من أفراده شائعا من غير تعيين؛ اعتمادا على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، ورده إلى ما هو له.وهو نوعان:

(أ) إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي، نحو **ومن رحمتِهِ جعلَ لكُمُ الليلَ والنهار لِتسكُنوا فِيهِ ولِتبتغُوا مِن فَضلِهِ** [2] فقد جمع بين الليل والنهار، ثم ذكر السكون «لليل»، وابتغاء الرزق «للنهار»، على الترتيب. وكقوله:

عيونُ وأصداغٌ وفَـرعٌ وقامـةٌ **وخالٌ ووجنات وفَرق ومرشـفُ**

سُيوفٌ وريحـان وليـلٌ وبانـةٌ **ومِسك وياقوت وصُبح وقَرقَـفُ**

---

(١) أي خيطوا لي جبة وقميصا؛ فذكر الخياطة بلفظ الطبخ؛ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

(٢) سورة القصص: ٧٣.

وكقوله:

فعلُ المُدام ولونُها ومذاقُها في مُقْلتيه ووجنتيه وريقه

(ب) وإما أن يكون على خلاف ترتيبه، نحو **فمحونا آيةَ الليل وجعلْنا آيةَ النهارِ مُبصِرةً لِتبتغُوا فَضلا مِن ربكُم ولِتعلمُوا عدد السِنِين والحِساب** [1] ذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب، وكقوله:

ولحظُهُ ومُحيَّاهُ وقامتُهُ **بدر الدجى وقَضيبُ البان والراحِ**

فبدر الدجا راجع إلى «المحيا» الذي هو الوجه، و«قضيب البان» راجع إلى «القامة»، والراح راجع إلى «اللحظ»، ويسمى اللف والنشر أيضا.

١٦- الجَمع:

هو أن يجمع المتكلم بين متعدد تحت حكمٍ واحدٍ، وذلك قد يكون:

(أ) في اثنين، نحو **المالُ والبَنُونَ زِينةُ الحياةِ الدنيا** [2] ونحو: **واعلمُوا أنما أموالُكُم وأولادُكُم فِتنةٌ** [3].

(ب) أو في أكثر، نحو **إنما الخمرُ والميسِرُ والأنصابُ والأزلامُ رِجس مِن عمل الشيطان** [4] وكقوله:

إن الشباب والفراغَ والجِده **مفْسدةٌ للمرء أي مفْسده**

وكقوله:

آراؤه وعطاياهُ ونعمتُهُ **وعفْوه رحمةٌ لِلناس كُلهِمُ**

وكقوله:

آراؤكُم ووجوهكُم وسيُوفكُم في **الحَادثاتِ إذا دجَونَ نجُومُ**

١٧- التفريق:

هو أن يعمِد المتكلم إلى شيئينِ من نوع واحد، فيوقع بينهما تباينا وتفريقًا؛ بذكر ما

(١) سورة الإسراء: ١٢.
(٢) سورة الكهف: ٤٦.
(٣) سورة الأنفال: ٢٨.
(٤) سورة المائدة: ٩٠.

يفيد معنى زائدا فيما هو بصدده من: مدح، أو ذم، أو نسيب، أو غير ذلك من الأغراض، نحو **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج** [١] وكقول الشاعر:

ما نوالُ الغمامِ وقتَ ربيعٍ ... كنوالِ الأميرِ يومَ سخاءِ
فنوالُ الأميرِ بدرةُ عينٍ ... ونوالُ الغمامِ قطرةُ ماءِ

وكقوله:

من قاس جدواك يوما ... بالسحب أخطأ مدحك
السحبُ تُعطي وتبكي ... وأنت تُعطي وتضحك

وكقوله:

من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف في **الحُكم بين شكلين**
أنت إذا جُدت ضاحك أبدا ... وهو إذا جاد دامعُ العين

وكقوله:

وردُ الخدود أرق من ... ورد الرياض وأنعمُ
هذاك تنشقه الأنو ... فُ وذا يُقبله الفمُ

١٨- **التقسيم:**

هو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين، نحو **كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية** [٢].

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أولهما: أن تستوفي أقسام الشيء؛ نحو **له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** [٣].

وثانيهما: أن تذكر أحوال الشيء مضافًا إلى كل منهما ما يليق به، كقوله تعالى:

---

(١) سورة فاطر: ١٢.
(٢) سورة الحاقة: ٤ - ٦.
(٣) سورة طه: ٦.

فَسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحِبهُم ويُحِبونهُ أذِلةٍ على المُؤمِنين أعِزةٍ على الكافِرين يُجاهِدُونَ في سبيل اللهِ ولا يخافُونَ لومةَ لائِمٍ [١] وكقوله:

سأطلبُ حقّي بالقنا ومشايخٍ كأنهمو مِن طُول ما التثموا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقَوا خِفاف إذا دُعوا كثيرٌ إذا شدوا قليلٌ إذا عُدوا

وكقوله:

ولا يُقيم على ضيمٍ يُراد بهِ إلا الأذلان عيرُ الحي والوتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ بِرُمتِهِ وذا يُشج فلا يرثى لهُ أحدُ

١٩- الجمع مع التفريق:

هو أن يجمع المُتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم، نحو قوله تعالى: **خلقْتني مِن نارٍ وخلقْتهُ مِن طِينٍ** [٢] وكقوله:

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

٢٠- الجمع مع التقسيم:

هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكمٍ واحد، ثم يقسم ما جمع، أو يقسم أوّلا ثم يجمع، فالأول: نحو: **اللهُ يتوفى الأنفُس حِين موتِها والتِي لم تمُت فِي منامِها فيُمسِكُ التِي قضى عليها المَوت ويُرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمى** [٣] وكقول المتنبي:

حتى أقام على أرباض خرشنةٍ[٤] **تشقى به الروم والصلبان والبِيعُ**
للرق ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زرعوا

والثاني، كقول سيدنا حسان:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهُمُ أو حاولوا النفّع في أشياعهم نفعُوا
سجيةٌ تِلْك فيهم غير مُحدثة إن الخلائق فاعلم شرها البِدعُ

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.
(٢) سورة ص: ٧٦.
(٣) سورة الزمر: ٤٢.
(٤) الأرباض: جمع ربض، وهو ما حول المدينة، وخرشنة: بلد بالروم.

٢١- المبالغة:

أن يدّعى المتكلم لوصفٍ، بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستبعدا، أو مستحيلا- وتنحصر في ثلاثة أنواع:

١- تبليغ: إن كان ذلك الادعاء ممكنا عقلا وعادة، نحو **ظلُمات بعضُها فَوق بعضٍ إذَا أخرج يدهُ لم يكَد يراها** [(١)]، وكقول الشاعر في وصف فرس:

إذا ما سـابقتها الـريح فـرت ... وألقت في **يـد الـريح الترابـا**

٢- وإغراق: إنْ كان الادعاء ممكنا عقلا لا عادة، كقوله:

وُنكـرم جارنـا مـا دام فينـا ... ونُتبعُه الكرامـةَ حيـث مـالا

٣- وغُلوّ[(٢)] -إن كان الادعاءُ مستحيلا عقلاً وعادة- كقوله:

تكـادُ قِسـية مـن غـير رامٍ ... تُمكـن في **قلـوبهم النبـالا**

---

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) أما الغلو: فمنه مقبول ومنه مردود. فالمقبول: ثلاثة أنواع: أحدها، ما اقترن به ما يقربه للصحة (ككاد) نحو قوله تعالى **يكَادُ زيتُها يُضيءُ ولَو لم تمسسهُ نار** [النور: ٣٥] «ولو» نحو قوله تعالى **لَو أنزلنا هذَا القُرآنَ على جبلٍ لرأيتهُ خاشِعا مُتصدعا مِن خشيةِ اللهِ** [الحشر: ٢١]

ثانيها: ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي:

عقدت سنابكها[(*)] عليهـا عثيـرا ... لو تبتغـي عنقًـا عليـه لأمكنـا

[(*)] السنابك: جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. والعثير: الغبار. والعنق: ضرب من السّير سريع فسيح الخطو، يقول: إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غُبارا كثيفا حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض؛ لشدة كثافته.

وقول المعري:

يُذيبُ الرعبُ مِنهُ كُـل عضـبٍ ... فَلولا الغِمـدُ يُمسـكهُ لَسـالا

ثالثها: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة- كقول النظام:

توهمـهُ طَـرفي فـآلم طَرفَـهُ ... فصار مكانَ الوهم في **خـده أثـر**

ومر بفِكْـري خـاطرا فجرحتـه ... ولم أر خلْقا قط يجرحـه الفِكْـر

وقول الآخر:

لـك أنـفُ يـا ابـن حـربٍ ... أنِفَـت مِنـه الأنـوف

أنـت في **القُـدس تُصـلي ... وهـو** في **البيـت يطـوف**

٢٢- **المغايرة:**

هي مدح الشيء بعد ذمه، أو عكسه، كقول الحريري في مدح الدِّينار:
«أكرِم بِه أصفر راقت صفرته».
بعد ذمه في قوله: «تبا له من خادع ممارقٍ».

٢٣- **تأكيد المدح بما يُشبه الذم:**

هو ضربان:

(أ) أن يستثنى مِن صفة ذم منفية، صفةُ مدحٍ على تقدير دخولها فيها- كقوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سُيوفَهُم ... بهن فُلول مِن قراع الكتائبِ[1]

(ب) أن يثبت لشيء صفةُ مدحٍ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفةُ مدح أخرى مستثناةً من مثلها- كقوله:

ولا عيب فيه غير أني قَصدْتُهُ ... فأنستني الأيام أهلاً وموطِنا

وكقوله:

فَتى كملت أوصافُهُ غير أنهُ ... جوادٌ فما يُبقي مِن المال باقيا

---

(١) أي: إن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبا؛ فلا عيب فيهم غيره، ومن المعلوم أنه ليس بعيب وكقول الآخر:

ولا عيب فيهم سوى أن النزيل ... يسلُو عن الأهل والأوطان والحشم

وقوله:

ولا عيب فيه غير أن خُدوده ... بهن احمرارٌ مِن عيون المتيم

وقوله:

وليس به عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وقوله:

ولا عيب في معروفهم غير أنه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقوله:

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم ... تُعاب بنسيان الأحبة والوطن

٢٤- تأكيد الذم بما يشبه المدح[1]:

هو ضربان أيضا:

(أ) أن يستثنى من صفة مدح منفية، صفةُ ذم على تقدير دخولها فيها، نحو: «فلانٌ لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرِق»، ونحو: «لا فضلَ للقوم إلا أ م لا يعرفون للجار حقه»، ونحو: «الجاهلُ عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء» ونحو «فلان ليس أهلاً للمعروف إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه».

(ب) أن يثبت لشيء صفةُ ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء[2] تليها صفة ذمّ أُخرى، نحو: «فلان حسود إلا أنه نمام» وكقوله:

هُو الكلْـبُ إلا أنّ فيـه ملالـةً   وسُوءَ مُراعاةٍ وما ذاك في الكَلْبِ

٢٥- الإيهام أو التوجيه:

هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السّواء، كهجاء ومديح؛ ليبلغ القائلُ غرضه بما لا يمسك عليه، كقول بشار في خيّاط أعور اسمه عمرو:

خـاط لي عمـرو قبـاء   ليـت عينيـه سـواء

ويحكى أن محمد بن حزم هنّأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران التي تنسب إليها الأطبخة البورانية) بالخليفة المأمون العباسي مع من هنّأه، فأثابهم، وحرمه؛ فكتب إليه: إن

---

(١) وهناك نوع آخر يسمى الهجاء في معرض المدح وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مـدح، وباطنـه ذم كقوله:

أبـو جعفـر رجـل عـالم   بمـا يُصلـح المعـدة الفاسـدة

تخـوف تُخمـة أضيـافه   فعـودهم أكلـة واحـدة

(٢) ومثلُ أداةِ الاستثناء في ذلك أداةُ الاستدراك في قول الشاعر:

وجوه كأزهار الريـاض نضـارةً   ولكنهـا يـوم الهيـاج صُخـورُ

وكقوله:

هو البدر إلا أنه البحـرُ زاخـرا   سِوى أنه الضرغام لكنـهُ الوبـلُ

أدرج أهلُ البيان التدبيج في الطباق، وأفرده أهلُ البديع وهو الأولى؛ لجواز ألا يقع التقابل بـين الألوان فيفوت الطباق.

أنت تماديت على حِرماني، قلت فيك «بيتا لا يعرف» أهو مدح أم ذم؛ فاستحضره وسأله فأقرّ، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل؛ فقال:

بـــارك اللـــه للحســـن ولبـــوران في الخـــتن
يا إمـــام الهـــدى، ظفـــر ت ولكـــن ببنـــت مـــن

فلم يدر: ببنت من؟ أفي العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنـزلة، أم في الدناءة والخسة؟ فاستحسن الحسن منه ذلك.

٢٦- نفي الشيء بإيجابه:

هو أن ينفي متعلّق أمر عن أمر فيوهم إثباته له، والمراد نفيه عنه أيضا، نحو: **لا تُلهيهم تِجارةٌ ولا بيع عن ذِكْرِ اللهِ** (١) فإن نفي إلهاءِ التجارة عنهم يوهم إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضا.

٢٧- القول بالموجب:

القولُ بالموجب نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها؛ فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه، كقوله تعالى: **يقُولُونَ لَئِن رجعنا إِلَى الْمدِينةِ لَيُخرِجن الأعز مِنها الأذَل ولِلهِ الْعِزةُ ولِرسُولِهِ ولِلْمُؤمِنِين** (٢) فالمنافقون أرادوا بالأعزّ: أنفسهم، وبالأذل: المؤمنين، ورتّبوا على ذلك الإخراج من المدينة، فنقلت صفةُ العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم.

---

(١) مقتطع من الآية التي مرت في مبحث ترك المسند، حيث يقول: **يُسبحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُو والآصال * رِجالٌ لا تُلْهِيهِم تِجارةٌ ولا بيع عن ذِكْرِ اللهِ** [النور: ٣٦، ٣٧] فإن قولـه: **لا تُلْهِـيهِم تِجارةٌ ولا بيع عن ذِكْرِ اللهِ** يوهِم أن لهم تجارةً غير أنهم لا يلتهون بها، ولكن المراد أنهم لـيس لهم تجارة حتى يلتهوا بها؛ لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة.

(٢) سورة المنافقون: ٨، تلخيص العبارة: أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعِزة، وللمـؤمنين بالذلـة، وقالوا: إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها، فحكم بالعزة لله ولرسوله والمؤمنين -ولم يقل إنهـم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم.

والثاني: حملُ لفظٍ وقع في كلام الغير على خِلاف مراده بذكر متعلق له، كقوله:

وقالوا: قد صفَت مِنـا قلـوب   لقَد صدقوا ولكن عـن ودادي

أراد بصفو قلوبهم: الخلوص، فحمله على الخلو بذكر متعلقه، وهو قوله: «عن ودادي».

٢٨- ائتلاف اللفظ مع المعنى:

هو أن تكونَ الألفاظُ موافقةً للمعاني؛ فتختار الألفاظُ الجزلة، والعبارات الشديدةُ للفخر والحماسة، وتختار الكلمات الرقيقةُ، والعبارات الليّنة للغزل والمدح، كقوله:

إذا ما غَضِبنا غَضْـبة مُضـريةً   هتكْنا حِجاب الشمس أو قَطرت دما

إذا ما أعرنا سـيدا مِـن قبيلـةٍ   ذُرا منبرٍ صـلى علينـا وسـلّما

وكقوله:

ولستُ بنظّارٍ إلى جانـب الغـنى   إذا كانتِ العلْياءُ في جانب الفَقْرِ

وكقوله:

لم يطُـلْ ليلـي ولكِـن لم أنـم   ونفي عنـي الكـرى طيـف ألمْ

٢٩- التفريع:

هو أن يثْبت حكم لمتعلق أمر، بعد إثباته لمتعلّق له آخر، كقول الشاعر:

فاضـت يـداه بالنضـار كمـا   فاضت ظباه في الـوغَى بـدمِ

وكقوله:

أحلامُكم لسقام الجهـل شـافِية   كما دماؤكُم تشفِي مِن الكلَـبِ

٣٠- الاستتباع:

هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر، مدحا أو ذما؛ يعني أن الاستتباع هو المدح على وجهٍ يستتبع المدح بأمر آخر، كقوله:

ألا أيها المالُ الـذي قـد أبـادهُ   تسل فهـذا فِعلُـه بالكتائِـبِ

وكقوله:

سمحُ البديهةِ ليس يُمسك لفظـه   فكـأنّ ألفاظــه مــن مالــه

وكقوله:

الحربُ نُزهتُه، والبأس همتُهُ — والسيفُ عزمتُهُ، والله ناصرُهُ

وقيل: إنه يكون أيضا في الذم كقول بعضهم في قاضٍ لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر:

أترى القاضي أعمى — أم تراه يتعامى؟

سرق العيد كأنّ الـ — ـعيد أموالُ اليتامى

٣١- السلب والإيجاب(١):

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة؛ فينفيها عن جميع الناس، ثم يثبتها له مدحا أو ذما، فالمدح كقول الخنساء:

وما بلغت كف امرئ متناولاً — من المجد إلا والذي نلت أطولُ

ولا بلغ المهدون للناس مدحةً — وإنْ أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

والذم: كقول بعضهم:

خلقوا وما خُلقوا لمكرُمةٍ — فكأنهم خُلقوا وما خُلقوا

رُزقوا وما رُزقوا سماح يدٍ — فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا

---

(١) ويسمى: الرجوع، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة، كقول زهير:

قِف بالديار التي لم يعفها القِدمُ — بلى وغيرها الأرواحُ والديمُ

وكقوله:

وما ضاع شعري عندكم حين قُلته — بلى وأبيكُم ضاع فهو يضوع

٣٢- الإبداع:

هو أن يكون الكلام مشتملاً على عدّة أنواع من البديع، نحو قول الشاعر:

فضحت الحيا والبحر جُودا فقد بكى الـ حيا من حياء مِنك والتطَم البحر[1]

---

(١) فإن فيه حسن التعليل في قوله: بكى من حيائك، وفيه التقسيم في قوله: فضحت الحيا والبحـر؛ حيث أرجع ما لكل إليه على التعيين بقوله: بكى الحيا، والتطم البحر. وفيه المبالغة في جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح، وفيه الجمع في قوله: فضحت الحيا والبحر. وفيه رد العجز على الصدر في ذِكْر البحر والبحر. وفيه الجناس التام بين الحيا والحياء - وللقرآن الكـريم اليـد البيضاء في هذا النوع؛ فقد وجد اثنان وعشرون نوعا في قوله تعالى: **وقِيلَ يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعِي وغِيض الْماءُ وقُضِي الأمرُ واستوت على الْجُـودِي وقِيـلَ بعـدا لِلْقَـومِ الظالِمِين** [هود: ٤٤] مع كون الآية سبع عشرة لفظة- ولابد لي من ذكرها؛ تبركًا ا والجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين.

(١) ففيها المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي. (٢) الاستعارة فيهما.

(٣) الطباق بين الأرض والسماء. (٤) ا از في قوله يا سماء؛ فإن الحقيقة يا مطر.

(٥) الإشارة في «وغيض الماء» فإنه عبر به عن معانٍ كثيرة، فإن الماء لا يغيض حتى يقلـع مطـر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.

(٦) الإرداف في قوله: «واستوت على الجودي»؛ فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى.

(٧) التمثيل في قوله: «وقضي الأمر» فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.

(٨) التعليل؛ فإن غيض الماء علة الاستواء.

(٩) التقسيم؛ فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.

(١٠) الاحتراس في قوله: «وقيل بعدا للقوم الظالمين»؛ إذ الدعاء يشعر بأ م مستحقوا الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.

(١١) الانسجام؛ فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.

(١٢) حسن التنسيق؛ فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.

(١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى؛ لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.

(١٤) الإيجاز؛ فإنه سبحانه وتعالى- أمر فيها و ى، وأخبر ونادى، ونعت وسّى وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى- وقصّ من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام.

(١٥) التسهيم؛ إذ أول الآية يدل على آخرها.

(١٦) التهذيب؛ لأن مفردا ا موصوفة بصفات الحسن؛ لأن كل لفظة سهلة مخارج الحـروف، =

٣٣- الأسلوبُ الحكيمُ:

هو تلقي المخاطَب بغير ما يترقّبه؛ إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يقصِد، إشارةً إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، فمثال الأول: ما فعله القَبعثَري بالحجّاج؛ إذ قال له الحجاج متوعدا: «لأحملنك على الأدهم». يريد القيد الأسود، فقال القبعثَري: «مِثلُ الأمير يحمل على الأدم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاج: أردت الحديد، فقال القبعثري: لأنْ يكونَ حديدا خير من أن يكون بليدا، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد[1] ومثال الثاني قوله تعالى: **يسألُونك ماذَا يُنفِقُونَ قُلْ ما**

=

عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر؛ بعيدة عن عقادة التراكيب.

(١٧) حسن البيان؛ لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

(١٨) الاعتراض وهو قوله: وغيض الماء واستوت على الجودي.

(١٩) الكناية؛ فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء، ولا بمن قضى الأمر- وسوى السفينة- ولا بمن قال: وقيل بعدا. كما لم يصرح بقائل: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي في صدر الآية؛ سلوكًا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

(٢٠) التعريض؛ فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلما -وإن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

(٢١) التمكين؛ لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.

(٢٢) الإبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له، وفيها غير ذلك - وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف؛ لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

(١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القبعثري لما ذُكِر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان قال: اللهمّ سود وجهه، واقطع عنقه، واسقني من دمه. فوشِي به إلى الحجاج، فلما مثل بين يديه وسأل عن ذلك قال: إنما أردت العنب، فقال له الحجاج ما ذكر- ومثل ذلك قول الشاعر:

ولقد أتيتُ لصاحبي وسألتُهُ ... في قرض دينار لأمر كانا
فأجابني والله داري ما حوت ... عينا فقلتُ له ولا إنسانا

وسئِل تاجر: كم رأس مالك؟ فقال: إني أمين، وثقة الناس بي عظيمة.

وقال الشاعر:

طلبتُ منه درهمًا ... يوما فأظهر العجب

=

أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل (١) سألوا عن حقيقة ما ينفقون، فأجيبوا ببيان طرق الإنفاق؛ تنبيها على أن هذا هو الأجدر بسؤال عنه. وقال تعالى: **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج** (٢) وقال ابن حجاج: قال:

ثقّلت إذ أتيت مرارا ... قلتُ ثقّلت كاهلي بالأيادي

قال:

طوّلت قلت أوليت طولاً ... قال أبرمتُ قلتُ حبلَ ودادي

فصاحب ابن حجاج يقول له: قد ثقلت عليك بكثرة زياراتي؛ فيصرفه عن رأيه في أدب وظرف، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر. وكقول الشاعر:

ولما نعى الناعي سألناه خشيةً ... وللعين خوف البين تسكابُ أمطار

أجاب:

قضى قلنا قضى حاجة العلا ... فقال: مضى. قلنا بكل فخار

ويحكى: أنه لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة، أتى إليه من قبل أهلها رجلٌ ذو تجربة، فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيابي، فقال: علام أنت؟ فأجاب: على الأرض كم سنك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال: أسألك عن شيء وتجيبني بغيره. فقال: إنما أجبتك عما سألت.

٣٤- تشابه الأطراف:

تشابه الأطراف قسمان: معنوي ولفظي

فالمعنوي: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى. كقول الشاعر:

=

ومال ذا من فضة ... يصنع لا من الذهب

وسئل أحد العمال: ماذا ادخرت من المال؟ فقال: لا شيء يعادل الصحة.

(١) سورة البقرة: ٢١٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٩، بيان ذلك: أن أصحاب رسول الله ج سألوه عن الأهِلّة: لم تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى؟ (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة؛ فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات إشارة إلى أن الأولى م أن يسألوا عن هذا.

ألذ من السحر الحلال حديثه **وأعذب من ماء الغمامة ريقه**

فالريق يناسب اللذة في أول البيت.

واللفظي نوعان:

أ - أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية، كقوله تعالى: **مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري** [1] وكقول أبي تمام:

هوى كان خلسا إنّ من أبرد **هوى جُلْتُ في أفيائه وهو خامل**

ب- أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه. كقوله:

رمتني وستر الله بيني وبينها **عشية آرام الكناس رميم**

رميم التي قالت لجيران بيتها **ضمنت لكم ألا يزال يهيم**

وكقوله:

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة **تتبع أقصى دائها فشفاها**

شفاها من الداء العضال الذي بها **غلام إذا هز القناة سقاها**

سقاها فرواها بشرب سجالها **دماء رجال حيث مال حشاها**

٣٥- العكس:

هو أن تقدم في الكلام جزءًا، ثم تعكس: بأن تقدم ما أخرت، وتؤخر ما قدمت، ويأتي على أنواع:

أ - أن يقع بين أحدِ طرفَي جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف، نحو: «كلام الملوك ملوك الكلام»، وكقول المتنبي:

إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ **فوابلهم طل وطلك وابل**

ب- أن يقع بين متعلقَي فعلين في جملتين. كقوله تعالى: **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** [2].

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة الروم: ١٩.

ج- أن يقع بين لفظين في طرفَي الجملتين. كقوله تعالى: **لا هُن حِل لَهُم ولا هُم يحِلونَ لَهُن** (١).

د- أن يقع بين طرفَي الجملتين. كقول الشاعر:

طويتُ بإحراز الفنون ونيلـها ... رداء شبابٍ والجنـون فُنـونُ

فحين تعاطيتُ الفنونَ وحظها ... تبين لي أنّ الفنـونَ جنـونُ

هـ - أن يكون بترديد مصراع البيت معكوسا. كقول الشاعر:

إن للوجـد في فـؤادي تـراكم ... ليت عيني قبل الممـات تـراكُم

في هواكم يا سادتي مت وجـدا ... مت وجدا يا سادتي في هـواكُم

٣٦- **تجاهُلُ العارف:**

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة؛ تجاهلاً منه لنكتة: كالتوبيخ في قوله:

أيا شجر الخابور، ما لك مُورقـًا ... كأنك لمْ تجزع على ابن طَريـفِ!

أو المبالغة في الذم، كقوله:

ألمعُ برقٍ سرى أم هنوءُ مِصـباحٍ ... أم ابتسامتُها بـالمنظر الضـاحي؟

أو المبالغة في الذم، كقوله:

وما أدري وسوف إخـالُ أدري ... أقـوم آلُ حِصـنٍ أم نِسـاءُ؟

أو التعجب، نحو: **أفَسِحر هذَا أم أنتُم لا تُبصِرُونَ** (٢)، وغير ذلك من الأغراض.

---

(١) سورة الممتحنة: ١٠.

(٢) سورة الطور: ١٥.

تمرين (١)

بين الأنواع البديعية فيما يلي:

١- قال بعضهم في وصف راعي إبل:

صُلْبُ العصا بالضرب قد أدماها   تــود أن اللــه قــد أفناهــا(١)

٢- وقِيل في وصف إبل هزيلة:

كالقِسي المعطفات بــل الأســ   ـهُــم مبريــةً بــل الأوتــار(٢)

٣- **وللغزالةِ شيء مــن تلفتــهِ   ونورها من ضيا خديهِ مُكْتسبُ(٣)**

٤- **أفنى جُيوش العِــدا غَــزوا   سِوى قتيلٍ ومأسورٍ ومُنهــزمِ(٤)**

٥- **ولا عيب فيهم غير أن ذوي   خِساس إذا قِيسوا بهم ولئــامُ(٥)**

٦- **على رأس عبد تاجُ عِزٍ يزينُهُ   وفي رجل حُر قيدُ ذُل يشــينُهُ(٦)**

٧- **إذا لم تفض عيني العقيق فــلا   منازله بالقرب تبهــى وتبــهر(٧)**

إجابة التمرين (١)

(١) الضرب: لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب، والسير في الأرض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية.

(٢) فيه مراعاة النظير؛ إذ وصف البحتري الإبل بالنحول، فشبهها بأشياء متناسبة، وهي القسي والأسهم المبرية والأوتار.

(٣) فيه استخدام؛ إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير نورها الغزالة بمعنى الشمس.

(٤) فيه تقسيم؛ إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو بحصرها في الأقسام الثلاثة.

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ فإنه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة، فقد قابلَ بين: علي وفي، رأس ورجل، حر وعبد، تاج وقيد، عز وذل، يزين ويشين.

(٧) فيه استخدام؛ إذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق في الحمرة، والضمير يعود إليه باعتباره الوادي المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز.

تمرين (٢)

فلا الجودُ يفني المالَ والجد مقبلٌ — ولا البُخلُ يُبقِي المالَ والجد مُدبرُ[(١)]

رحِم الله من تصدق مِن فضـلٍ، — أو آسى مِن كَفاف، أو آثر مِن قوت[(٢)]

رأى العقيق فأجرى ذاك نـاظرُهُ — مُتيم لج في الأشواق خـاطرُهُ[(٣)]

آراؤكُم ووجُوهُكُم وسُـيوفُكُم — في الحادثاتِ إذا دجونَ نُجـومُ[(٤)]

ما زُلزلت مِصرُ مِن كيد أُلمّ بـها — لكنها رقصت مِن عدلكُم طربا[(٥)]

أُراعي النجم في سـيري إلـيكُم — ويرعاهُ مِن البيـدا جـوادِي[(٦)]

جاءني ابني يومـا وكنـت أراه — لي ريحانـة ومصـدر أنـس

قال: ما الروحُ؟ قلـتُ: إنـك — قال: ما النفسُ؟ قلتُ: إنك نفسي

إجابة التمرين (٢)

(١) فيه مقابلة بين: الجود والبخل، يفنى ويبقى، مقبل ومدبر.

(٢) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء؛ لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير.

(٣) فيه استخدام؛ فالعقيق أولا المكان المعلوم في بلاد الحجاز، والضمير يعـود إليـه بمعـنى الحجـر المعروف، وقد شبه دموعه به.

(٤) فيه الجمع، فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.

(٥) فيه حسن التعليل؛ فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح، لا لمكروه نـزل بها.

(٦) فيه استخدام؛ إذ النجم الأول: الكوكب، وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له.

تطبيق عام على البديع المعنوي

يا سيدا حـاز لطفًـا   لــه البرايــا عبيــدُ

أنت الحسـينُ ولكـن   جفــاك فينــا يزيــدُ

في هذا الكلام تورية مهيأة بلفظ قبلها؛ فإن ذِكْر (الحسين) لازم لكون (يزيد) اسما بعد احتمال الفعل المضارع الموري عنه.

حُمـاة في بجتـها جنـة   وهي مِن الغم لنـا جُنـه

لا تيأسوا من رحمة الله فقد   رأيتُمُ العاصِـي في الجنـه

في هذا الكلام تورية مرشحة؛ فإن ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي الموري به الذي هو من العصيان، والموري عنه النهر المعروف الذي عبر حماة.

فإن ضيعتُ فيـه جميـع مـالي   فكم من لحيةٍ حلقـت بموسـي

فيه التورية المرشحة بِذِكْر اللحية والحلق، وهما يناسبان الموري به وهو: موسي الحديد، والموري عنه الاسم المذكور.

يا عذولي في مُغن مُطـرب   حرك الأوتار لمّـا سـفرا

لم ز العطف منـه طربـا   عندما تسمعُ مِنـه وتـرا

فيه تورية في لفظ (وترا) معناه البعيد المراد هو الرؤية، والقريب أحد الأوتار، ولفظ «تسمع» هيأ قوله «وترا» للتورية بالرؤية.

ســألته عــن قومِــهِ فــانثنى   يعجب مِن إفراط دمعي السـخي

وأبصر المسـك وبـدر الـدجى   فقالَ: ذا خـالِي وهـذا أخـي

فيه تورية في لفظ «خالي»؛ معناه البعيد المراد: النقطة السوداء في الخد، والقريب: أخ الأم، ولفظة «أخي» هي التي هيأت خالي للتورية، وهي بعيدة.

وساقيةٍ تـدورُ علـى النـدامى   وتنهرهُم لسـرعة شُـرب خمـر

سنشكر يوم لهـوٍ قـد تقضـى   بســاقيةٍ تُقابلنــا بنــهر

«الساقية» امرأة تسقي الرّاح وهذا هو المعنى القريب، أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد، وكل منهما مذكور للتورية في صاحبه، ومهيئ لها فيه.

الباب الثاني: في المحسنات اللفظية

١- الجناس(١)

ويقال له: التجنيس، والتجانس، وا انسة؛ ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازى مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، وتمكّن القرائن.

فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام موقعا صاحبه في قول من قال:

طبعُ ا نس فيــه نــوعُ قيــادةٍ أو ما تــرى تأليفــه للأحــرفِ؟

بملاحظة ما قدمناه يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه؛ لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع مِن الاستغراب.

تعريفه: والجناس: أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى.

وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي؛ ومعنوي.

---

(١) تلخيص القول في الجناس أنه نوعان: تام، وغير تام.

فالتام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

وغير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة، كقول الشاعر:

وسميته يحيى **ليحيــا فلــم يكُــن** إلى **رد أمــرِ اللــه فيــه ســبيلُ**

وكقول ابن الفارض:

هلا نهاك ُنهاك عن لَــومِ امــرئ لم **ُيلــف غــير ُمــنعم بشــقاءِ**

وكقوله:

لو زارنا طيفُ ذاتِ الخال أحيانــا ونحن في **حفر الأجــداث أحيانــا**

وقول الخنساء:

إنّ الُبكــاء هــو الشــفا ءُ مِــن الجــوى بــين الجــ**وانح**

وقول المعري:

لم **نلق غيرك إنســانا ُيــلاذ بــهِ فلا برحت لعينِ الــدهر إنســانا**

وقول الحريري:

لا أعطي زمامي من يخِفرُ **ذمــامي ولا أغــرس الأيــادي** في **أرض**

ـ ء

أنواع الجناس اللفظي

أ - **منها الجناس التام:** وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها،وهيئا ا، وترتيبها، مع اختلاف المعنى.

فإنْ كانا من نوع واحد: كاسمين أو فعلين أو حرفين سمي «مماثلاً، ومستوفيا».نحو: **ويوم تقُومُ الساعةُ يُقْسِمُ الْمُجرِمُونَ ما لبِثُوا غَير ساعةٍ** [1] فالمراد بالساعة الأولى (يوم القيامة) وبالثانية (واحدة الساعات الزمانية)، ونحو: «رحبةٌ رحبةٌ». الأولى «فناء الدار»، والثانية «بمعنى واسعة».

وإنْ كانا مِن نوعين: كفعل واسم، سمي «مستوفيا».

نحو «ارع الجار ولو جار»؛ وكقول الشاعر:

ما مات من كرمِ الزمــان فإنــهُ ... **يحيا لدي** يحيى **بــن عبــد اللــه**

ف- (يحيا) الأول (فعلٌ مضارع)، و(يحيى) الثاني علم الكريم الممدوح ونحو:

إذا رمــاك الــدهرُ في **معشــرٍ** ... **قد أجمع الناسُ علــى بُغضــهم**

فدارهم مــا دُمــت في **دارهــم** ... **وأرضِهم ما دمــت** في **أرضــهم**

وأما الجناس الناقص: فهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف، واختلافهما يكونان: إما بزيادة حرف في الأول، نحو: «دوام الحال من المحال»، أوفي الوسط؛ نحو: «جدي جهدي»، أو في الآخر، نحو: «الهوى مطية الهوان»، والأول يسمى «مردوفًا» والثاني يسمى «مكتنفا»، والثالث يسمى «مطرفًا».

٢- ومنها الجناس المطلق وهو ما توافق ركناه في الحروف، وترتيبها، بدون أن يجمعهما اشتقاق، كقوله ج: «**أسلم سالمها اللهُ، وغفارٌ غفر الله لها، وعُصية عصتِ الله ورسوله**».

فإن جمعهما اشتقاق، نحو **لا أعْبُدُ ما تعْبُدُونَ * ولا أنْتم عابِدُونَ ما أعْبُدُ** [2] فقيل يسمى «جناس الاشتقاق»[3].

---

(١) سورة الروم: ٥٥.

(٢) سورة الكافرون: ٢، ٣.

(٣) كقوله:

فيــــا دمـــعُ، أنجـــدني ... **علــــى ســـاكني** نجـــد

=

٣- ومنها: «الجناس المُذيل»، و«الجناس المُطرف».
فالأول يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره.
والثاني يكون بزيادة من حرفين في أوله.
فالمذيل، كقول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

والمطرف، كقول الشيخ عبد القاهر:

وكم سبقت منهُ إلي عوارفُ ... ثنائي على تلك العوارفِ وارفُ

وكم غُرر من برِه ولطائفُ ... لشكري على تلك اللطائف طائفُ

٤- ومنها «الجناس المضارع»، «والجناس اللاحق».
فالأول يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدا مخْرجا؛ إما في الأول، نحو: «ليلٌ

=

وكقوله:

وإذا ما رياحُ جُودِك هبت ... صار قولُ العذول فيه هباءَ

وقول النابغة:

فيا لك من حزمٍ وعزمٍ طواهما ... جديدُ الردى بين الصفا والصفائح!

وقول البحتري:

نسيمُ الروض في ريحٍ شمال ... وصوبُ المزن في راحٍ شمول

وكقول الحريري:

لهم في السير جريُ السيل ... وإلى الخير جريُ الخيل

وكقول البستي:

بسيفِ الدولةِ اتسقت أمورُ ... رأيناها مُبددةَ النظامِ

وكقول السبكي:

كُن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي ... حتى تعود لي الحياة وأنت هي

وكقوله

سما وحمى بني سامٍ وحامٍ ... فليس كمثْله سامٍ وحامٍ

وقول أبي نواس:

عباسُ عباسٌ إذا احتدم الوغى ... والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

دامس، وطريق طامس».

وإما في الوسط، نحو **وهُم ينهونَ عنهُ وينأونَ عنهُ** [١].

وإما في الآخر، نحو: «الخيل معقود في نواصيها الخير».

والثاني يكون في متباعدين؛ إما في الأول، نحو **هُمزةٍ لُمزةٍ** [٢].

وإمّا في الوسط، نحو **وإنهُ على ذَلِك لَشهيد * وإنهُ لِحُب الْخيرِ لَشدِيد** [٣].

وإمّا في الآخر، نحو: **وإذَا جاءَهُم أمر مِن الأمن أوِ الْخوفِ أذَاعُوا بِهِ** [٤].

٥- ومنها «الجناس اللفظي»، وهو ما تماثلَ ركناه لفظًا، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطًا؛ إما بالكتابة (بالنون والتنوين).

وإما بالاختلاف (في الضاد والظاء، أو الهاء والتاء).

فالأول، نحو:

أعذبُ خلق اللـهِ نُطقًـا وفمـا إنْ لم يكُن أحق بالحسـن فمـن؟
مثـلُ الغـزال نظـرةً ولفتـةً مـن ذا رآه مُقـبلاً ولا افـتتن؟

والثاني، نحو **وُجُوه يومئِذٍ ناضِرةٌ * إلى ربها ناظِرةٌ** [٥] وكقول أبي فراس:

ما كنـت تصـبرُ في القديـ ـمِ فلِـم صـبرت الآن عنـا؟
ولقَـد ظننـتُ بـك الظنـو نَ لأنـه مـن ضـن ظنـا

والثالث، كقوله:

إذا جلست إلى قومٍ لتُؤنسـهُم بما تُحدث مِن ماض ومِـن آتِ
فلا تُعيدنْ حـديثًا إن طبعهمُـو مُوكـلٌ بمعـاداة المعـاداتِ

٦- ومنها «الجناس المحرف» و«الجناس المُصحّف».

فالأوّل: ما اختلف ركناه في هيئات الحروف (أي حركاتها وسكنا ا)، نحو: «جبة البردِ جنّة البردِ».

---

(١) سورة الأنعام: ٢٦.
(٢) سورة الهمزة: ١.
(٣) سورة العاديات: ٧، ٨.
(٤) سورة النساء: ٨٣.
(٥) سورة القيامة، ٢٢، ٢٣.

والثاني: ما تماثل ركناه وضعا واختلفا نقطًا؛ بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميّز عن الآخر، كقول بعضهم: «غرّك عزك، فصار قُصارى ذلك ذُلك، فاخش فاحِش فعلك؛ فعلك ذا تدي». ونحو «إذا زال العالِم زلّ بزلّته العالَم»، وكقول أبي فراس:

مِـن بحـر شِـعرك أغتـرف   وبفضـل عِلمـك أعتـرف

٧- ومنها «الجناس المركّب»، «والجناس المُلفق».

فالأول ما اختلف ركناه إفرادا وتركيبا.

فإنْ كان من كلمة وبعض أُخرى سمي «مرفُوا»، كقول الحريري:

ولا تلْه عن تذْكار ذَنبِك وابكـِهِ   بدمعٍ يُضاهي المزن حالَ مُصـابِهِ

ومثِّلْ لعينيـك الحِمـام ووقعـَهُ   وروعة ملقـاه ومطعـم صـابِهِ

وإنْ كان من كلمتين: فإن اتفق الركنان خطا سمي «مقرونا» كقوله:

إذا ملـك لم يكـن ذا هِبـة   فَدعـهُ فدولتـه ذاهِبـة

وإلا سمي «مفروقًا» كقوله:

لا تعرضن على الـرواة قصـيدةً   ما لم تكُـن بالغـت في ذيبـها

فإذا عرضت الشعر غير مُهـذّبٍ   عدوه مِنك وساوسا تهذي بـها

والثاني: وهو الملفق يكون بتركيب الركنين جميعا، كقوله:

وليتُ الحكم خمسا وهي خمـسُ   لعمـري والصـبا في العنفُـوان

فلم تُضع الأعادي قَـدر شـاني   ولا قالوا: فـلانٌ قَـد رشـاني

٨- ومنها «جناس القلب» وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: «حسامه فتح لأوليائه، وحتف لأعدائه»، ويسمى «قلب كلّ»؛ لانعكاس الترتيب.

ونحو: «اللهمّ استر عوراتنا، وآمِن روعاتنا»، ويسمى «قلب بعض».

ونحو: «رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفّيه».

وإذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت والآخر في آخره، سمي مقلوبا مجنّحا كأنه ذو جناحين كقوله:

لاح أنـوارُ الهُـدى مِـن   كفـه في كـل حـالِ

وإذا وِلي أحد المتجانسين الآخر؛ قيل له «المزدوج».

وإنْ كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه «فالمستوى».

وهو أخص مِن المقلوب ا ّنح، ويسمى أيضا «ما لا يستحيل بالانعكاس».

نحو: **وكُل ِفي فَلَكٍ** (١) ونحوه **وربك فَكَبر** (٢).

---

(١) سورة يس: ٤٠.

(٢) سورة المدثر: ٣.

أنواع الجناس المعنوي

(١) جناس إضمار، وجناس إشارة

(أ) «**فجناس الإضمار**» أن تأتي بلفظ يحضِر في ذهنك لفظًا آخر، وذلك اللفظ المحضر؛ يراد به غير معناه بدلالة السّياق، كقوله:

مُنعم الجسم تحكي الماءَ رقّته ... وقلْبه قسوةً يحكي أبا أوس

وأوس: شاعر مشهور من شعراء العرب. واسم أبيه: حجر؛ فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه، وهو حجر، وهو غير مراد؛ وإنما المراد الحجر المعلوم.

وكان هذا النوع في مبدئه مستنكرا، ولكن المتأخرين ولعوا به، وقالوا منه كثيرا؛ فمن ذلك قول البهاء زهير:

وجاهلٍ طال بهِ عنائي ... لازمني وذاك مِن شقائي

أبغضُ للعين مِن الأقذاء ... أثقلُ مِن شماتة الأعداءِ

فهو إذا رأته عينُ الرائي ... أبو معاذٍ أو أخو الخنساءِ

(ب) «**وجناس الإشارة**» وهو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدل عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به، نحو:

يا حمزةُ، اسمح بوصلٍ ... وامنُن علينا بقُربِ

في ثغرك اسمُك أضحى ... مُصحفا وبقلبي

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو: حمزة، وأشار إلى الجناس فيه بأن مصحفه في ثغره، أي خمرة، وفي قلبه، أي: جمرة.

واعلم أنه لا يستحسن الجناس إلا إذا جاء عفوا، وسمح به الطّبع، من غير تكلف.

(٢) التصحيف

هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر؛ بحيث لو أزيل أو غُيّر نقْطُ كلمة؛ كانت عين الثانية، نحو: «التّخلي، ثم التحلي، ثم التجلي».

(٣) الازدواج

هو تجانس اللفظين المتجاورين. نحو: «من جد وجد، ومن لج ولج».

(٤) السجع

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير- وأفضله ما تساوت فِقَره.

وهو ثلاثة أقسام:

أولها المطرف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: **ما لكُم لا ترجُونَ لِلهِ وقَارا * وقَد خلقَكُم أطْوارا** [(١)].

وكقوله: **ألم نجعل الأرض مِهادا * والجِبالَ أوتادا** [(٢)].

ثانيها المُرصع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين -كلها أو أكثرها- مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفيةً، كقول الحريري: «هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع[(٣)] بزواجر وعظه.

ثالثها المتوازي: وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: **فِيها سُرُر مرفُوعةٌ * وأكْواب موضُوعةٌ** [(٤)]، لاختلاف سرر وأكواب وزنا وتقفيةً، ونحو قوله تعالى: **والمُرسلاتِ عُرفًا * فَالعاصِفَاتِ عصفًا** [(٥)] لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط، ونحو: «**حسد الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت**»؛ لاختلاف ما عدا الصّامت والشّامت تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أواخِرها، وأحسن السجع ما تساوت فِقَره، نحو قوله تعالى: **فِي سِدرٍ مخضُودٍ * وطَلْحٍ منضُودٍ * وظِل ممدُودٍ** [(٦)].

ثم ما طالت فقرته الثانية؛ نحو **والنجمِ إذَا هوى * ما ضل صاحِبُكُم وما غَوى** [(٧)]

ثم ما طالت ثالثته، نحو **النارِ ذَاتِ الوقُودِ * إذْ هُم عليها قُعود * وهُم على ما يفْعلُونَ**

---

(١) سورة نوح: ١٣، ١٤.

(٢) سورة النبأ: ٦، ٧ .

(٣) ولو أُبدلت الأسماع بالآذان كان مِثالا للأكثر، وسمي سجعا تشبيها له بسجع الحمام، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز؛ وقوفًا عليها؛ لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف.

(٤) سورة الغاشية: ١٣، ١٤.

(٥) سورة المرسلات: ١، ٢.

(٦) سورة الواقعة: ٢٨-٣٠.

(٧) سورة النجم: ١، ٢.

بِالْمُؤْمِنِين شُهُود [1] ولا يحسن عكسه؛ لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه أشبه العِثار[2]، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقةً، والألفاظ خدم المعاني، ودلت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام. والسجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر: كقوله:

فنحنُ في **جزل، والرومُ** في **وجَـلٍ** **والبر** في **شُغُلٍ، والبحرُ** في **خجَـلٍ**

ولا يستحسن السجع أيضا، إلا إذا جاء عفوا، خاليا من التكلف والّتصنع.

(٥) الموازنة

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دونَ التقفية، نحو **ونمارقُ مصفُوفَةٌ * وزرابِي مبثُوثَةٌ** [3] فإن مصفوفة ومبثوثة متفقان في الوزن دون الّتقفية، نحو:

أفــاد فســاد وقــاد فــزاد **وساد فجـاد وعـاد فأفْضـل**

(٦) التَّرصيع

هو توازنُ الألفاظِ، مع توافُقِ الأعجاز، أو تقار ا.

مثال الّتوافق، نحو: **إن الأبرار لَفِي نعِيمٍ * وإن الفُجار لَفِي جحِيمٍ** [4] ومثال التقارب، نحو: **وآتيناهُما الكِتاب الْمُستبِين * وهديناهُما الصراطَ الْمُستقِيمَ** [5].

(٧) التَّشْريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوفِ على كل منهما، كقوله:

يا خاطب الـدنيا الدنيـة إ ـا **شركُ الردى وقـرارهُ الأقـذار**

دار متى **ما أضحكت** في **يومهـا** **أبكت غدا تبـا لهـا مِـن دار**

وإذا أظــل ســحابُها لم **ينتفِــع** **ِمنــهُ صــدى** لجهامــه **الغــرار**

غاراتهــا لا تنقضــي وأســيرُها **لا يُفتــدي** بجلائــل **الأخطــار**

(١) سورة البروج: ٥- ٧.

(٢) يعني: أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيرا؛ لأن السمع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشيء المبتور.

(٣) سورة الغاشية: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الانفطار: ١٣، ١٤.

(٥) سورة الصافات: ١١٧، ١١٨.

فيصح الوقوف على: الأقذار، ودار، الغرار، والأخطار؛ فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على: الردى، وغدا، وصدى، ويفتدى، وتكون من مجزوء الكامل، وتقرأ هكذا:

يا خاطب الدنيا الدنيـ ـية إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتفع منه صدى
غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدى

وكقوله:

يا أيها الملكُ الذي عم الورى ما في الكرام له نظير يُنظرُ
لو كان مِثْلك آخرٌ في عصرنا ما كان في الدنيا فقير مُعسِرُ

إذ يمكن أن يقال:

يا أيها الملكُ الذي ما في الكرام له نظيرُ
لو كان مثلك آخرُ ما كان في الدنيا فقيرُ

(٨) لزوم ما لا يلزم

هو أن يجيء قبل حرف الروي (أو ما في معناه من الفاصلة) ما ليس بلازم في التقفية، كالتزام حرف وحركة أو إحداهما يحصل الروي أو السجع بدونه، نحو قول الطغرائي:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَل وحِلْيةُ الفضل زانتني لدى العطَل

وكقوله تعالى: **﴿فَأما اليتيم فَلا تقْهر * وأما السائِلَ فَلا تنهر﴾**(1).

وكقوله:

يا مُحرقًا بالنار وجه محبه مهلاً فإنّ مدامعي تُطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي واحرص على قلبي؛ فإنك فيه

وقد يلتزم أكثر من حرف، كقوله:

كل واشرب الناس على خبرة فهم يمرون ولا يعذبون

---

(1) سورة الضحى: ٩، ١٠.

ولا تُصـــدقْهم إذا حـــدثوا فإنهم مِـن عهـدهم يكـذبون

(٩) التصدير «أو» ردُّ العجز على الصَّدْر

(أ) هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المُتجانسين، أو المُلحقين بهما «بـ أن جمعهما اشتقاق أو شبه» أحدهما في أول الفقرة، والثاني في آخرها، نحو «**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**»[١] وقولك: «سائل اللئيم يرجع، ودمعه سائل»، الأول من السؤال، والثاني من السيلان.

وكقوله تعالى: **استغفِرُوا ربكُم إنَّهُ كانَ غَفارا** [٢].

واللذان يجمعهما شبه اشتقاق، نحو **قَالَ إني لِعمِلكُم مِن الْقَالِين** [٣].

(ب) هو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر إمّا في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره[٤]. وإما في صدر المصراع الثاني، نحو قوله:

سريع إلى ابن العم يلطمُ وجهـهُ وليس إلى داعي الندى بسـريع

وقوله:

تمتع مـن شمـيم عـرار نجـدٍ فما بعـد العشـيةِ مِـن عـرار

وقوله:

ذوائب سود كالعناقد أرسـلت فمِن أجلها منا النفوسُ ذوائـبُ

(١٠) ما لا يستحيل بالانعكاس

هو كونُ اللفظ يقرأ طردا وعكسا، نحو: «كن كما أمكنك»، **وربك فكَبر** [٥]، وكقوله:

مودتُـه تـدوم لكـل هـولٍ وهـلْ كـلّ مودتـهِ تـدوم؟

(١١) الموازبة

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) سورة نوح: ١٠.

(٣) سورة الشعراء: ١٦٨.

(٤) كقوله:

ومن كان بالبيض الكواعبِ مُغرما فما زلتُ بالبيض القواضبِ مُغرما

(٥) سورة المدثر: ٣.

هي أنْ يجعل المتكلم كلامه بحيثُ يمكنه أن يغير معناه بتحريف، أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة، كقول أبي نواس:

لقد ضاع شِعري على بـابكم كما ضاع عقْد على خالصه

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال لم أقل إلا:

لقد ضاء شِعري على بـابكم كما ضاء عقـد على لابسـه

(١٢) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو كونُ ألفاظ العبارة من وادٍ واحد في الغرابة والتأمل، كقوله تعالى: **تاللهِ تفْتأُ تذْكُرُ يُوسُف** [1] لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم؛ أتى «بتفتأ» التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

(١٣) التسميط

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام؛ ثلاثة منها على سجعٍ واحدٍ بخلاف قافية البيت، كقول جنوب الهذلية:

وحربٍ وردت، وثَغر سـددت وعِلجٍ شـددت عليـه الحبـالا

وقول الآخر:

في **ثغرهِ لَعس،** في **خـده قَـبس** في **قَدهِ ميس،** في **جِسـمهِ تـرفُ**

(١٤) الانسجام أو السهولة

هو سلامةُ الألفاظِ وسهولةُ المعاني مع جزالتهما وتناسبهما، كقول الشاعر:

ما وهـب اللـه لامـرئ هِبـةً أفضلَ مِن عقلـه ومِـن أدبـه

هما كمـال الفـتى فـإن فُقِـدا ففقـدُه للحيـاة أليـقُ بِـه

(١٥) الاكتفاء

الاكتفاء: أن يحذف الشاعر مِن البيت شيئًا يستغنى عن ذِكْره بدلالة العقل عليه، كقول الشاعر:

فـإنّ المَنيـة مـن يخشـها فسـوف تصـادمه أينمـا

---

(١) سورة يوسف: ٨٥.

أي أينما توجه[1].

(١٦) التطريز

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفةً متكررة بلفظ واحد، كقول القائل:

وتسقيني وتشربُ مِن رحيق ... خليق أنْ يُلقّب بالخلوق
كأنّ الكأس في يدها وفيها ... عقيق في عقيق في عقيق

---

(١) وكقوله:

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي ... إنْ غاب عن إنسان عيني فهو في

وكقوله:

يا لائمي في هواها ... أفرطت في اللّوم جهلاً
ما يعلم الشوق إلا ... ولا الصبابةَ إلا

وكقوله:

ضلوا عن الماء لما أنْ سروا سحرا ... قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمني بالماء بعدهُمو ... فقلت: يا ليت قومي يعلمونَ بما

وكقوله:

الدمعُ فاض بافتضاحي في هوى ... ظبي يغارُ الغُصنُ منه إذا مشى
وغدا بوجدي شاهدا ووشى بما ... أخفى فبالله من فاض وشى

وكقوله:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ... ما دُمتُ في قيدِ الحياة ولا إذا

نموذج

بين ما في **الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية:**

عضنا الدهرُ بنابه   ليت ما حلّ بنا به[١]

إلى حتفي سعي قَدمي   أرى قدمي أراق دمِي[٢]

لئن أخطأتُ في مدحيـ   ـك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلتُ حاجاتي   بوادٍ غير ذِي زرع[٣]

في الحديث: «اللهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا».

قَد بُلينا في عصرِنا بأناسٍ   يظلمون الأنام ظُلمًا عمًا[٤]

يأكلون التراثَ أكلا لمًا   ويحبون المال حبًا جمًا[٥]

وإنْ أقر على رق أنامله   أقر بالرق كُتابُ الأنامِ لَهُ[٦]

---

(١) فيه جناس تام بين (بنابه) الأولى أحد أنياب الأسنان وبين (بنا به) الثانية المركبة من (بنا) و(به).

(٢) فيه جناس تام بين (أرى قدمي) أي أنظر قدمي، (أراق دمي)، أي صب وأهدر دمي أي قتلني بلا دية.

(٣) في الشطر الأخير من البيت الثاني اقتباس من الآية الكريمة **ربنا إني أسكنتُ مِن ذُريتي بِوادٍ غَير ذِي زرعٍ عِند بيتك المُحرمِ** [إبراهيم: ٣٧].

(٤) فيه سجع مرصع؛ لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية.

(٥) في البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر **وتأكُلُونَ التراثَ أكْلا لما * وتُحِبونَ المالَ حُبا جما** [الفجر: ١٩، ٢٠].

(٦) فيه جناس تام بين أنامله، والأنام له.

خاتمة

في السَّرقات الشِّعرية وما يَتْبعها

السرقة: هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه.

وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

(أ) **النسخ:** ويسمى انتحالا. أيضا -هو أن يأخذ السارق اللفظَ والمعنى معا، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم وسرِقةٌ محضة، كما فعل عبد الله بن الزبير بقول معنِ بن أوسٍ[1].

إذا أنت لم تُنصِف أخاك وجدتَهُ — على طَرف الهجران إنْ كان يعقلُ

ويركبُ حد السيف مِن أنْ — إذا لم يكُن عن شفْرة السيف مزحلُ

وإمّا بتبديل الألفاظ بمرادفها- كما فعل بقول الحُطَيئة:

دع المكارم لا ترحلْ لِبُغيتها — واقعُد فإنك أنت الطّاعمُ الكاسي

ذَر المآثر لا تذهب لمطلبها — واجلِس فإنك أنت الآكلُ اللابس

وقريب منه تبدل الألفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب كما فُعل بقول حسان:

بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم — شُم الأنوف مِن الطّراز الأول

فقال غيره:

سُودُ الوجوه لئيمةٌ أحسابهم — فُطْسُ الأنوف مِن الطّراز الآخِرِ

(ب) والمسخ، أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ أو يغير بعض النظْمِ؛ فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو:

من راقب الناس لم يظفَر بحاجتهِ — وفاز بالطّيبات الفاتكُ اللّهجُ

مع قول غيره:

من راقب الناس مات همّا — وفاز باللّذاتِ الجسورُ

فإن الثاني أعذب وأخصر، وإن امتاز الأولُ فقط فالثاني مذموم، وإن تساويا فالثاني

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسم آخر بضم ففتح- و(معن) بضم وفتح ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

لا يذمّ ولا يمدح، والفضلُ للسابق.

(ج) والسلخ، ويسمى «إلماما» هو أن يأخذ السارق المعنى وحده.

فإن امتاز الثاني فهو أبلغُ، نحو:

هو الصنعُ إن يعملْ فخـير وإنْ **فَلَلريثُ في بعض المواضع أنفـعُ**

مع قول غيره:

ومن الخير بُـطء سـيبك عنـي **أسرع السحب في المسير الجهـامُ**

وإن امتاز الأولُ فالثاني مذموم، وإنْ تماثلا فهو أبعد عن الذم، كقوله:

ولم يـكُ أكثـر الفتيـان مـالاً **ولكِن كـان أرحـبهُم ذِراعـا**

مع قول الآخر:

ولـيس بأوسـعهم في الغِنـى **ولكـن معروفـه أوسـع**

ويتّصل بالسرقات الشعرية ثمانيةُ أمورٍ: الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح، والابتداء، والتخلص، والانتهاء.

١- الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئًا من القرآن أو الحديث على وجهٍ لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من القرآن في النثر:

«فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب»، ونحو قول الحريري: «أنا أُنبئكم بتأويله، وأُميز صحيح القول من عليله»، وكقول عبد المؤمن الأصفهاني: «لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار» وفي الشعر قوله[1]:

وثغـر تنضـد مـن لؤلـؤ **بألبـاب أهـل الهـوى يلعـبُ**

إذا ما ادلهمت خطـوبُ الهـوى **يكـادُ سـنا برقـه يـذهبُ**

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو:

قد كان مـا خِفـتُ أن يكونـا **إنـا إلى اللـه راجعونـا**

وفي القرآن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] ويكون الاقتباس مذموما في الهزل، كقوله:

أوحـى إلى عُشـاقه طرفـه **هيهات هيهـات لمـا تُوعـدون**

وردفٍ ينطـق مـن خلفـه **لمثـل هـذا فليعمـل العـاملون**

وقوله:

إنْ كنت أزمعت علـى هجرنـا من غير ما جُرمٍ فصـبر جميـل

وإنْ تبـدلت بنـا غيرنـا فحسبنا اللـه ونعـم الوكيـل

وقوله:

لا تكن ظالمًا ولا تـرض بـالظلم وأنكـر بكـل مـا يُسـتطاع

يوم يأتي الحسـابُ مـا لِظلُـوم مِـن حمـيمٍ ولا شـفيعٍ يُطـاع

وكقوله:

إنْ كانت العشاقُ من أشـواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاً

فأنا الذي أتلو لهُـم: «يـا ليـتني كنتُ اتخذت مع الرسول سبيلا»

وقوله:

رحلوا فلستُ مُسائلاً عن دارهم «أنا باخِع نفسِي علـى آثـارهم»

وقوله:

ولاح بحكمتي نـورُ الهـدى في ليـالٍ للضـلالة مُدلهمـه

يريـد الجـاهلون ليُطفئـوه ويـأبى اللـه إلا أن يُتمـه

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: «شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه» وكقول الحريري أيضا:

«وكتمان الفقر زهاده وانتظار الفرج بالصبر عباده».

ومثاله من الحديث في الشعر قوله:

قـال لي إنّ رقيـبي سـيئ الخُلـق فـداره

قلت دعـني وجهتـك الجنـة حُفـت بالمكـاره

وكقوله:

فلو كانت الأخلاقُ تُحوي وراثةً ولو كانـتِ الآراء لا تتشـعبُ

لأصبح كُل الناس قـد ضـمهم كما أنّ كل الناس قد ضمهمُ أبُ

ولكنها الأقـدار كـل مُيسـر لِما هو مخلـوق لـهُ ومقـربُ

وقوله:

لا تعــاد النــاس في أوطــا م **فلّمــا يُرعــى غريــبُ الــوطن**

وإذا ما شِــئت عيشــا بينــهم **خالِق النــاس بِخُلــق حســن**(١)

٢- والتضمين: هو أن يضمّن الشاعر كلامه شِعرا من شعر الغير مع التنبيه عليه(٢)،

---

(١) وينقسم الاقتباس إلى ضربين:

الأول: ضرب منه لا ينقل فيه اللفظُ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم.

الثاني: ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي:

لــئن أخطــأت في مدحيــ ـ **ـ ـك مــا أخطــاتُ في منعــي**

لقــ ـد أنــ ـ ـزلت حاجــ اتي **بــ ـ ـواد غــ ـ ـير ذي زرع**

فقد كني ذا الوادي عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه، وهو في الآية الكريمة وادٍ لا ماء فيـه ولا نبات، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير- كما سبق.

واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام:

مقبول: وهو ما كان في الخطب والمواعظ.

ومباح: وهو ما يكون في الغزل والرسائل والقصص.

ومردود: وهو ما كان في الهزل كما تقدم ذِكْره.

(٢) أما ما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته: فكقوله:

قد قلتُ لمــا اطلعــت وجناتــه **حولَ الشقيق الغض روضــة آس**

أعذاره الساري العجــول ترفّقــا **ما في وقوفك ســاعةً مــن بــاس**

فالمصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام:

ما في وقوفك ســاعةً مِــن بــاس **تقْضِي حُقــوق الأربــع الأدراس**

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه، كما في قوله:

إذا الوهمُ أبدى لي لماها وثغرهــا **تذكّرتُ ما بين العُــذيب وبــارق**

ويذكرني مــن قــدها ومــدامعي **مجر عواليــنا ومجــرى الســوابق**

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي:

تذكّرتُ ما بين العُــذيب وبــارق **مجر عواليــنا ومجــرى الســوابق**

يريد المتنبي: أ م كانوا نزولا بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان، ويسابقون

إن لم يكن مشهورا لدى نقّاد الشّعر وذوي اللّسن، نحو قوله:

إذا ضاق صدري وخِفتُ العِدا تمثلتُ بيتا بحالي يليقُ
فبالله أبلغ ما أرتجى وبالله أدفع ما لا أطيقُ

وكقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

على أني سأنشُدُ عِند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا[1]

المصراع الأخير للعرجي، وأصله:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغر

٣- والعقد: هو نظم النثر مطلقًا لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، فعقد القرآن الكريم كقوله:

أنلني بالذي استقرضت خطّا وأشهد معشرا قد شاهدُوهُ
فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوهُ

يقول:

إذا تداينتُم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

وعقد الحديث الشريف، كقوله:

إن القُلوب لأجناد مُجندةٌ بالأذْن مِن ربها تهوى وتأتلفُ
فما تعارف مِنها فهو مُؤتلفُ وما تناكر مِنها فهو مختلِفُ

وكقوله:

=

على الخيل. أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب: تصغير العذب، وعني به شفة الحبيبة، وببارق ثغرها: الشبيه بالبرق، وبما بينهما ريقها، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها، وشبه تبختر قدّها بتمايل الرماح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(١) ولا بأس من التغيير اليسير، كقوله:

أقولُ لمعشر غلطوا وغضوا مِن الشيخ الرشيد وأنكروهُ
هو ابنُ جلا وطلاّع الثنايا متى يضع العِمامة تعرفوهُ

واستعمِل الحِلْم واحفَظْ قولَ بارئنا سُبحانه خلق الإنسانَ مِن عجـل

٤- الحل: هو نثر النظم. وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع، كقوله:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظُنونـهُ وصدق من يعتادهُ مِن تـوهم(١)

٥- التلميح هو الإشارة إلى قصةٍ معلومةٍ أو شعرٍ مشهور، أو مثَل سائر من غير ذِكره، فالأول، نحو:

يا بدرُ، أهلك جاروا وعلموك التجري وقبحوا لـك وصلى

وحسنوا لكِ هجري فَلْيفعلوا فـإنهم أهـلُ بـدر

وكقوله: **هلْ آمَنُكُم عليهِ إلا كما أَمِنتُكُم على أخِيهِ مِن قَبلُ** (٢) أشار يعقوب في كلام هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السّابقة في أمرِ أخيهم يوسف، ونحو قول الشاعر:

فوالله ما أدري أأحلام نائمٍ ألمّت بنا أم كان في الركْبِ يُوشعُ(٣)

والثاني، نحو:

لعمرو مع الرمضاء والنارُ تلتظِي أرق وأحفى مِنك في ساعة الكَربِ

إشارةً إلى قول الآخر:

المستجيرُ بعمـرو عنـد كربتـهِ كالمستجير مِن الرمضـاء بالنـار

والثالث نحو:

مـن غـاب عـنكُم نسـيتموهُ وقلبـهُ عنـدكُم رهينـه

أظـنكم في الوفـاء ممـن صُحبتُهُ صُحبة السـفينه

٦- وحسن الابتداء أو براعة المطلع، هو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا، واضح المعاني، مستقلا عمّا بعده، مناسبا للمقام؛ بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه

(١) نثره: لما قبحت فَعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدّق توهمه الذي يعتاده.

(٢) سورة يوسف: ٦٤.

(٣) إشارة إلى استيقاف يوشع للشمس. يروى: أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهُم فيه؛ فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

أول ما يقرع السمع، وبه يعرف مما عنده، قال ابن رشيق: إنّ حسن الافتتاح داعيةُ الانشراح، ومطّية النجاح، وذلك كقوله:

ا دُ عوفِي إذْ عُوفيت والكَـرمُ ... وزال عنك إلى أعدائك السـقَمُ

وتزداد حسنا إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة، وتسمى براعة استهلال[1] وهي أن يأتي النّاظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدلُ على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح.

كقول أبي محمد الخازن مهنئًا الصاحب بن عباد بمولود:

ُبشرى فقد أنجز الإقبالُ ما وعدا ... وكوكب ا دِ في أفْق العُلا صعِدا

وقول غيره في التهنئة ببناء قصر:

قصـر عليـه تحيـةٌ وسـلامٌ ... خلَعـت عليـه جمالهـا الأيـامُ

وكقول المرحوم أحمد شوقي بك في الرثاء:

أجلْ وإنْ طال الزمـانُ مُـوافي ... أخلى يديك مِن الخليـل الـوافي

وكقول آخر في الاعتذار:

لِنـار الهـم في قلـبي لهيـبُ ... فعفـوا أيهـا الملـكُ المهيـبُ

وقد جاء في الأخبار: أن الشعر قُفل، وأوّله مِفتاحه.

٧- والّتخلص: هو الخروج والانتقال مما أُبتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجعل المعاني آخذًا بعضها برقاب بعض؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال مِن نسيب إلى مدح أو غيره؛ لشدة الالتئام والانسجام كقوله:

وإذا جلست إلى المدام وشُـربا ... فاجعلْ حدِيثك كله في الكـاس

وإذا نزعت عن الغواية فلْـيكُن ... لله ذاك النـزعُ لا للنـاس

وإذا أردت مديح قـومٍ لم تُلـم ... في مدحهم فامدح بـني العبـاس

وقوله:

دعتِ النوى بِفِـراقهم فتشـتتوا ... وقَضى الزمانُ بينـهُم فتبـددوا

---

(١) وبراعة الطلب: أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح بالطلب، نحو: **ونادى نُوح ربهُ فَقَالَ رب إِن ابِني مِن أهِلِي** [هود: ٤٥] إشارة إلى طلب النجاة لابنه. وكقول الشاعر.

وفي النفس حاجات وفيك فطانـةٌ ... سُكوتي بيـانٌ عِنـدها وخِطـابُ

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما، ويسمّى ذلك اقتضابا، كقول أبي تمام:

لو رأى الله أنّ في الشيب خيرا ... جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كُل يومٍ تُبدي صروفُ الليالي ... خُلُقًا من أبي سعيدٍ غريبا

٨- وحسن الانتهاء ويقال له (حسن الختام) هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذْب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرا بالتمام، حتى تتحقّق براعة المقطع بحسن الختام؛ إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع، وربما حفظ من بيان سائر الكلام؛ لقُرب العهد به، يعني أن يكون آخر الكلام مستعذبا حسنا؛ لتبقى لذته في الأسماع مؤذنا بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوقًا إلى ما وراءه كقول أبي نواس.

وإني جديرٌ إذْ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أملتُ فيك جديرُ

فإن تُولني منك الجميلَ فأهلُهُ ... وإلا فإني عاذر وشكورُ

وقول غيره:

بقيت بقاءَ الدهر يا كهف أهلهِ ... وهذا دعاءٌ للبرية شاملُ

وقول ابن حِجّة:

عليك سلام نشره كُلما بدا ... به يتغالى الطيبُ والمسكُ يختمُ

وقول غيره:

ما أسألُ الله إلا أن يدوم لنا ... لا أنْ تزيد معاليه فقد كمُلت

تم بعون اللّه وتوفيقه

❁ ❁ ❁